الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

٤٩٦
ب ١١
٩٩٥

القضايا اللغوية في كتاب "الصاحبي في فقه اللغة" لابن فارس دراسة نقدية

عميد كلية الدراسات العليا

بسمة عودة سلمان الرواشدة

إشراف

الدكتور جاسر أبو صفية

المشرف المشارك

محمود جفال الحديد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
في كلية الدراسات العليا

تشرين أول ١٩٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٧ جمادى الأول ١٤١٦ هـ الموافق ١٩٩٥/١٠/٢١ م
وأجازتها لجنة المناقشة المكونة من

		التوقيع
١- الدكتور جاسر أبو صفية	مشرفاً رئيساً	.....
٢- الدكتور محمود الجفال	مشرفاً مشاركاً	.....
٣- الدكتور محمد عواد	عضواً	.....
٤- الدكتور جعفر عبابنة	عضواً	.....
٥- الدكتور وليد سيف	عضواً	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــداء

إلى والدي اللذين أضاءا لي ظلمة الليالي وحلكة الأيام، وظمئا لأنهل من معين العلم.

إلى خالي العزيز وأبي الثاني المحامي فيصل حسن الرواشدة الذي علمني بقوة عزمه أن أتخطى الصعاب وأمحو كلمة اليأس من مفردات قاموس حياتي.

وأهديها كذلك إلى زوجته رحاب ياسين الرواشدة وأولادهما الذين أرتويتُ من نبع محبتهم وفيض حنانهم إلكثير الكثير.

إلى إخوتي وأخواتي سالم وعلاء الدين ونازك وعوني وأمل وعصام الذين أدركتُ من دقاتِ قلوبهم ومن همساتِ شفاههم معنى الأمل ومقومات إثبات الذات.

وإلى معلمتي عدية عبد الرحمن وأختها ندية اللتين هيئتا لي في بيتهما جواً دراسياً لا يجده الباحث إلا في بيْته.

وإلى صديقتي الوفية ختام القصاص، التي استنزفت جميع معطيات حواسها لتكون عيني التي أبصرتُ بحدقتها دقائق مراجع العربية وأمهاتها ويدي التي كتبتُ ببنانها جميع أحرف هذه الرسالة وكلماتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

يجدر بي وأنا أنهي حولي السادس في هذه الجامعة أن أتقدم بالشكر العميق إلى أستاذي البحاثة جاسر أبو صفية الذي ملك علي جانب الشكر، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه، ولكنني أقول إن إيامه كانت لطلبة العلم مرتعاً، ولياليه لما نكتبه متربعاً وصدره لهمومنا ومتاعبنا متوسعاً. فقد تحمل معي أعباء الرسالة وهمومها، وكان لي بمنزلة الأب الحاني المترفع عن زلاتي وعثراتي مع أنها كُثر.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل د. محمود الجفال، المشرف المشارك، الذي اتسع صدره ووقته لقراءة أطروحتي وإبداء ملاحظات قيمة في كثير من قضايا هذا البحث، كما ترجم لي جانباً من أطروحته في الدكتوراة، مما يمت إلى موضوع رسالتي بصلة، وأرشدني إلى كثير من المصادر والمراجع التي أفدت منها في أطروحتي

وإنه ليسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل الى سمو الأمير رعد بن زيد (كبير الأمناء) أمير التواضع والشمم الذي تظل أبلغ الكلمات وأجزلها عاجزة عن وصف مآثره وسجاياه فلطالما ارتوى من نبع حنانه الكثيرون واغترف من بحر عطاءه المحرومون واستظل في وارفِ رعايته طلبة العلم ولا سيما الطلبة المكفوفون.

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذتي الأفاضل الذين تتلمذت عليهم في مرحلة دراستي الأولى وهم : د. محمد حسن عواد و د. جعفر عبابنة ود. وليد سيف، أشكرهم لأنهم تكرموا بمنحي جانباً من وقتهم الثمين، على كثرة مشاغلهم، لقراءة الأطروحة ومناقشتها، فجزاهم الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء.

كما أشكر كل من ساعدني وقدم لي يد العون والمباركة على انجاز هذه الرسالة وأخص بالشكر فاطمة أبو شميس، وفاطمة بريك سكرتيرتي قسم اللغة العربية. وموظفي مركز الوثائق والمخطوطات في مكتبة الجامعة الاردنية ولا سيما د. نوفان الحمود.

وأخيراً أشكر صديقتي ختام القصاص التي شاركتني همموم هذه الرسالة صغيرها وكبيرها، ولم تألُ جهداً في إنجازها.

الباحثة

بسمة عودة سلمان الرواشدة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

القضايا اللغوية في كتاب "الصاحبي في فقه اللغة" لابن فارس

دراسة نقدية

بسمة عودة سلمان الرواشدة المشرف: د. جاسر أبو صفية و د . محمود الحديد مشرف مشارك

يتضمن كتاب "الصاحبي في فقه اللغة "لابن فارس جملة من المسائل اللغوية. وعلى أهميتها فإنها لم تحظ بدراسة علمية جادة تبين قيمتها العلمية ولا سيما أنها جاءت مختصرة في الكتاب تحتاج الى تفصيل ومناقشة. ومن هنا كانت رغبتي في دراسة هذا الموضوع على ما في ذلك من صعوبة، لأن هذه القضايا تعد أساساً لما نشأمن نظريات في فقه اللغة فيما بعد، كقضية نشأة اللغة، والمعرب في القرآن وعوامل توسع اللغة العربية .

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في تمهيد وخمسة فصول:

أ- التمهيد: خصص للحديث عن مفهوم فقه اللغة وعلم اللغة والفرق بينهما.

ب- الفصل الأول: ابن فارس اللغوي، وهو لبيان قدرة ابن فارس اللغوية على الكتابة في فقه اللغة.

جـ- الفصل الثاني: يناقش قضية جدلية هي "نشأة اللغة"، أتوقيف هي أم اصطلاح وتواضع؟

د- الفصل الثالث: المعرب في القرآن الكريم وموقف ابن فارس منه.

هـ- الفصل الرابع: موقف ابن فارس من عوامل التوسع في اللغة.

و- الفصل الخامس: موقف ابن فارس من عوامل التوسع الدلالي.

وقد اعتمدت في دراسة القضايا اللغوية في الكتاب المنهج التحليلي النقدي ومقابلة آراء ابن فارس بما جاء عند معاصره ابن جني في الخصائص ومن تلاه من اللغويين.

وخلاص هذه الدراسة:

أ- أن ابن فارس كان مقلدا لمن سبقه في بعض القضايا ومجددا في بعضها الآخر.

ب- يعد كتاب الصاحبي أصلاً من أصول كتب فقه اللغة في العربية .

جـ- أن لكتاب الصاحبي أثراً كبيراً في كتب الأقدمين، ولا سيما كتاب "فقه اللغة وسر العربية " للثعالبي وكتاب "المزهر في علوم اللغة" للسيوطي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الأهداء	جـ
شكر وتقدير	د
المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ي
التمهيد: فقه اللغة وعلم اللغة	١
الفصل الأول: ابن فارس اللغوي	١٣
ترجمة مختصرة لابن فارس	١٣
ابن فارس اللغوي	١٨
كفايته اللغوية	١٨
١) المصادر التي أستقى منها مادته اللغوية	١٨
٢) تأليفه المعجمات اللغوية ومعجمات المعاني	٢١
٣) موقف ابن فارس النقدي من النحويين و اللغويين	٢٨
٤) نقد ابن فارس للفقهاء	٢٩
٥) مؤلفاته	٣٢
٦) رأي العلماء فيه	٣٣
كتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها	٣٥
الفصل الثاني: نشأة اللغة	٤٢
مقدمة عامة	٤٢
النظرية التوقيفية ومناقشة موقف ابن فارس من هذه القضية	٤٢
مناقشة نظرية الاصطلاح	٥٥
مناقشة نظرية تقليد الأصوات المسموعات ونظرية الانفعالات اللاإرادية	٥٩
مناقشة نظرية الفارابي في نشأة اللغة	٦٤
أفضلية اللغة العربية	٧٣
الفصل الثالث: المعرب في القرآن الكريم	٨١
موقف ابن فارس من وجود المعرب في القرآن	٨٢
فريق المؤيدين لوجود المعرب في القرآن	٨٤
فريق المنكرين لوجود المعرب في القرآن	٨٦
فريق التوفيقيين	٩١
نقد موقف ابن فارس	٩٢
موقف ابن جني من وجود المعرب في القرآن	٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأي المحدثين ٩٧
الجانب التطبيقي ١٠٠
كلمة ابلعي ١٠٠
كلمة استبرق ١٠٣
الأعلام ١١٠
الفصل الرابع: موقف ابن فارس من عوامل التوسع في اللغة العربية ١١١
مقدمة عامة ١١٢
أثر الإسلام ١١٣
العوامل الداخلية في توسع اللغة العربية: ١١٩
١) القياس ١١٩
٢) الاشتقاق ١٢٣
٣) القلب ١٣٠
٤) الإبدال ١٣٣
٥) النحت ١٣٧
٦) المعرب ١٤٣
الفصل الخامس: موقف ابن فارس من عوامل التوسع الدلالي ١٤٨
١) المشترك اللغوي: ١٤٨
أ) الترادف ١٤٩
ب) المشترك اللفظي ١٥٩
جـ) الأضداد ١٦٣
٢) المجاز ١٧٠
٣) الاتباع ١٧٧
المصادر والمراجع ١٨٤
الملحق ٢٠٤
الملخص باللغة الانجليزية ٢٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

فقه اللغة وعلم اللغة

وسم ابن فارس كتابه بـ"الصاحبي في فقه اللغة"(١)، فكان بذلك أول من استخدم هذا المصطلح عنواناً لمؤلف بعينه، وتبعه في ذلك الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية)، ثم خبت جذوة هذا المصطلح إلى أن ظهر مرة أخرى في هذا العصر، وأصبح استخدام هذا الاسم عنواناً لمؤلف بعينه ظاهرة منتشرة انتشاراً واسعاً، واصبح هنالك مصطلح يماثل مصطلح "فقه اللغة"" في الانتشار، وهو مصطلح "علم اللغة"" وسأحاول أن أبين مفهوم فقه اللغة عند ابن فارس والثعالبي، ومفهوم هذا المصطلح عند المحدثين. كما سأبين مفهوم "علم اللغة"" عند القدماء والمحدثين تبييناً مختصراً.

فقه اللغة، وعلم اللغة:

الفقه(٢) **لغةً**: الفهم والفطنة والإدراك والعلم، والتفقه: التعلم، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه، وفضله على سائر أنواع العلم.

والعلم(٣) **لغة**: نقيض الجهل، وهو الذي يدل على أثر بالشيء، يميز به عن غيره، واليقين، وتعلمتُ الشيء، إذا أخذتُ علمه.

وقد عرّفت الدراسات اللغوية العربية هذين المصطلحين كليهما كما أشير، فكثير من الكتب اللغوية المحدثة حملت هذين المصطلحين عنواناً لها، مثل: علم اللغة(٤) وفقه

---

(١) حُقق هذا الكتاب غير مرة، إذ حققه السيد أحمد صقر وعمر فاروق الطباع والمكتبة السلفية، ومصطفى الشويمي، وهو الذي اعتمدتُ عليه في هذه الدراسة. وقد أسماه بالصاحبي، نسبة إلى الصاحب بن عباد.

(٢) انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي. وابراهيم السامرائي ط٢ دار مكتبة الهلال ودار الشؤون الثقافية والعامة ١٩٨٦، ٣/٣٧٠. وابن دريد، الجمهرة، طبعة جديدة بالأوفست ط١ مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٤٥هـ، ٣/١٥٧ الأزهري تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الله درويش ومحمد علي النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة مصر ٥/٤٠٤-٤٠٥. وابن فارس، المقاييس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ٤/٤٤٢. وابن سيدة، المحكم، تحقيق: مصطفى السقا، وحسين نصار، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٨م، ٤/٩٢، وعبد الفتاح الصعيدي، وحسين يوسف موسى، الإفصاح في فقه اللغة، ط٢، دار الفكر العربي، بيروت، ١/١٤٧.

(٣) الخليل، العين ٢/١٥٢-١٥٣، ابن دريد، الجمهرة ٣/١٣٨-١٣٩ وابن فارس، المقاييس ٤/١٠٩-١١٠، والإفصاح ١/١٤٧.

(٤) ٥/٤٠٤-٤٠٥ مكتبة نهضة مصر بالفجالة. مصر، ١٩٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغة[١] لعلي عبد الواحد وافي. ودراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح[٢]، وفي علم اللغة العام لعبد الصبور شاهين[٣]، وفقه اللغة في الكتب العربية لعبده الراجحي[٤] والوجيز في فقه اللغة محمد الأنطاكي[٥]، وعلم اللغة لحاتم الضامن[٦] .

والمطالع لهذه الكتب لا يجد فرقاً كبيراً بينها، فموضوعاتها وقضاياها تكادُ تكونُ واحدةً، لذلك، أصبح من الصعب التفريق بين هذين المصطلحين في العصر الحالي، ويرجع هذا إلى تأثر المصطلحات اللغوية الغربية؛ فقد ترجم العرب كلمة Philo ogy إلى فقه اللغة، وLinguistics إلى علم اللغة، مع أن مفهوم هذين المصطلحين عند الغرب مغايرٌ لمفهومهما عندنا؛ لأن ""فقه اللغة يدرس اللغات المكتوبة عندهم. مثل اليونانية، واللاتينية كي يعرفوا أهم مميزات هذه الأمم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، فـ "فقه اللغة يهدف إلى غاية كشف أنماط عيش الأمم القديمة عن طريق تراثها اللغوي[٧]، أما "علم اللغة"، فيهتم بدراسة اللغات الحية لذاتها ومن أجل ذاتها، فهم يهتمون بالمنهج الوصفي، فعلم اللغة عندهم وسيلة لمعرفة تركيب اللغات، وبناء هيكلها العام، لذا، ابتعدوا عن المنهج المعياري الذي تتسم به الدراسات القديمة، فدافيد كريستل يقول: ((... إن علم اللغة يقوم على الأقل بمهمتين:

الأولى: أنه يهتم بدراسة اللغات في ذاتها ومن أجل ذاتها، لكي يستطيع أن يُقدم وصفاً كاملاً ومحدداً لها.

الثانية: أنه يدرس هذه اللغات بوصفها وسيلةً لغايةٍ أبعد هي الحصول على معلومات عن طبيعة اللغة بشكل عام))[٨].

---

(١) ط٢، مكتبة النهضة المصرية، مصر – القاهرة ١٩٤٤م.

(٢) ط١٢، دار العلم للملايين بيروت – لبنان ١٩٨٩.

(٣) ط٣ مؤسسة الرسالة: بيروت ١٩٨٠.

(٤) دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

(٥) ط٣، دار الشرق.

(٦) جامعة بغداد مطبعة التعليم العالي بالموصل.

(٧) انظر تمام حسان، الأصول، نشر مشترك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر. ودار الشؤون الثقافية العامة، العراق "١٩٨٨" ، ٢٦٣-٢٦٤. وعبده الراجحي. فقه اللغة في الكتب العربية ١٥-١٨. ومحمد الأنطاكي الوجيز في فقه اللغة، ص١٢.

(٨) دافيد كريستيل، التعريف بعلم اللغة، ترجمة وتعليق: حلمي خليل ط٢ دار نشر الثقافة ودار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٣، ص ٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك، فإن عالم اللغة: ((... يحاولُ جاهداً أن يجعل معْياره في الوصف اللغوي ذلك المعيار الذي ينبع من طبيعة اللغة وحدها، دون أن يحاول إقحام معايير منتزعة من مظاهر النشاط الإنساني الأخرى، مثل المنطق أو علم الجمال أو البلاغة، لكي يُفسر ويوضح أسس الاستعمال، كما يظل على وعيٍ تام بالفرق بين المعلومات التاريخية، وغير التاريخية، ولا يسمح بالمعلومات غير ذات الصلة بالموضوع عن استعمالات الزمن الماضي أن تلون تقييمه لأي مرحلة من مراحل اللغة، كما يتحاشى أن يكون معياراً ... كذلك، يتحاشى إصدار أحكام انطباعية فجة عما يظنه يجري في اللغة، ولا يعتمد إلا على الاستعمال اللغوي النابع من أصحاب اللغة native-speakers التي يقوم بفحصها ... وببساطة، فإن علم اللغة هو الطريقة العلمية لدراسة اللغة، أو ما يمكن أن نُسميه لغةً...))[١].

ونجد هذا المضمون أيضاً في كتاب ماريو باي "أسس علم اللغة" عندما فرق بين "علم اللغة" و "فقه اللغة" فقال: ((إن موضوع فقه اللغة "Philology" لا يختص بدراسة اللغات فقط، ولكن، يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي للغات موضوع الدراسة، أما علم اللغة "Linguistics" ، فيركز على اللغة نفسها، لكن مع إشارات عابرة – أحياناً – إلى قيم ثقافية وتاريخية، ويُولي علم اللغة معظم اهتمامه للغة المتكلمة، وإن كان يوجه كذلك للغة المكتوبة شيئاً من الاهتمام))[٢].

ولهذا الخلط، فإنهم ساووا بين موضوعاتهما ومناهجهما، فقالوا: إن أشهر موضوعات علم اللغة هي:

١) علم الأصوات العام (الفوناتيك Phonetics)

٢) علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا Phonology)

٣) علم المفردات (المعاجم) (اللسيسكوغرافيا Lexicograpl)

٤) علم الصرف (المورفولوجيا Morphology)

٥) علم الدلالة (السيمانتيك Semantics)

٦) علم النظم (السنتكس Stynfax)

---

(١) دافيد كريستل، التعريف بعلم اللغة، ص ٧٢-٧٣.

(٢) ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، طرابلس ١٩٧٣م. ص ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧) علم الأساليب (السيتلستيك Stylistics)

وجعلوها هي نفسها أشهر موضوعات فقه اللغة.

أما أشهر مناهج "علم اللغة" التي قالوا إنها أشهر مناهج فقه اللغة أيضاً فهي: الوصفي والتاريخي والمقارن والتقابلي فهذه الموضوعات والمناهج تختص "بعلم اللغة" عند بعض الباحثين العرب، كحاتم الضامن في كتابه "علم اللغة"(١)، وإميل بديع يعقوب في كتابه "فقه اللغة العربية وخصائصها"(٢) وعبد الصبور شاهين في كتابه "علم اللغة العام"(٣) وهي عند محمد الأنطاكي تختص "بفقه اللغة"(٤) ولذلك، لم يُفرق معظم المحدثين بين "فقه اللغة" و"علم اللغة". مثل، علي وافي في كتابه "علم اللغة"(٥) وصبحي الصالح في "دراسات في فقه اللغة"(٦) ومحمد المبارك في "فقه اللغة وخصائص العربية"(٧).

ولعل الخلط بين المصطلحين عائدٌ إلى أن الغربيين أنفسهم لم يستقروا على تعريف محددٍ لمصطلح Philology فقد ((ذكر السنيور جويدي في محاضرته الأولى بالجامعة المصرية ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦م أن كلمة (Philogie) تصعب ترجمتها بالعربية، وأن لها في اللغات الغربية معنىً خاصاً لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب، فمنهم من يرى هذا العلم مجرد درس قواعد الصرف والنحو، ونقد نصوص الآثار الأدبية، ومنهم من يذهب إلى أنه ليس درس اللغة فقط، ولكنه بحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها....))(٨)

---

(١) ٣٠-٣١.

(٢) ط١، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م، ٣٥-٣٦.

(٣) ص ٧.

(٤) الوجيز في فقه اللغة ١٣-٢١.

(٥) ٦ - ١٣ وقال: ((...أما بحوث علم اللغة نفسه، فقد درس المؤلفون من العرب بعضها تحت أسماء مختلفة، أشهرها اسم "فقه اللغة" وهذه التسمية هي خير ما يوضع لهذه البحوث، فإن فقه الشيء هو كل ما يتصل بفلسفته وفهمه، والوقوف على ما يسير عليه من قوانين، فقد قال صاحب المصباح ((الفقه فهم الشيء)) وقال ابن فارس: ((كل علم لشيء فهو فقه))، وقد كنا نود أن نُسمي كتابنا هذا باسم "فقه اللغة" لولا أن هذا الاسم قد خُصص مدلوله في الاستعمال المألوف، فأصبح لا يفهم منه إلا البحوث المتعلقة بفقه اللغة العربية وحدها" علم اللغة ص ١٣.

(٦) ص ٢٠ فقال: ((من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة، لأن جُل مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق الغرب. قديما وحديثا وقد سمح هذا التداخل أحيانا باطلاق كل من التسميتين على الأخرى ... وإذا التمسنا التفرقة بين هذين الضربين من ضروب الدراسة اللغوية، من خلال التسميتين المختلفتين اللتين تطلقان عليهما، وجدناها تافهة لأوزن لها ... وإنه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستدلوا بهذه التسمية القديمة شيئا. وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية، لأن كل علم لشيء فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات جميعا أن تسمى فقها)) ص ١٩-٢٠.

(٧) فقال: ((إن علم اللغة بهذا المفهوم الذي بسطناه والذي آل إليه الأمر في تطور البحث اللغوي نرى أن نطلق عليه أحد الاسمين (علم اللغة) أو (فقه اللغة) وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لباحث اللغة ... واطلاقنا على هذا العلم أحد الاسمين نكون قد جارينا قدماءنا الذين استعملوهما لكليهما، فأصابوا كل الإصابة في ذلك)) ص ٣٩-٤٠ ط٣ دار الفكر بيروت ١٩٦٨.

(٨) زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل - بيروت ١٩٧٥م، ٢/٤٤-٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك قول "يسبرسن" إن ((فقه اللغة مرادف عند الانجليز للدراسة المقارنة بين اللغات، بينما يعني عند الآخرين دراسة حضارة معينة لأمة ما))[١] . بالإضافة إلى أن ترجمة "فلولوجي "إلى فقه اللغة" ترجمة خاطئة، لأن مضمون "فلولوجي" عند الغرب مغايرٌ لمضمون "فقه اللغة" عند العرب، فمضمون مصطلح (فلولوجي) لم يكن مدار بحث عند اللغويين العرب القدماء، فقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب، خدمة للنص القرآني والحديث النبوي، وهم بهذا يدرسون نصوص لغة حية لا نصوص لغات ميتة كما فعل الغربيون، وفي هذا يقول ابن فارس: ((أقول إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلقٍ من العلم بالقرآن، والسنة، والفتيا بسبب، حتى لا غنى لأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازلٌ بلغة العرب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز – وما في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من كل كلمة عربية أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بُداً ...))[٢]

فقه اللغة:

إذا طالعنا مضمون هذه الكلمة في التراث اللغوي العربي، فإننا نجدُ أن أول ظهورٍ لها عنواناً لمؤلفٍ بعينه، كان في القرن الرابع الهجري، وهو كتاب "الصاحبي في فقه اللغة" لابن فارس، كما أشير حار اللغويون المحدثون في المعنى الذي كان يريده ابن فارس من هذه اللفظة؛ لأنه لم يذكر السبب الذي جعله يُسمي كتابه هذا الاسم، وتبعه في هذه التسمية الثعالبي، ولكنه لم يعلل تسمية كتابه هذا الاسم أيضاً، بل قال: إن ممدوحه[٣] هو الذي اقترح عليه اسم "فقه اللغة" وقد أكمل اسمه الثعالبي "بسر العربية": ((... وقد اخترت لترجمته، وما أجعله عنوان معرفته، ما اختاره أدام الله توفيقه من "فقه اللغة" وشفعته "بسر العربية" ليكون اسماً يوافق مسماه، ولفظاً يُطابق معناه ...))[٤] . ثم خبت جذوة هذا الاسم من مؤلفاتنا العربية إلى عصرنا الحالي، فقد بينا كيف أن هذا الاسم أصبح عنواناً لكثير من المؤلفات الحديثة. ولم نجدُ أحداً من القدامى وقف عند مضمون

---

(١) عبده الراجحي فقه اللغة في الكتب العربية ص ٢٦.

(٢) ابن فارس الصاحبي تحق: مصطفى الشويمي مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر – بيروت لبنان ١٩٦٣م ص ٦٤.

(٣) وهو ابن الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي .ت ٤٣٦هـ.

(٤) الثعالبي فقه اللغة وسر العربية تحق: مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ علي ط الأخيرة. شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ١٩٧٢. ص ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه اللفظة، أو ما السبب الذي دعا ابن فارس لتسمية كتابه هذا الاسم، إلا ما كان من ابن خلدون الذي عَرَضَ لمعنى هذه اللفظة، وقال: إنها دراسة دلالة الكلمة الخاصة التي كان لها معنىً عامٌ، وجعل مقياسه في التفريق بين دلالة الكلمة العامة والخاصة الوضع والاستعمال؛ لأننا نضع الكلمة في معنىً عام، ثم نجدُ أن الاستعمال يغير هذه الكلمة عن معناها الأصيل الذي وضعت له، فيقول: ((... ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى. خاصة بها، فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال، وأحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض، ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالاشهب، ومن الإنسان بالأزهر، ومن الغنم بالأملح، حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها لحناً، وخروجاً عن لسان العرب، واختص بالتأليف في هذا المنحنى الثعالبي، وأفرده في كتاب له سماه "فقه اللغة" وهو آكد ما يأخذ به اللغوي نفسه أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه: فليس معرفة الوضع الأول بكافٍ في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب، وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأديب في فني نظمه ونثره، حذراً من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها، وهو أشد من اللحن في الإعراب وأفحش))[١] .

واعتماداً على هذا التعريف، ذَهَبَ بعضُ المحدثين[٢] إلى القول إن "فقه اللغة كان معروفاً قبل الصاحبي "بالمقاييس الدلالية" [امثال: كتب أبي حنيفة في الأنواء والنبات، وكتب الأصمعي في الدارات والسلاح والإبل والخيل والشاء وأسماء الوحوش والنبات والشجر والنخيل والكرم. والمشترك اللفظي وكتب ابن قتيبة في الرحل والمنزل واللبأ، وكتب ابن دريد في صفات السرج واللجام والسحاب والغيب][٣] ولذلك، عدوا أفضل كتاب في فقه اللغة هو كتاب الثعالبي، لأنه قام على تقسيم الكلمات وفق معناها الدلالي، أو ما يُعرف "بالحقل الدلالي".

ويبدو أن الدارسين قد أغفلوا معنى "فقه اللغة" عند ابن فارس، لأنه لم يذكر السبب الذي دعاه لتسمية كتابه بهذا الاسم كما أشير إلى ذلك[٤]، إلا أنني أميل إلى القول:

---

(١) ابن خلدون المقدمة تحق: علي عبد الواحد وافي ط١، لجنة البيان العربي مصر ١٩٦٢م. ١٢٦١/٤.

(٢) عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف ساعدت جامعة بغداد في نشره: بغداد ١٩٦٦م.

(٣) السابق ٢٢-٣

(٤) انظر الرسالة ص (٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن ابن فارس كان مدركاً لدلالة فقه اللغة حين سمى كتابه هذا الاسم، فالفقه عنده هو إدراك الشيء، والعلم به[١] .

والإدراك أرفع مرتبة في العلم، والعلم يقتضي التعلم، أما الإدراك (الفقه) فيقتضي استخلاص قواعد عامة لموضوع ما كنت قد تعلمته سابقاً، وفقه اللغة عند ابن فارس هو الأسس الذهنية التي تقوم عليها اللغة، واستعمالاتها المختلفة، وهي مرحلة تأتي بعد مرحلة التعلم، فعندما قسم ابن فارس علوم العربية إلى فرع وهو الذي يبدأ به عند التعلم، وأصل، وهو دراسة اللغة في جميع جوانبها من نشوء واستعمال، وافتتان كان يريد بالأصل الفقه، ولا سيما أن دلالة الفقه تعني الاستنتاج والاستنباط، وذلك بين في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم علمه الدين، وفقهه في التأويل"[٢] في دعائه لابن عباس رضي الله عنه.

ودراية ابن فارس بدلالة الكلمة كبيرة جداً، ولا سيما أن ابن فارس من الفقهاء واللغويين: ((... فأقول: إن العلم العرب أصلاً وفرعاً: أما الفرع فمعرفة الاسماء والصفات، كقولنا: رجل، وفرس، وطويل، وقصير وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلم. وأما الأصل، فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ثم على رسوم العرب في مخاطباتها، وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً))[٣]. والذي دل على أن فقه اللغة يساوي "الأصل" عند ابن فارس، أنه بنى كتابه على الموضوعات التي صنفها تحت الأصل: فموضوع اللغة وأوليتها ومنشؤها كتب فيها أبواباً متعددة منها:

لغة العرب: أتوقيفٌ أم اصطلاح[٤]، والخط العربي وأول من كتب به[٥] ، ولغة العرب أفضل اللغات وأوسعها[٦] ، ولغة العرب: هل يجوز أن يُحاط بها[٧]، ومأخذ اللغات[٨].

---

(١) ابن فارس المقاييس ٤٤٢/٤ وانظر ابن فارس، حلية الفقهاء، تحق: عبد المحسن التركي ط١ الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت ١٩٨٣ ص ٢٣. فقد فرق ابن فارس بين مفهومي العلم والفقه.

(٢) انظر تعليق محمود الجفال على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتفريقه صلى الله عليه وسلم بين العلم والفقه، محمود الجفال، الدراسات اللغوية العربية وتطور واستخدام مصطلحي فقه اللغة وعلم اللغة غير منشور، بحث ألقاه في ندوة اللغة العربية المنعقدة في ١٧-١٨ نيسان ١٩٨٢م ص ٦-٧.

(٣) ابن فارس الصاحبي ٢٩.

(٤) ابن فارس الصاحبي ٣١-٣٤.

(٥) السابق ٣٤-٤٠.

(٦) السابق ٤٠-٤٧.

(٧) السابق ٤٧-٤٨.

(٨) السابق ٦٢-٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتب عن موضوع رسوم العرب في مخاطباتها أبواباً كثيرة، منها: اختلاف لغات العرب[١]، وأفصح العرب[٢]، واللغات المذمومة[٣]، واللغة التي نَزَل بها القرآن، وأنه ليس فيه شيء بغير العربية[٤]، والاحتجاج بالعربية[٥]، وهل للغة العرب قياس؟ وهل يُشتق بعض الكلام من بعض[٦] ...

وموضوع ما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً، فقد كتب فيه أيضاً أبواباً كثيرة، أهمها: باب معاني الكلام ومن أشهر موضوعات هذا الباب: الخبر والاستخبار والأمر والنهي، والدعاء، والطلب[٧] وباب الإغراء والحث - وأشهر موضوعاته التمني والتعجب، والخطاب يأتي بلفظ المذكر أو لجماعة الذكران[٨] ....

وقد يقول البعض؛ إذا كان الفقه عند ابن فارس هو الإدراك، فلماذا لم يُسم كتابه" إدراك اللغة"؟ فيجاب عن هذا بأن ذلك قد يكون عائداً إلى أنه أراد أن يُضفي على لغة العرب، ومضة من القداسة، ولذلك، أطلق عليه "فقه اللغة"، لأن الفقه من أهم أصول التشريع في الإسلام، وأعتقد أن الثعالبي عندما سمى كتابه "فقه الغة"، فإنه كان على معرفة بكتاب ابن فارس (الصاحبي). ولم يكن مجرد اسم اقترحه ممدوحه، والذي يؤكد ذلك أن ما سماه "سر العربية" هو نفسه الذي وضعه ابن فارس تحت "سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز[٩]، بالإضافة إلى أن الثعالبي كان مطلعاً على المعجمات الدلالية

---

(١) الصاحبي ٤٨-٥٢.

(٢) السابق ٥٢-٥٣.

(٣) السابق ٥٣-٥٧

(٤) السابق ٥٧-٦٢.

(٥) السابق ٦٣-٦٤.

(٦) السابق ٦٧.

(٧) السابق ١٧٩-١٨٧.

(٨) السابق ١٨٧ - ١٩٤.

(٩) نقل الثعالبي معظم القسم الثاني من كتاب الصاحبي "سنن العرب في كلامها" وأسماه "بسر العربية"، والذي يؤيد ذلك مماثلة أبواب كتابه مماثلة تامة لأبواب الصاحبي، ومثال ذلك: باب القلب: الصاحبي ٢٠٢ الثعالبي ٣٧١، باب الإبدال الصاحبي ٢٠٣ الثعالبي ٣٧٠، وباب الفرق بين ضدين بحرف أو حركة، الصاحبي ٢٢٥ الثعالبي ٣٧٩ وباب النحت، الصاحبي ٢٧١ والثعالبي ٣٧٨ وباب الإشباع والتأكيد الصاحبي ٢٧١ الثعالبي ٣٧٩. الإتباع، الصاحبي ٢٧٠ الثعالبي ٣٧٢.

وقد كان يأخذ أحياناً قسماً من أقسام باب عند ابن فارس ويجعله باباً بعينه أمثال: فصل في تسمية المتضادين باسم واحد، الثعالبي ٣٧١. فهو عند ابن فارس قسماً من باب" الاسماء كيف تقع على المسميات الصاحبي ٩٦-٩٨. وفعل في تقارب اللفظي، واختلاف المعنيين عند الثعالبي ٣٦٨. وهو قسم من باب أجناس الكلام في الإتفاق الافتراق عند ابن فارس ٢٠١-٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي ألفها القدماء، وبذلك، استقى منها فكرة القسم الأول من كتابه: واستقى اسم كتابه من كتاب ابن فارس كذلك، وقد شاع مفهوم الثعالبي لفقه اللغة لدى اللغويين، فقد أصبح فقه اللغة يعني دراسة دلالة الكلمة وتطورها نتيجة الاستعمال الذي أدى إلى تغيير معناها أو موقعها الذي وضعت له في الأصل. أو دراسة الكلمات التي يمكن وضعها تحت عنوان معين أو ما يُسمى حالياً "بالحقل الدلالي" مثل باب الأولاد(١)، وفي تفصيل الغني وترتيبه(٢)، وباب الكرم والجود(٣)، وفصل في الشجاعة وتفصيل أحوال الشجاع(٤)

وهذا الفهم لفقه اللغة هو المتخير عند ابن خلدون(٥) ٤٥٩٠٨٢

أما مفهوم فقه اللغة عند ابن فارس، فلم نجد أي باحث اختاره، وإن كان مفهوم ابن فارس لفقه اللغة، أعمق من مفهوم الثعالبي له: ولعل السيوطي هو الوحيد الذي أخذ بمفهوم ابن فارس لفقه اللغة في كتابه "المزهر" مع أنه أسماه "المزهر في علوم اللغة"(٦) ولم يسمه "المزهر في فقه اللغة" ولا يفوتنا الإشارة إلى أن ابن فارس كان مدركاً لمفهوم فقه اللغة عند الثعالبي، وفهمه هذا بيّن في معجمه المعنوي أو الدلالي. "متخير الألفاظ"(٧) ومن أبوابه: باب الغنى(٨)، وباب الجبن(٩)، وباب الشجاعة(١٠) "ومقالة في أسماء اعضاء الإنسان"(١١) – اللذين سأبين أثر ابن فارس فيهما في الفصل الأول.

٢ وقد انفرد ابن فارس في مفهومه لهذا المصطلح أو تبين جوانبه المختلفة، كما انفرد بإطلاق هذا المصطلح اسماً لمؤلف بعينه لأول مرة في تاريخ العربية، وبذلك، يحقُ لنا أن نقول إن ابن فارس كان رائداً في هذا المضمار لا مقلداً كالثعالبي.

---

(١) الثعالبي فقه اللغة ١١٣.

(٢) السابق ص ٨٤.

(٣) السابق ١٦٤.

(٤) السابق ٨٦.

(٥) ابن خلدون المقدمة ١٢٦١/٤.

(٦) السيوطي، المزهر، تحق: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم الناشر دار الفكر، لبنان.

(٧) ابن فارس، متخير الألفاظ تحقيق هلال ناجي المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي – الرباط، المملكة المغربية.

(٨) السابق ١٤٥.

(٩) السابق ١٦٨.

(١٠) السابق ١٤٧-١٤٨.

(١١) ابن فارس مقالة في أسماء أعضاء الإنسان تحقيق: فيصل دبدوب، مجلة المجمع العلمي بدمشق مجلد ٤٢ ج٢، ١٩٦٧، ٢٣٥-٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علـــم اللغـــة:

أما مصطلح علم اللغة، فلم يظهر اسماً لمؤلفٍ قديم، سوى ظهوره اسماً لكتاب السيوطي (ت ٩١١هـ) "المزهر في علوم اللغة" وإن كانت علوم اللغة عنده تماثل "علوم فقه اللغة" عند ابن فارس وقد كان علم اللغة بمفهومه الحالي، هو القسيم لعلم النحو في السابق فقد كانوا يسمون من كان له معرفة بكلام العرب وشعرها ونثرها وخطبها، ومفرداتها، عالماً باللغة أو لغوياً، ولذلك قالوا إن أشهر اللغويين قديماً أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وابن دريد وابن فارس .... قال عبد اللطيف البغدادي في "شرح الخطب النباتية" عندما فرق بين اللغوي والنحوي: ((اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، أما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه...))(١) وأن بداية هذا العلم كانت بتأليف رسائل لغوية صغيرة ترتب المفردات بطريقة منظمة مثل: رسالة في أسماء البئر والإبل وخلق الإنسان وغيرها(٢) .

وقد تطور هذا العلم نتيجة ظهور مؤلفات كثيرة، وجديدة أمثال: العين للخليل بن أحمد والتهذيب للأزهري، والجمهرة لابن دريد، والمجمل والمقاييس لابن فارس. والصحاح للجوهري... فأصبح يعني علم جمع المفردات أو المعجمات، وقد كان هذا المعنى هو المختار عند ابن خلدون الذي اعتبر أن علم اللغة، هو علم المعجمات التي تحفظ مفردات اللغة من الضياع والتغيير، بسبب اختلاط العرب مع الأمم الأخرى. فيقول: ((هذا العلم هوبيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم، ومخالطتهم، حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلاً مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن، والحديث، فشمر كثيرٌ من أئمة اللسان لذلك، وألفوا الدواوين، وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي، ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي.....))(٣) .

---

(١) السيوطي المزهر ١/٥٩.

(٢) حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٩٣م. ص ٢٨.

(٣) ابن خلدون المقدمة ٤/١٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في وقتنا الحاضر، فقد أصبح "علم اللغة" يعني الدراسة العلمية للغة دراسةً وصفية تحليلية، دون النظر لبعدها الزماني أو المكاني، وإنما تُدرس بوصفها ظاهرة علمية حالها حال أي ظاهرة فيزائية طبيعية – وهو بهذا يماثل المفهوم الغربي لعلم اللغة أو "اللنغويستك" – ولذلك فإن اتصاله في –وقتنا الحاضر– بعلوم التاريخ والفلسفة اتصال قليل، وإن أكثر العلوم التي يتصل بها هي علم النفس، وعلم الاجتماع، (فالنظرية الرمزية) يدرسها علم اللغة وعلم النفس، وكذلك يدرس علم اللغة بالتعاون مع علم الاجتماع (نظرية الظرف الاجتماعي)(١)، والمطلع على منهج دراسة اللغة عند الأقدمين، ومنهج دراستها عند المحدثين يلحظ عدة فروق:

١– أن علماء اللغة الأقدمين كانوا لا يأخذون الألفاظ أو الاشعار من القبائل التي لها مجاورة مع العجم، بالإضافة إلى أنهم كانوا لا يأخذون إلا كلام العرب الذي قيل، في عصر الاحتجاج، الذي حددوه على الأغلب سنة ٢٠٠هـ أما المحدثون، فإنهم يدرسون الظاهرة اللغوية سواء أكانت هذه الظاهرة موجودة من ألف عام أم وجدت الآن، وسواء أشاعت هذه الظاهرة اللغوية في المدينة أم البادية، فإنهم لا يأبهون بالبعدين الزماني والمكاني اللذين كان يأبه بهما القدماء(٢) .

٢– لم يهتم العرب بلهجات العوام أما اليوم فقد أصبحت مصدراً للدراسات اللغوية(٣).

٣– كانت الدراسات اللغوية قديماً مقتصرةً على اللغة العربية أما في العصر الحالي، فقد توسعت هذه الدراسات وأصبحت تشمل لغات كثيرة(٤) .

فكتاب "فقه اللغة" لعلي وافي يدرس اللغة العربية ومدى مماثلتها اللغات السامية(٥)، وكذلك صبحي الصالح في كتابه "دراسات في فقه العربية(٦) وجورجي زيدان في كتابه "الفلسفة اللغوية"(٧) وابراهيم السامرائي في كتابه "فقه اللغة المقارن"(٨).

---

(١) عبد الرحمن أيوب محاضرات في اللغة ص ٨.

(٢) القبائل التي كان كلامها حجة في اللغة، ذكرها الفارابي في كتاب، الحروف، تحق: محسن مهدي، دار المشرق بيروت – لبنان ١٩٦٩م. ص ١٤٦–١٤٧. وابن جني في الخصائص تحقيق: علي النجار ط٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الشوون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٠ ٢/٧–١٢، والسيوطي في المزهر ١/٢١٢ والسيوطي في الاقتراح ط٢ صححه عبد الرحمن بن يحيى اليماني والشيخ سعيد بن عبد الله العمودي. إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر/ آباد الدكن ١٣٥٩هـ ص ١٩–٢٠، وعبد الرحمن أيوب في محاضرات في علم اللغة ص ٥.

(٣) عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة ص ٦.

(٤) عبد الرحمن أيوب محاضرات في اللغة ص ٦.

(٥) ٤–١٥٧.

(٦) ٣٢–١٠٥.

(٧) ط١ دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٩٨٢م، ١١–١٥٣.

(٨) دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨ ص ٥١–لنهاية الكتاب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

ابن فارس اللغوي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

ابن فارس اللغوي

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي(١)، القزويني، الهمذاني الزهراوي(٢)، الاستاذ خرذي(٣) ، الفقيه، المحدث النحوي، اللغوي.

لم يُشر القدماء جميعهم للسنة التي وُلدَ فيها ابنُ فارس عدا ابن فرحون في الديباج المذهب"(٤) الذي قال إن ولادته كانت في سنة ٣٠٦هـ أو ٣٠٨، وهو المرجح عندي أما ما ذهبَ إليه هلال ناجي(٥) أن سنة ولادته٣١٢هـ. والزركلي(٦) سنة ٣٢٩هـ فهو كلامٌ لا يؤخذ به، أما بالنسبة لسنة وفاته، فقد اختلف فيها(٧) وأرجحُ قول عندي أن سنة وفاته كانت

---

(١) نسبة إلى الري. مدينة في بلاد الديلم، والزاي زائدة فيهما، زادوها في المروزي عند النسبة إلى مرو الشاهجان، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحق احسان عباس دار صادر، بيروت، ١٩٧٠ ١/١١٩-١٢٠ وأحمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني روضات الجنات تحق: أسد الله اسماعيلين، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ١٣٩٠هـ ١٠/٢٣٢.

والري هي مدينة طهران اليوم ذكرها السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ط٢ مطبعة الإنصاف بيروت – لبنان ١٩٦٠ ٩/١٤١.

(٢) الزهراوي: نسبة إلى رستاق الزهراء التي كانت إحدى قراها مسقط رأس إمامنا على الأغلب، وأقصد بذلك قرية كرسف، وبذلك يقول ياقوت: ((حدثني والدي محمد بن أحمد وكان في جملة حاضري مجالسه، قال: أتاه اتٍ فسأله عن وطنه فقال كرسف. قال فتمثل الشيخ:

بلادٌ بها شُدت على تمائمي وأولُ أرضٍ مس جلدي ترابُها))

ياقوت الحموي، معجم الأدباء تحق: إحسان عباس ط١ دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان ١٩٩٣م ١/٤١٦. القفطي إنباه الرواة: تحق: محمد أبو الفضل ابراهيم ط١ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٠م ١/٩٤.

(٣) الاستاذ خرذي: نسبة إلى أستاذ خرذ، وهي قرية من قُرى الري ابن فارس المجمل تحق زهير عبد المحسن سلطان. ط١ مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان ١٩٨٤م. مقدمة المحقق (١/١١) وسبب انتسابه إليها، قد يكون عائداً إلى سكنه فيها، أو إقامته بها حيناً من الزمن، وذلك لأنه قضى سنوات عديدة في الري، ياقوت الحموي معجم الأدباء ١/٤١٦. والقفطي إنباه الرواة ١/٩٤ وقد صحفها القفطي إلى الأشتاجردي.

(٤) ابن فرحون، الديباج في المذهب ط١ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٢٩هـ ص ٣٥. وقد صُحف التاريخ إلى ٣٠٦هـ و٣٠٨هـ وهذا غلط.

(٥) ابن فارس أوجز السير لخير البشر تحق: هلال ناجي مستلة من مجلة المورد بغداد مجلد ٢ عدد ٤ ١٩٧٣م، ص ١٤٣.

(٦) الزركلي الأعلام ط٩ دار العلم للملايين بيروت – لبنان ١٩٩٠، ١/١٩٣.

(٧) الأغلب أن وفاته سنة ٣٩٥هـ، ولكن بعضهم خلط بين وفاته. ووفاة أبيه فقال: إنها كانت سنة ٣٦٩هـ منهم ابن الأثير في الكامل في التاريخ دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٦٦ ٨/٧١١، وابن الجوزي في المنتظم تحق، محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ط١ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٩٩٢م ١٤/٢٧٤. ومنهم من رجح وفاته سنة ٣٩٠ هـ منهم ابن خلكان وفيات الأعيان ١/١١٩ واليافعي في مرآة الجنان ط١ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ١٣٣٨هـ ٢/٤٤٢. والخوانساري روضات الجنات ١/٢٣٤. ابن العماد شذرات الذهب تحق: محمود الأرناؤوط ط١ دار ابن كثير بيروت – دمشق ١٩٨٩م ٤/٤٨٠.

وابن كثير البداية والنهاية تحق: أحمد أبو ملحم وعلي نجيب عطوي وفؤاد السيد ومهدي ناصر الدين، وعلي عبد الساتر – ط٣، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٩٨٧م، ١١/٣٥٠ وغيرهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في صفر سنة ٣٩٥هـ بالري، ودُفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة أبي الحسن بن علي بن عبد العزيز الجرجاني(١) وذلك لأنني وجدتُ في خاتمة كتاب "تمام فصيح الكلام" نصاً يؤكد ما ذهبتُ إليه: ((وكتبه أحمد بن فارس بن زكريا بخطه في شهر رمضان سنة ثلث وتسعين وثلثمائة بالمحمدية))(٢) .

ولستُ هنا بصدد الحديث المفصل عن ابن فارس، فقد كفتني مؤونة ذلك كتب كثيرة يمكن الاطلاع عليها في الثبت الملحق بنهاية هذا البحث.

وعَهدُنا في علماء القرن الرابع الهجري، إتقان العديد من العلوم اللغوية والشرعية، والفلسفية، وابنُ فارس واحدٌ من هؤلاء العلماء الذين أتقنوا علوماً جمةً، من أهمها التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والغريب واللغة التي مَلَكَ ناصيتها، واسترق حواشيها، واصبح الغريبُ عنده ليس بغريب: ((... وإذا وَجدَ فقيهاً أو متكلماً أو نحوياً كان يأمر أصحابه بسؤالهم إياه، ويناظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه، فإذا وجده بارعاً جدلاً جَره في المجادلة إلى اللغة فيغلبه بها...))(٣)

فقد كان ابن فارس من هؤلاء اللغويين البارعين الذين ملكوا ناصية تلك العلوم وتظهر معرفته بعلم التفسير من تآليفه المختلفة في هذا المجال أمثال: "جامع التأويل في تفسير القرآن .. وهو أربعة مجلدات(٤) ، ورسالة كلا(٥) وكتاب الجوابات(٦) .

أما معرفته بعلوم الحديث، فلها أمارات كثيرة، منها:

١- ذهابه إلى بغداد طلباً للحديث(٧)

٢- ذكر اسمه في سلسلة سند لأحد الأحاديث النبوية(٨)

---

(١) انظر: ياقوت الحموي معجم الأدباء ٤١٦/١، والقفطي. انباه الرواة ٩٥/١. الذهبي سير اعلام النبلاء تحق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوس ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م، ١٠٣/١٧-١٠٦ والبغدادي في المستفاد تحق: محمد مولود خلف ط١ مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان ١٩٨٦م ١٦٩ وابن ثغري بردي النجوم الزاهرة تحق: محمد حسين شمس الدين ط١ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٩٩٢م ١١٨/٤. والملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابي الفدا "المختصر في اخبار البشر ط١ المطبعة الحسينية المصرية ١٣٥/٢.

(٢) ابن فارس تمام فصيح الكلام، رسائل في النحو ،واللغة د. مصطفى جواد، ويوسف يعقوب مسكوني. دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٩م. ص ٣٥.

(٣) القفطي إنباه الرواة ٩٤/١.

(٤) ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٤١٢/١ والصفدي في الوافي بالوفيات ط٣ الناشر فرانزشتايز شتو مطابع دار صادر بيروت - لبنان، ١٩٩١م، ٢٧٩/٧. والفيروز آبادي. البلغة تحق: محمد المصري منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٢م ص ١١٠. والسيد محسن الأمين أعيان الشيعة ١٤٠/٩ واسماعيل باشا البغدادي. هدية العارفين دار الفكر، بيروت - لبنان ١٩٨٢م ٦٨/١-٦٩.

(٥) ابن فارس مقالة كلا .. وهي منشورة تحق: أحمد حسن فرحات ط١ مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق ١٩٨٢ ص ٣٥.

(٦) ذكره ابن فارس في الصاحبي ٢٤٢. وهلال ناجي في أوجز السير ١٤٤.

(٧) ذكر القصة ياقوت الحموي في معجم الأباء ٤١٤/١ والبغدادي في المستفاد ١٦٨.

(٨) ذكر السند والحديث الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠٥/١٧-١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- تأليفه كتباً في هذا المضمار: امثال.

أ- أوجز السير لخير البشر(١) ب- فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم(٢)

جـ- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم(٣).

أما براعته في الفقه، فقد كانت تماثل براعته في اللغة، إذ كان يستخدم اللغة ودقائقها لاستنتاج حكم فقهي، ويظهر ذلك في كتبه أمثال:

أ- حلية الفقهاء (شرح مختصر المزني)(٤) ب- فيتافقية العرب (مسائل في اللغة)(٥)

جـ- مقدمة في الفرائض(٦) د- أصول الفقه(٧)

وتظهر كفايته في الفقه أيضاً في تنقله الفقهي، فقد رُوي أنه كان فقهياً شافعياً كأبيه في همدان، ولكنه عندما استدعي إلى الري لينتلمذ له مجد الدولة أبو طالب بن بويه الديلمي صاحب الري، أصبح فقيهاً مالكياً، وقد علل تحوله هذا بقوله: ((دخلتني الحمية لهذا الإمام المقبول على جميع الألسنة أن يخلو مثل هذا البلد "يعني الري" عن مذهبه. فعمرت مشهد الانتساب إليه حتى يكمل لهذا البلد فخره، فإن الري أجمع البلاد للمقالات والاختلافات في المذاهب على تضادها وكثرتها))(٨) وقد ذهب بعض المحدثين إلى القول بتشيع ابن فارس. وأتوا بدلائل واهية على ذلك لا يعاج بها لأنها تدل على انه كان سنياً لا شيعياً ولا سيما أن القدماء لم ينصوا على ذلك، وإنما نصوا على أنه سني على مذهب أهل الحديث(٩). وقد ناقش هذه القضية عبد المحسن الأمين في أعيان الشيعة(١٠) ومصطفى

---

(١) قام بتحقيقها هلال ناجي ونشرها في مجلة المورد مجلد ٤ عدد ٢ ص ١٤٣.

(٢) اسماعيل باشا البغدادي هدية العارفين ٦٨/١-٦٩ وهلال ناجي أوجز السير ص ١٤٤.

(٣) ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٤١٢/١، والداوودي في طبقات المفسرين تحق: لجنة من العلماء باشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ٦١/١. واسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين ٦٨/١-٦٩.

(٤) محقق، حققه: عبد المحسن التركي ط١ الشركة المتحدة للتوزيع بيروت - لبنان ١٩٨٣م.

(٥) تحق: حسين علي محفوظ، مجلة المجمع العلمي بدمشق مجلد ٣٣ ج٣، ٤٤٣-٤٦٦ وج٤، ٦٣٣-٦٥٦.

(٦) ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٤١٢/١ والصفدي في الوافي بالوفيات ٢٧٩/٧.

(٧) ذكره ياقوت في المعجم ٤١٢/١ والصفدي في الوافي ٢٧٩/٧.

(٨) تحوله الفقهي ذكره ابن الانباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ٣٢١ - وياقوت الحموي معجم الأدباء ٤١١/١. البغدادي المستفاد ١٦٨. والصفدي الوافي بالوفيات ٢٧٨/٧. السيوطي طبقات المفسرين ط١ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٨٣. ١٦/١. والسيوطي أيضا بغية الوعاة تحق: محمد أبو الفضل ابراهيم ط٢. دار الفكر بيروت- لبنان ١٩٧٩ ٣٥٢/١ .. الداوودي طبقات المفسرين ٦٠/١-٦١. الخوانساري روضات الجنان ٢٣٢/١ - ٢٣٣. وغيرهم.

(٩) القفطي إنباه الرواة ٩٥/١. والذهبي سير اعلام النبلاء، ١٠٥/١٧، وابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢١٣/٤.

(١٠) ٩/ ١٤١- ١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشويمي محقق كتاب الصاحبي لابن فارس(١) وهلال ناجي محقق كتاب متخير الألفاظ لابن فارس(٢) وزهير عبد المحسن سلطان في مقدمة مجمل اللغة لابن فارس.(٣).

أما معرفته في النحو، فقد كانتْ تقاسم معرفته في الفقه، ويظهر ذلك من مؤلفاته، ومنها:

أ- غريب إعراب القرآن(٤)

ب- مقدمة في النحو(٥)

جـ- كفاية المتعلمين من اختلاف النحويين(٦)

د- الانتصار لثعلب(٧)

هـ- رسالة "كلا"(٨)

و- واللامات(٩)

وقد أجمعَ القدماء على أن ابن فارس كان يذهب مذهب الكوفيين. ولعل الذي جعلهم يقولون ذلك تتلمذه على راوية ثعلب، أبو بكر أحمد بن الخطيب وكتابه الذي أسماه "الانتصار لثعلب" وأخذه عن كتب الكوفيين وأقوالهم أمثال ابن الأعرابي أو الكسائي وثعلب والفراء. ولا يمكننا أن نتأكد من صحة هذه المقولة على وجه الدقة، لأن معظم كتب ابن فارس النحوية السابقة الذكر مفقودةٌ.

ولكن المرجح أن ابن فارس كان متوسطاً بين المذهبين، إذ كان يعرضُ آراءَ البصريين والكوفيين، ويأخذ الرأي الذي يراه أقوى حجةً، وهذا بينٌ في كتابه "الصاحبي" الذي وضع فيه باباً واسعاً، ناقش فيه مفهوم الاسم والفعل والحرف، ثم أفردَ باباً تحدث فيه

---

(١) ص ٩.

(٢) المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط. المملكة المغربية ص ٩-١١.

(٣) ١/ ١٣- ١٤.

(٤) ذكره ياقوت في المعجم ٤١١/١ والبغدادي المستفاد ١٦٩. أبو البركات الأنباري نزهة الألباء ٣٢١. الصفدي الوافي بالوفيات ٢٧٩/٧. الداودي طبقات المفسرين ٦١/١.

(٥) ابن الانباري نزهة الألباء ٣٢١. الصفدي الوافي بالوفيات ٢٧٩/٧ طاش كبري زادة مفتاح السعادة تحق: كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور دار الكتب الحديثة مطبعة الاستقلال الكبرى ١٠٩/١ الخوانساري، روضات الجنات ٢٣٣/١ وياقوت في المعجم ٤١١/١ والسيوطي في البغية ٣٥٢/١.

(٦) ذكره ياقوت الحموي معجم الأدباء ٤١٢/١. الخوانساري، روضات الجنات ٢٣٣/١، الصفدي الوافي بالوفيات ٢٧٩/٧ طاش كبري زادة مفتاح السعادة ١١٠/١ السيوطي البغية ٣٥٢/١. الداودي طبقات المفسرين ٦٠/١. والسيوطي أيضا في طبقات المفسرين ١٦/١.

(٧) ذكره الخوانساري روضات الجنات ٢٣٣/١ طاش كبري زادة مفتاح السعادة ١١٠/١. السيوطي البغية ٣٥٢/١. هدية العارفين ٦٩/١، الداودي في طبقاته ٦١/١.

(٨) مطبوعة تحق: أحمد حسن فرحات ط١، مؤسسة الخانجي بدمشق ١٩٨٢م ص ٣٥-٥١.

(٩) تحق: برجستراسر مجلة اسلاميكا ج١ سنة ١٩٢٥م ص ٧٧-٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن حروف المباني والمعاني. فنجده يأخذ برأي البصريين في مواضع كثيرة(١) منها ترجيحه لقول سيبوية في باب "الحرف".

أما أشهر المواضع(٢) التي رأى ما يراه الكوفيون فمنها تأييده لقول الكسائي في ما هو الفعل(٣).

وهذا لا يعني أن ابن فارس كان مجرد ناقل لآراء البصريين والكوفيين، بل كان يرفضُ رأى المدرستين كلتيهما، وينقده في مواضع بعينها من أهمها: باب أقسام الكلام"(٤) وفيه ينقدُ ابنُ فارس آراءَ علماء البصرة والكوفة في تحديد صفات الاسم ومميزاته.

وأنكر على الفراء أن يكون هو أول من اهتدى إلى أن "أو" في الآية الكريمة ﴿مائة ألفٍ أو يزيدون﴾ بمعنى "بل"، وأنكرَ كذلك قول البصريين إن "بل" لا تأتي للإضراب .. إلا بعد غلطٍ أو نسيان(٥).

وقد كان ابن فارس من العلماء الذين أجازوا الإحتجاج بالحديث النبوي على صحة القاعدة النحوية، ويظهر ذلك في مواضع عديدة من كتابه "الصاحبي(٦) مثال ذلك: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله – جل ثناؤه – أعددتُ لعباديَ الصالحين، ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سَمِعت ولا خَطَرَ على قلبِ بشر. بله ما اطلعتم عليه، قالوا معناه: سِوى، ودَعْ ...))(٧)

وابن فارس من الذين سخروا من النحويين الذين كانوا يتكلفون لاثبات قاعدتهم النحوية عللاً كلامية لا تتسم مع حقائق العربية.

فقال:

مرت بنا هيفاء مقدودة تركية تنمي لتركي

---

(١) أشهر المواضع التي أيد فيها البصريين في كتابه الصاحبي باب الحرف ٨٦. وباب القول على الاسم من أن شيء أخذ ٨٨-٨٩. باب ليس. ١٦٩ – ١٧٠ وباب أم ١٢٥-١٢٦ وباب إن وأن وإن وأن ص ١٣٠-١٣٢، وباب الاسمين المصطحبين ص ٩٩. وباب الأن ١٤٣-١٤٤ وباب لن ١٦٥ وباب الفاء ١٠٩ وباب لعل ١٧٠ وباب بل ١٤٥-١٤٦.

(٢) من أشهر المواضع التي أيد فيها الكوفيين في كتابه الصاحبي باب سيما ١٥٥ وباب إنما ١٣٣ وباب الكاف ١١١. وباب التاء ١٠٨-١٠٩، وباب أم ١٢٦. باب بل ١٤٥ – ١٤٦.

(٣) باب الفعل ص ٨٥-٨٦.

(٤) ابن فارس الصاحبي ٨٢-٨٥.

(٥) الصاحبي ١٢٨.

(٦) منها ١١٣ و١٢٤ و١٣٧-١٣٨ و١٤١.

(٧) الصاحبي ١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترنو بطرفٍ فاترٍ فاترِ أضعفُ من حجة نحوي(١)

وأهم عامل جعل ابن فارس حاذقاً في تلك العلوم براعته في اللغة وعلومها المختلفة.

ابن فارس اللغوي:

بينا أن ابن فارس كان يمتلكُ عدة اللغوي البارع، لذلك، نُسب إليها في جميع المصادر التي كتبت عنه. فهو إمامها وخطيبها المصقع. وذلك لأنه غاص بحرها، وسبر كنه أغوارها، وجاب نجادها ووهادها ورادَ مرُوجَها، ووردَ مناهلها، وولى وجهه شطرها(٢)

وتبرز كفايته اللغوية في عدة مظاهر أهمها:

١- المصادر التي استقى منها مادته اللغوية وأهمها:

أ- أساتذته: تتلمذ ابن فارس لأساتذة كبار جمعوا بين عددٍ من العلوم: منها علوم الفقه والتفسير، والحديث والنحو واللغة. ولذلك كان ابنُ فارس بارعاً في تلك العلوم، ولا سيما اللغة. أما أشهر أساتذته فهم:

أبو الحسن علي بن إبراهيم القطان القزويني المفسر المحدث، الفقيه اللغوي النحوي(٣).

وأبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب النحوي اللغوي(٤)، وأبو عبد الله أحمد بن طاهر المنجم ت ٣٦٠هـ الحافظ المحدث(٥)، وأبو القاسم الطبراني المحدث

---

(١) أبو منصور الثعالبي يتيمة الدهر تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية القاهرة ٣/٤٠٢-٤٠٣.

(٢) حفني ناصف مميزات لغات العرب ط١ المطبعة الكبرى الأميرية مصر ١٣٠٤هـ ص ٢.

(٣) هو أبو الحسن علي بن ابراهيم من سلمة بن بحر القطان القزويني. أديب فاضل ومحدث حافظ لقي المبرد وثعلبا وابن أبي الدنيا. وسمع أبا حاتم الرازي ارتحل إليه ثلاث سنين، ومحمد بن الفرج الأزرق وغيرهم. وذكر ابن فارس في أماليه أنه سمع القطان بعد ما علت سنة وضعف يقول: "كنت حين خرجتُ من الرحلة احفظ مائة ألف حديث وأنا اليوم لا أقوم على حفظ مائة حديث، وسمعته يقول: أصبتُ ببصري وأظن أني عوقبت بكثرة بكاء أمي أيام فراقي لها في طلب الحديث والعلم" ترجمته عند ياقوت الحموي معجم الأدباء ٤/١٦٤٢ ١٦٤٣ الزركلي الأعلام ٤/٢٥٠ ذكر ضمن شيوخه في المراجع التي ترجمت لحياة ابن فارس في الملحق

(٤) وقد روى كتب ثعلب جميعها، ولذلك لقب براوية ثعلب وذكرته ضمن شيوخه معظم المصادر والمراجع في الملحق في نهاية الرسالة.

(٥) أحمد بن طاهر المنجم، الحافظ المتقن، الثبت أبو عبد الله المبانجي سمع عبد الله بن أحمد بن حنبل. وأبا مسلم الكجي، وعنه ابن فارس، وقال: ما رأيت مثله وما رأى هو مثل نفسه مات بعد الخمسين وثلاثمائة" ترجم له السيوطي في طبقات الحفاظ تحق: علي محمد عمر ط١ مكتبة وهبة عابدين ١٩٧٣م. ص ١/٣٧٧ ذكر ضمن شيوخه في المصادر والمراجع المذكورة في الملحق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفقية(١) ووالده فارس بن زكريا بن حبيب الفقيه اللغوي(٢) وغيرهم: ذكرهم ابن فارس في اسانيد كتبه المختلفة.

ب- روايته عن علماءَ مشهورين في اللغة، أمثال: أبي عمرو بن العلاء(٣) والخليل بن أحمد الفراهيدي(٤) وابن الأعرابي(٥) وثعلب(٦) والمبرد(٧) والفراء(٨) والكسائي(٩) والأصمعي(١٠) وأبي عبيدة(١١) وأبي زيد الأنصاري(١٢) وابن دريد(١٣) وابن قتيبة(١٤) وأبي عبيد(١٥)، وأبي عمرو الشيباني(١٦) ، وفارس بن زكريا (والده)(١٧).

جـ- نقله عن الكتب الأمات مثل: العين للخليل بن أحمد(١٨) ، والكتاب لسيبوية(١٩) ، والنوادر الكبيرة والصغيرة لابن الأعرابي(٢٠) ، والمقتضب للمبرد(٢١) ، وإصلاح المنطق

---

(١) سليمان بن أحمد بن ايوب بن مطير اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير وُلد سنة ٢٦٠هـ بطبرية الشام. وتُوفي في أصبهان سنة ٣٦٠هـ ترجم له ابن خلكان، وفيات الأعيان ٤٠٧/٢ الزركلي الأعلام ١٢١/٣. وذكر ضمن شيوخه في معظم المصادر والمراجع التي ذُكرت في الملحق آخر الرسالة.

(٢) فقيه شافعي لغوي توفي ٣٦٩ في بغداد، وروى عنه ابن فارس كتباً مثل: اصلاح المنطق لابن السكيت ذكر ذلك . ابن فارس في كتابه المقاييس ٥/١ وروى عنه في كتبه مثال ذلك: "... سمعت أبي يقول: قيل الأعرابي: ما القلم؟ فقال لا أدري فقيل له توهمه، فقال: هو عُود قُلم من جانبيه كتقليم الأظفور فسمي قلما: انظر ابن فارس الصاحبي ٩٨-٩٩ و٢٧٧. ذُكر ضمن شيوخه في المصادر والمراجع في الملحق.

(٣) ابن فارس مجمل اللغة تحق: الشيخ هادي حسن حمودي. ط١ منشورات معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الصفاة - الكويت، ١٩٨٥م مادة حس ١١/٢-١٢ ومادة "حَضَرَ" ٧٥/٢ وانظر بن فارس الصاحبي ٣٩ و٥٧ و٨٠.

(٤) انظر ابن فارس المجمل السابق ١٤٣/١ مادة شفق ١٦٦/٣ ومادة شعب ١٦١/٣. وابن فارس الصاحبي ١٩٣.

(٥) المجمل السابق ١٤٣/١ ومادة سلب ٨٣/٣. ومادة "شلو" ١٧٤/٢. ومادة أبَدَ" ١٥٦/١.. والصاحبي ١٣٣ و١٩٢.

(٦) انظر المجمل مادة "أرك" ١٨١/١. وأزر" ١٨٨/١ وبرد" ٢٦٠/١ وبرص" ٢٥٢/١ "وعَرَب" ٤٧٩/٣ .. وانظر المواد التالية في المقاييس مادة عسر ٣٢٠/٤ والصاحبي ٧٣ و٩٨ و١٣٣.

(٧) الصاحبي ٨٤ و٨٣ و٢٦٤.

(٨) انظر المواد التالية في المجمل ١٦٧/٣ ومادة ثمغ ٣٦٨/١ ومادة "صلح" ٢٣٧/٣ ومادة جس" ١١/٢. والصاحبي ٣٩، ١٠٩و ١٣٣.

(٩) انظر المواد في المجمل ١٤٣/١ ومادة (عَرَق) ٤٧٥/٣.

(١٠) المجمل ١٤٣/١ ومادة "سلب" ٨٣/٣ ومادة ضر ٢٨٠/٣ والصاحبي ٤٤ و٩٩. ابن فارس يُكثر الرواية عن الأصمعي.

(١١) المجمل ١٤٣/١ ومادة برد ٢٦٠/١ ومادة "سر" ٦٢/٣.

(١٢) المجمل ١٤٣/١.

(١٣) المجمل ١٤٣/١ المقاييس ٥/١ الصاحبي ٤٤و ٥٤و ٩١.

(١٤) المجمل ١٤٣/١ مادة "عقل" ٣٨٧/٣ ومادة "شطر" ١٥٩/٣٠٠ ومادة "صلت" ٢٣٥/٣. والصاحبي ١٨٩.

(١٥) المجمل ١٤٣/١ ومادة "عَرَق" ٤٧٤/٣ مادة "حرس" ٤٢/٢ الصاحبي ٨٠، ٩١، ٩٩.

(١٦) المجمل ١٤٣/١

(١٧) الصاحبي ٩٨، ٢٧٧.

(١٨) المقاييس ٣/١-٤ ومادة خدم ١٦٢/٢ وخدع" ١٦١/٢. المجمل مادة شفه ١٦٧/٣ مادة "صهر" ٢٤٥/٣. ومادة "أوى" ٢١٣/١. والصاحبي ٤٧ ز ٦٩

(١٩) المجمل مادة "أية" ٢١٣/١ والصاحبي ٨٢ و٨٣ و٨٥ و١٤٤.

(٢٠) المجمل مادة "صهر" ٢٤٥/٣، ومادة "عت" ٣٧٥/٣. ومادة غبَرَ" ٣٠/٤ ومادة فسق" ٩٩/٤.

(٢١) الصاحبي ٨٤ و١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لابن السكيت(١) ، وكتاب الإبل للأصمعي(٢) ، والجمهرة لابن دريد(٣) ، والغريب المصنف وغريب الحديث لأبي عبيد(٤) وكتاب الجيم لأبي عمر الشيباني(٥) .

وقد كان ينقلُ أحياناً دون أن يرد القول إلى صاحبه أو المؤلف الذي أخذ منه. ولعل ذلك عائدُ لشهرة تلك المؤلفاتُ، بالإضافة إلى أنه قال إن مادته موجودة في بطون مؤلفات سابقيه(٦) .

ومثال ذلك: تأويل مشكل القرآن لأبن قتيبة(٧) ومجاز القرآن لأبي عبيدة(٨).

د - الحفظ والسماع:

يمكننا أن نقول إن ابن فارس من الذين كانوا يمتازون بحافظة قوية وذلك بينّ في أماكن عديدة من كتبه(٩)، لا يمكنُ حصرها.

أما السماع، فمعظم علمة قد أخذه بهذه الطريقة، والمواضع التي تدل عليها في كتبه كثيرة أيضاً، ولا يمكن حصرها ومنها: قوله: ((... وسمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن داوود الفقيه يقول ..))(١٠) ، وقوله: ((... وسمعت أبا بكر محمد بن أحمد البصير، وأبا محمد سلم بن الحسن يقولان..))(١١)

وقوله: ((.... غير أني سمعت أبا الحسين أحمد بن علي الأحول يقول...))(١٢) . وقد كان يشيرُ إلى العبارات التي لم يسمعها سماعاً بقوله: ((.. وذُكر عن الخليل، ولم اسمعه سماعاً أنه قال في قوله تعالى..))(١٣)

---

(١) المقاييس ١/٥. والصاحبي ١٩٣. المجمل مادة "ضرب" ٣١٢/٣ وضلع ٢٨٨/٣.

(٢) المجمل مادة "بهو" ٢٩٥/١.

(٣) المقاييس ٥/١ المجمل مادة "شفق" ١٦٦/٣، مادة "سع" ٥١/٣. ومادة "شلو" ١٧٤/٣. الصاحبي ٢٩٥.

(٤) المقاييس ٤/١ المجمل مادة "ضر" ٢٨١/٣. ومادة "عَوَر" ٤٢١/٣-٤٢٢. و"غبر" ٣٠/٤ و"تمس" ٤٣٩/٤ وعرق ٤٧٣/٣ و٤٧٤.

(٥) المجمل المواد طلق ٣٣٠/٣ وطنف" ٣٣٤/٣ وغر" ٩/٤.

(٦) الصاحبي ٣١.

(٧) تحق السيد أحمد صقر دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي. وشركاه ص ١٥-١٦ وفي الصاحبي ٤٤.

(٨) علق عليه وعارضه بأصوله محمد فؤاد سزكين ط١ الناشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي مصر ١٩٥٤م.ص١٧ وفي الصاحبي٥٩.

(٩) ابن فارس الصاحبي "باب أقسام الكلام" ٨٢، ٨٥، ٨٦، وانظر ١٠٩، ١١٩، ١٣٤.

(١٠) الصاحبي ٨٣.

(١١) السابق ٨٤.

(١٢) السابق ٨٨-٨٩ وانظر في ذلك ص ٩٩ والمجمل ١٨١/١.

(١٣) الصاحبي ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- تأليفه المعجمات اللغوية ومعجمات المعاني:-

أ- المعجمات اللغوية:

تركَ لنا ابن فارس معجمين لغويين هما:

١- المجمل (مجمل اللغة) الذي قال فيه الباخرزي: ((إذا ذُكرت اللغة فهو صاحب مجملها لا بل صاحبها المجمل لها، وعندي أن تصنيفه ذلك من أحسن التصانيف التيّ صُنفت في معناها، وأن مصنفها إلى أقصى غاية من الإحسان تناهي...))(١) . وقد رتب ابن فارس مادة المجمل حسب أحرف المعجم أو الأحرف الهجائية أو الألف بائية، فكان يُصنف الكلمات التي تبدا بحرفٍ ما كالهمزة في ثلاثة أبواب: باب المضاعف الذي أوله همزة، فباب الثلاثي الذي أوله همزة، فباب مازادَ عن الثلاثي الذي أوله همزة طريقته الألف بائية لا تماثل معاجمنا الألف بائية، مماثلة تامةً، وإنما تشابهها، فقد كان ابن فارس يبدأ الباب بكلمة ثنائية تبدا بحرفٍ ما وليكن "الجيم" فيأتي بالكلمات الثنائية التي تبدا بجيم حاء، فجيم خاء، فجيم دال ... حتى يصل إلى جيم ياء، ثم يعود ويضع الكلمات التي تكون أحرفها الثانية بعد الجيم همزة، فحرف الباء. فحرف التاء فحرف الثاء ثم يبدأ بالثلاثي من الجيم فيبدا بكلمة ثلاثية تبدأ بجيم حاء، فجيم خاء ... حتى يصل إلى جيم ياء، ثم يذكر الكلمات الثلاثية التي تبدأ بجيم. ويكون حرفها الثاني الهمزة، فجيم باء، فجيم تاء، فجيم ثاء، ثم يأتي بالكلمات التي تزيد على ثلاثة أحرف من باب الجيم دون مراعاة للترتيب الألف بائي، وقد اقتبس ابن فارس هذا الترتيب من كتاب الجمهرة لابن دريد(٣) .

وقد اقتصر ابن فارس في ذكر مواد المجمل على ما صح وصلح من كلام العرب فقال: ((... اعلم أني توخيت فيه الاختصار كما أرغبُ، وآثرت الإيجازَ كما سألت، واقتصرتُ علىٰ ما صح عندي سماعاً، أو من كتابٍ صحيح النسبِ مشهور، ولولا توخي ما لم أشكك فيه من كلام العرب، لوجدت مقالاً، ولكني عمدتُ للأصول التي اسميتها في صدر كتابي(٢) ، فجمعتها فيه بأوجز قولٍ وأقربه، ورجوتُ أن يكون هذا المختصر كافياً في بابه، ومستغنياً في مَعرفة صحيح كلام العرب، وما يتداوله الناس من غريب القرآن، والحديث وكثير من غريب الشعر وغيره...))(٤)

---

(١) دمية القصر تحقيق: سامي مكي العاني ط١ ساعدت جامعة بغداد على نشره مطبعة النعمان، النجف الأشرف. ١٩٧١م ٢/٤٨٥.

(٢) انظر ابن دريد مقدمة الجمهرة ١/٢-٤.

(٣) انظر مقدمة المجمل ص ١/١٤٣.

(٤) ابن فارس المجمل ٤/٥٦٩-٥٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- معجم مقاييس اللغة:

. يُعد المقاييس كتاباً لغوياً، بالإضافة إلى كونه كتاباً معجمياً؛ فقد ناقش فيه ابن فارس عدداً من القضايا اللغوية التي يمكن للقارئ أن يستنتجها مثال ذلك: الاشتقاق، والإبدال. والقلب والمعرب ... وغيرها. وقد كان للمقاييس المنزلةُ العليا بين المعاجم، ولذلك قال فيه ياقوت الحموي: ((.. وهو كتابٌ جليل لم يُصنف مثله))(١) .

وترتيب ابن فارس لمادة المقاييس" يماثل ترتيبه لمادة "المجمل" إلا أن المقاييس يُعد معجماً أشتقاقياً أولاً ومعجماً لغوياً ثانياً وتظهر صفته الاشتقاقية في فكرة الأصل والفرع التي امتاز بها عن غيره من المعجمات الأخرى. وامتاز "المقاييس"، كذلك عن غيره من المعجمات الأخرى بنظرية النحت التي سأبينُ رأي ابن فارس فيها في الفصل الرابع إن شاء الله. أما فيما يتصل بفكرة الأصل، وهي محاولة ابن فارس ارجاع كثير من الكلمات التي تتماثل في أحرفها الأصلية إلى معان عامة، وهي نفسها فكرة الإشتقاق الأكبر عند ابن جنّي، إلا أن ابن فارس لم يتوعر توعر ابن جني فيها(٢) ، بل كان عمله عملاً لغوياً محضاً، يتوخى خدمة اللغة، فقد أكد فكرة إمكانية وجود اشتراكٍ معنوي بين المفردات متماثلة الأصول، ولكنه لم يشترط أن تحتوي جميع هذه المفردات المتماثلة على معنىً واحدٍ، بل قد تحتوي على معنيين، أو ثلاثة معان أو أزيد. فالأصل عند ابن فارس يساوي المعنى العام بين المفردات المتماثلة في جذرها أو حروفها الأصلية، فإذا كانت الكلمة ذات أصلٍ واحد، فمعنى ذلك أنها تحتوي أصلاً عاماً مشتركاً واحداً، مثال ذلك مادة "خَرَشَ": ((الخاء والراء والشين أصلٌ واحدٌ على انتفاخ في الشيء وخُرُوق ...))(٣)

وقد كان ابن فارس دقيقاً في تبيان المعاني الفرعية أو الاستخدمات الخاصة لتلك اللفظةُ التي تحتوي على معانٍ عامة ، وهذا بين في جميع مواد كتابه. فهو يقول مثلاً إن برق" لها أصلان ثم يبين جميع الاستخدمات الفرعية لـ "برق" في كلام العرب . سواء أكان ذلك حقيقياً أم مجازياً . فيقول :(("برق " الباء والراء و القاف أصلان تتفرع الفروع منهما . أحدهما : لمعانُ الشيء ، والآخر اجتماع السواد و البياض في الشيء وما بعد ذلك فكلة مجاز ومحمول على هذين الأصلين . أما الأول فقال الخليل : البرق وميض

---

(١) معجم الأدباء ٤١٢/١.

(٢) سأبين اثر ابن فارس وأثر ابن جني في الإشتقاق، ودورهما في تطوره عندما أتحدث عنه في بابه في الفصل الرابع.

(٣) ابن فارس المقاييس ١٦٨/٢ وانظر مادة "خفق" ٢٠١/٢ - ٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السحاب .... ويُقال " لاأفعله مابرق في السماء نجم" أي طلع . وأتانا عند مبرق الصبح : أي حين برق..... ويقُال للسيوف بوارق... ومن هذا الأصل قال الخليل : أبرقت الناقة أي ضربت ذنبها مرة على فرجها . ومرة على عجزها فهي برُوق . ومُبرق ..... أما الأصل الآخر فقال الخليل وغيره : تسمى العين برقاء لسوادها وبياضها ...ومن الجبال ماكان منه جُدد بيض .وجُدد سود... قال الأصمعي : البرقان ما أصفر من الجراد . وتلونت فيه خطوط واسود . ويقال رأيت دبا بُرقاناً كثيراً في الارض ... قال أبوزيد : البُرقان فيه سواد وبياض كمثل بُرقة الشاة..))(١) ويمكن أن يصل عدد الأصول عنده الى خمسة مثال ذلك : مادة "أمر" ((الهمزة والميم والراء أصول خمسة : الأمر من الأمور. والأمر ضد النهي، والأمر النماء والبركة بفتح الميم . والمعلم والعجب ...))(٢) ومادة "أجل"(٣) ، ومادة "بل"(٤) ....وغيرها.

وإذا كانت المفردة ليس لها دلالة معنوية واحدة، أو تستخدم في مضمار معين كان لايقولُ إنها أصل ، وإنما هي كلمة مثل كلمة "بجح" : " الباء والجيم والحاء كلمة واحدة يُقال بجح بالشيء اذا فرح به. ويبُجح بكذا ، وفي حديث أم زرع : " بجحنى فبجحت" أي فرحني ففرحتُ....))(٥) والكلمات : خظي(٦) وقما(٧) وأرخ. وأرط ....وغيرها(٨) .

فإذا حدث على الكلمة تغيراً نتيجة الإبدال أو القلب لم يعتبرها أصلاً بل كان يقول، هذه الكلمة "منقلبة عن" أو " مبدلة من " مثل مادة "قوف": " القاف والواو والفاء كلمة. وهي من باب القلب وليست أصلاً ..))(٩) وكلمة "لسم" : " اللام والسين والميم ليست بأصل ، ويقولون في باب الإبدال : ألسمتُ الرجل . الحجة ألزمته إياها . وألسمته الطريق: ألزمنه إياه.))(١٠)

---

(١) السابق ٢٢١/١-٢٢٧.
(٢) المقاييس ١٣٧/١.
(٣) السابق ٦٤/١.
(٤) السابق ١٨٧/١.
(٥) المقاييس ١٩٧/١.
(٦) السابق ٢٠٠/٢.
(٧) السابق ٢٤/٥.
(٨) وانظر أدو، أرت، اسم، اسي.
(٩) المقاييس ٤٢/٥.
(١٠) السابق ٢٤٦/٥. وانظر مادة: حبذ ٥٠١/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كان الكلام غير أصيل في العربية، أي دخيلاً ، لم يعد أصلا، مثال ذلك مادة "أجص" ((الهمزة والجيم والصاد" ليست أصلا ، لأنه لم يجئ عليها إلا الأجاص ويقال انه ليس عربيا، وذلك أن الجيم تقل مع الصاد))(١) ومادة "أرس"(٢) ومادة "بخ"(٣) ومادة "حرذ"(٤) .

ولم يعتبر كذلك الكلمات التي فيها اتباع ، والتي لا يمكن افرادها في الكلام أصلا، مثل كلمة "بيص" ((الباء والياء والصاد ليست بأصل، لأن بيص اتباع لحيص، يقال: وقع القوم في حيص بيص أي اختلاط ...))"(٥)

وقد كان ابن فارس يبين اذا كانت الأصول متقاربة مثال ذلك "أمن" ((الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدهما الأمانة، التي هي ضد الخيانة... والآخر التصديق. والمعنيان كما قلنا متدانيان..))"(٦) والمواد "جما"(٧) ، و"رهق"(٨) و"ذم"(٩) و"روض" (١٠) .

وأشار كذلك الى الأصول المتباينة، مثال ذلك مادة "تبر": ((التاء والباء والراء أصلان متباعد ما بينهما، أحدهما الهلاك ، والآخر: الجوهر من جواهر الأرض...))(١١) والمواد : "أهب"(١٢) و"أهل"(١٣) و"بخ"(١٤) و"حجر"(١٥) ولم يعتبر ابن فارس في "مقاييسه" حكاية الأصوات والأسماء الأماكن والثمار أصولا يقاس عليها، لأنها قابلة للتغيير. مثال حكاية الأصوات مادة "جوت" :"الجيم والواو والتاء ليس أصلا لأنه حكاية صوت، والأصوات لا تقاس ولا يقاس عليها))(١٦) والمواد "بب"(١٧) و"تخ"(١٨) و"تغ"(١٩) و"جه"(٢٠) .

---

(١) السابق ١/٦٤.
(٢) السابق ١/٧٩.
(٣) المقاييس ١/١٧٥.
(٤) السابق ٢/٥٢.
(٥) السابق ١/٣٢٦.
(٦) المقاييس ١/١٣٣.
(٧) السابق ١/١٤١.
(٨) السابق ٢/٤٥١.
(٩) السابق ٢/٣٨٩
(١٠) السابق ٢/٤٥٩.
(١١) المقاييس ١/٣٦٢.
(١٢) السابق ١/١٤٩.
(١٣) السابق ١/١٥٠
(١٤) السابق ١/١٨٥.
(١٥) السابق ٢/٤٦٣.
(١٦) السابق ١/٤٩٢.
(١٧) السابق ١/١٩٣.
(١٨) السابق ١/٣٣٧.
(١٩) السابق ١/٣٣٨.
(٢٠) السابق ١/٤٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثال أسماء الأماكن "دمخ" :((الدال والميم والخاء ليس أصلا، انما هو دمخ :جبل، في قول القائل:

كفى ُحزنا أني تطاللت كي أرى ذرى علمي دمخ فما يريان))(١)

ومن أسماء الثمار والأشجار مادة "توت" :((التاء والواو والتاء ليس أصلا ومه التوت، وهو ثمر))(٢) ومادة "رمخ"(٣) .

وأقول في المقاييس ما قال عبد السلام هارون :((على أن ابن فارس في كتابه هذا قد بلغ الغاية في الحذق باللغة. وتكنه اسرارها، وفهم اصولها، إذ يرد مفردات كل مادة من مواد اللغة الى أصولها المعنوية المشتركة، فلا يكاد يخطئه التوفيق، وقد انفرد من بين اللغويين بهذا التأليف ، لم يسبقه أحد، ولم يخلفه أحد...))(٤)

(١) المقاييس ٢/٢٩٩-٣٠٠.
(٢) السابق ١/٣٥٧.
(٣) السابق ٢/٤٣٧.
(٤) السابق مقدمة المحقق ١/٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب) معجمات المعاني:

ويقصد بها : وضع الألفاظ والعبارات الحقيقية والمجازية التي تحتوي على معنى عام مشترك في باب واحد أو فصل واحد. ومثال ذلك: باب الطول والقصر،والجبن والشجاعة، والسخاء والبخل.

والمعاني المعجمية هي نفسها فقه اللغة في مفهوم ابن خلدون، ومفهوم لغوي العصر الحالي، وقد ورث لنا ابن فارس معجمين معنويين هما:

١) متخير الألفاظ وفيه يعرض لأبواب لغوية كثيرة، وقد ذكر فيه ما قالته العرب، من نثر وشعر في هذا المضمار أي الباب الذي يعرض له، وهو في هذا الكتاب متأثر بكتاب ابن السكيت - الألفاظ" الذي هذبه التبريزي(١) ولا سيما بابي :"اللقاء وحالاته"(٢) و"باب السخاء"(٣) .

فألفاظ الباب الأول –اللقاء وحالاته– تكاد تكون متماثلة في كلا الكتابين ((يقال: ما ألقاه الا الفينة بعد الفينة، أي المرة بعد مرة، وما ألقاه الا عن عفر، أي بعد حين، وما ألقاه الا عدة الثريا القمر. أي الا مرة واحدة في السنة لأن القمر ينزل بالثريا مرة في السنة. ولقيته ذات العُويم، أي منذ ثلاثة أعوام، ولقيته بعيدات بين، أي لقيته بعد حين ثم امسكت عنه، ثم أتيته...))(٤)

أما الفاظ الباب الثاني فنقل ابن فارس بعضها من "التهذيب" ، وأتى [ألفاظ جديدة غير موجودة في التهذيب فالعبارات الموجودة في كليهما : هش المكسر(٥) ، انه لذو فجر أي عطاء(٦) ، وهو بحر(٧) وانه لذو قُحم عظام، أي يتقحم في الأمور العظام(٨) وغيرها..

أما العبارات التي انفرد بها ابن فارس، فهي:

هو صبير ينضح السمى، ويعلو سوالف المجد(٩) ، وانه لندي البنان(١٠) وإن السفن لتجري في جوده(١١) ، وفلان عد من الاعداد(١٢) ... وغيرها.

---

(١) وقف على طبعه وضبطه وجمع رواياته الأب لويس شيخو اليسوعي. المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٥م.
(٢) هو عند ابن السكيت تهذيب الألفاظ ٥٩٤-٥٩٩ وعند ابن فارس في المتخير ص ١٤٣-١٤٤.
(٣) هو عند ابن السكيت في التهذيب ٢٠١-٢٠٤ وعند ابن فارس في المتخير ص ٨٨-٩٣.
(٤) ابن فارس متخير الألفاظ ١٤٣. ابن السكيت تهذيب الألفاظ "باب اللقاء في قربه وابطائه" ٥٩٤.
(٥) التهذيب ٢٠١ المتخير ٩١.
(٦) التهذيب ٢٠٢ المتخير ٩٠.
(٧) التهذيب ٢٠٣ المتخير ٩١.
(٨) التهذيب ٢٠٣ المتخير ٩٣.
(٩) المتخير ٨٩.
(١٠) السابق ٨٩.
(١١) و (١٢) السابق ص ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد خالف ابن فارس ابن السكيت في انتقاء الألفاظ، والاستشهاد في الأبيات الشعرية، فقدكان ابن السكيت يستشهد بالحوشي الغريب، بينما كان ابن فارس ينتقي ألفاظ متوسطة ليست من الحوشي الغريب، ولا المسترذل الدون، وبهذا يقول ابن فارس :((..إن الكلام ثلاثة أضرب،ضرب يشترك فيه العلية والدون، وذلك أدنى منازل القول، وضرب هو الوحشي، كان طباع قوم فذهب استعماله بذهابهم وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الاول.. ولا ارتفع ارتفاع الثاني، وهو احسن الثلاثة في السماع وألذها على الأفواه، وأزينها في الخطابة. وأعذبها في القريض، وأدلها على معرفة من يختارها. وانما ألفت كتابي هذا على الطريقة المثلى، والرتبة الوسطى..))(١)

٢) أما معجمه المعنوي الثاني، فهو "مقالة في أسماء أعضاء الإنسان"(٢) ، اذ عرض فيها جميع أسماء الأعضاء بمختلف أشكالها وأقسامها، ومثال ذلك: عرضه أو تحدثه عن الرأس، فذكر أسماء أقسامه من الأمام، والخلف، والجانبين، ومن أعلى ومن أسفل، فبدأ بالشعر الذي هو أعلى الرأس، وذكر جميع أسماء صوره وأشكاله المختلفة فقال :" فأول أعضاء الانسان من جهة العلو رأسه، وهو مذكر . وأول ما في الرأس الشعر، وهو جمع، واحده شعرة، كتمر وتمرة. ومن ذلك الفودان وهما شعر ناحيتي الرأس، فاذا أضفر فهما الضفيرتان والغدائر، والذوائب، واحدة غديرة، واذا قل شعر الرأس فهو زعر، فاذا تم ووفر فهو أفزع... فاذا كان أسود فهو حالك، وغربيب. فان علا الشعر بياض بحمرة فهو أصبح. فان كان البياض خلقه لا من شيب فهو أملح. وجملة عظم الرأس الجمجمة، والشعب الذي يجمع بين قبيلتين شأن، وجمعه شؤون ... والهامة وسط الرأس، والقرنان فرعا الهامة... والاذن هو الذي يتحرك عند مضغ الأكل ... وجلة الرأس هي الفروة... والجبينان هما عن جانبي الجبهة من كل جانب جبين...))(٣)

فالناظر في معجمي ابن فارس المعنويين، يوقن ان ابن فارس كان مدركا لمفهوم "فقه اللغة" كما جاء عند الثعالبي، والذي ارتضاه ابن خلدون ولغويو العصر الحاضر معنى وتعريفا لمعنى فقه اللغة وإذا قيل إن "متخير الألفاظ" كان يركز على العامل المعنوي المشترك في تقسيمه لأبوبه. اما الثعالبي فقد كان يضع المعنى المعنوي المشترك عنوانا لبابه، الأ أنه في عرضه لذلك الباب أو لباب ما، يذكر دلائل اللفظة المختلفة، أي

---

(١) ابن فارس متخير الألفاظ ٥٩.

(٢) ابن فارس: "مقالة في اسماء اعضاء الإنسان" تحق: فيصل دبدوب مجلة المجمع العلمي بدمشق مجلد ٤٢ ج٢ ١٩٦٧، ٢٣٥-٢٥٤.

(٣) السابق ص ٢٤٥-٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر دلالتها الخاصة بدقة، فنقول يمكن أن يكون هذا صحيحا، اذا قيل في شأن "المتخير"، ولكنه لا يتسم بالصحة اذا قيل بشأن "مقالة في أسماء أعضاء الانسان" لأنها عرضت لأدق دلالة اللفظة الخاصة. فابن فارس في عنونته هذه المقالة بهذا الاسم ذكر المعنى المشترك الذي تشتمل عليه أركان هذه المقالة، الا انه في ثنايا شرحه لأسماء جميع الأعضاء وأقسامها المختلفة، كان يذكر دلالات اللفظة الخاصة. فذكر لفظة "الشعر" بشكل عام، ثم بدأ بتقسيمه وذكر أنواعه وأشكاله المختلفة، فعندما يكون كثيفاً فهو (أفزع) وعندما يكون خفيفا فهو (أزعر)، واذا كان أسود اللون أو أبيض أو غيره. وقد ركز كذلك على اسم العضو اذا حدث عليه تغير نتيجة لمرض أو تغير طبيعي كما في :((... فاذا كان البياض خلقه لا من شيب فهو أملح...))(١)

وبهذا، نجد أن ابن فارس عندما سمى كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" كان يقصد معنى أعم وأدق لنسق العربية وتراكيبها.

٣) موقف ابن فارس النقدي من النحويين واللغويين الذين ارتضوا أن يكون الشعر القديم حكما على صحة اللغة، ويتضح ذلك في :

أ) نقده لمقاييس علماء اللغة والنحو في عصره، سواء أكان اولئك ممن عاصره أو ممن تقدمه، ويظهر ذلك في نقده لهم عندما ارتضوا إن يكون شعر الجاهليين والإسلاميين الأوائل مقياسا على صحة اللغة، وان كان في شعرهم أخطاء لغوية تقتضيها الضرورات الشعرية، فقال ان الشعراء ليسوا معصومين عن الخطأ، ولذلك، فإن الغلط في شعرهم مردود لا يؤخذ به على صحة اللغة وذلك بين في كتابه "ذم الخطأ في الشعر"(٢) الذي ألفه لهذا الغرض :((... والذي دعانا الى هذه المقدمة أن ناسا من قدماء الشعراء، ومن بعدهم. أصابوا في أكثر ما نظموه من شعرهم، وأخطأوا في اليسير من ذلك، فجعل ناس من أهل العربية ، يوجهون لخطأ الشعراء وجوها، ويتحملون لذلك تأويلات حتى صنعوا فيما ذكرناه أبوبا، وصنفوا في ضرورات الشعر كتبا، فقال من العلماء بالعربية(٣) في باب ترجمه بما يحتمل الشعر :"اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام، واستعمل محذوفا كقوله: قواطنا مكة من ورق الحمى.

---

(١) ابن فارس مقالة اعضاء الإنسان ص ٢٤٦.

(٢) ابن فارس ذم الخطأ في الشعر تحق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٨٠.

(٣) يقصد ابن فارس بقوله (من العلماء بالعربية) سيبويه تجد مقولته في الكتاب، تحق: عبد السلام هارون ط٣ عالم الكتب مصر ١٩٨٣م ١/٢٦-٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعني أنه أراد الحمام فحذف الميم، وحول الألف الى ياء... قال ابن فارس: ولم يكن قصدي لذكره (أي سيبويه).افرادا له في هذا الباب، دون سائر أهل العربية من الكوفيين والبصريين، لأن كلاً أو الأكثر (وقعوا في مثل ذلك) قال ابن فارس: فيقال لجماعتهم: ما الوجه في اجازة ما لا يجوز اذا قاله شاعر، وما الفرق بين الشاعر والخطيب والكاتب؟ ولم لا يجوز لواحد منا أن يقول لآخر:" لست أقصدك ولاك اقصدني أنت" وأن يقول لمن يخاطبه :"فعلت هذا ككما فعلت أنت كذا"؟ فان قالوا : لأن الشعراء امراء الكلام، قيل: ولم لا يكون الخطباء أمراء الكلام؟ وهبنا جعلنا الشعراء أمراء الكلام، لم أجزنا لهؤلاء الأمراء أن يخطئوا، ويقولوا ما لم يقله غيرهم؟ فان قالوا : ان الشاعر يضطر الى ذلك، لأنه يريد اقامة وزن شعره، ولو أنه لم يفعل ذلك، لم يستقم شعره، قيل لهم: ومن اضطره أن يقول شعرا لا يستقيم الا بأعمال الخطأ؟ ونحن لم نر ولم نسمع بشاعر، اضطره سلطان ،أو ذو سطوة، بسوط أو سيف الى أن يقول في شعره ما لا يجوز ، وما لا تجيزونه أنتم في كلام غيره...))(١)

ونجد أن ابن فارس يكرر هذا النقد للغويين في كتابه "الصاحبي"، الاأن نقده هنا أظهر انكارا وأشد وقعا في النفس، فيقول :((...والشعراء أمراء الكلام، يقصرون الممدود، ولا يمدون المقصور، ويقدمون، ويؤخرون، يومئون، ويشيرون، يختلسون ويعيرون ويستعيرون، فأما لحن في اعراب ، أو ازالة كلمة عن نهج صواب، فليس لهم ذلك، ولا معنى لقول من يقول :"ان للشاعر عند الضرورة، أن يأتي في شعره بما لا يجوز" ولا معنى لقول من قال :(الوافر).

ألم يأتيك والأنباء تنمى

وهذا – وإن صح– وما أشبهه من قوله: (سريع)

لما جفا إخوانه مصعبا

... فكله غلط وخطأ، وما جعل الله الشعراء معصومين، يوقون الخطأ والغلط، فما صح من شعرهم فمقبول، وما أبته العربية وأصولها فمردود...))(٢)

٤) نقد ابن فارس للفقهاء، وذلك لجهلهم بقواعد اللغة العربية وأسسها، فقد كان ابن فارس يحث الفقهاء دائما على التفقه في سنن العربية ومقوماتها، لأن القرآن نزل بلغة العرب والرسول صلى الله عليه وسلم عربي، فلا يمكن أن نستنتج فتيا فقهية اذا لم تكن

---

(١) ابن فارس ذم الخطا في الشعر ص ١٧-٢١.

(٢) ابن فارس الصاحبي ٢٧٥-٢٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعلم دقائق تراكيب العربية فقال في باب "القول في حاجة أهل العلم والفتيا الى معرفة اللغة العربية" :((أقول ان العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غنى بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم– عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله –جل وعز– وما في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من كل كلمة عربية أو نظم عجيب، ولم يجد من العلم باللغة بدا، ولسنا نقول ان الذي يلزمه من ذلك الاحاطة بكل ما قالته العرب، لأن ذلك غير مقدور عليه، ولا يكون الا لنبي كما قلنا أولا، بل الواجب علم أصول اللغة والسنن التي بأكثرها نزل القرآن، وجاءت السنة... فلذلك قلنا ان علم اللغة كالواجب على أهل العلم لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء، وكذلك الحاجة الى علم العربية، فان الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل اذا قال: ما أحسن زيد... لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم الا بالإعراب، وكذلك اذا قال: ضرب أخوك أخانا، ووجهك وجه حر، ووجهك وجهٌ حر... وما أشبه ذلك في الكلام المشتبه، هذا وقد روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: أعربوا القرآن...))(١)

وقد سخر ابن فارس من فقهاء عصره، إذ كانوا لا يتقنون علم النحو، وإذا نُبه أحدهم على لحن أوقعه في كلامه قال: ما ندري ما الإعراب، إنما نحن فقهاء ومحدثون(٢) . وقد ضرب ابن فارس مثالا على ذلك قال فيه: ((... ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراها من فقه الشافعي بالرتبة العليا في القياس، فقلت له : ما حقيقة القياس، ومعناه؟ ومن أي شيء هو؟ فقال: ليس علي هذا، وانما على إقامة الدليل على صحته، فقل الآن في رجل يروم إقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه، ولا يدري ما هو))(٣) .

ولتبين ضعف الفقهاء في اللغة، كتب ابن فارس مؤلفا أسماه :"فتيا فقيه العرب"(٤) ذكر فيه مسائل فقهية لا يعلمها إلا من كان حاذقا في علم العربية، قصد معاياة الفقهاء وحثهم على تعلم العربية ونحوها، فمن المسائل التي ذكرها في هذا الكتاب :

قيل له: الرجل يمشي قبل حلول الحول، هل تسقط عنه الزكاة.

---

(١) الصاحبي ٦٤-٦٦.

(٢) الصاحبي ٦٦.

(٣) السابق ٦٦.

(٤) ابن فارس فيتافقية العرب تحق: حسين علي محفوظ مجلة المجمع العلمي العربي دمشق مجلد ٣٣ ج٣ ٤٤٣-٤٦٦ وج٤ ٦٣٣-٦٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: نعم

يقال: مشى الرجل، إذا ذهب ماله بعد كثرته(١)

قيل: بَر سقطت في هَلال قال: نَجِس. البر الفأرة، والهلال بقية الماء في الحوض(٢)

قيل له: هل يُقتل العيار في الحرم؟ قال: نعم. العيار: الأسد(٣)

وقد عد القدماء(٤) الحريري في المقامة الطيبية(٥) متأثرا بكتاب "فتيا فقيه العرب" لابن فارس، وقد قرأت هذه المقامة، ووجدت أن الحريري متأثر بابن فارس في فكرة المقامة، وهي استخدام المعنى العرفي ظاهرا. وأنت تريد المعنى اللغوي باطنا ، أما من ناحية الاقتباس، فإنني لم أجد أن الحريري اقتبس من ابن فارس أمثلة بعينها، وإن تشابهت أمثلتهما في الفكرة أو الموضوع الفقهي، الذي طرحت حوله هذه الأمثلة أو التساؤلات الفقهية. ومثال ذلك: قال ابن فارس: ما تقول في عجلة خالطتها عجوز؟

قال: تُغسل . العجلة: الاداوة. والعجوز: الخمر(٦)

أما الحريري فقال: أيمنع الذمي من قتل العجوز؟

قال: معارضته في العجوز لا تجوز، العجوز: الخمر وقتلها مزجها(٧)

فإذا أقر العلماء أن الحريري في مقامته الطيبية، متأثر في ابن فارس في كتابه "فتيا فقه العرب" فحري بهم أن يقولوا: ان الهمذاني صاحب المقامات ومبتكرها هو الذي تأثر بابن فارس، وأخذ هذا الأسلوب القصصي اللغوي منه؛ لأن الهمذاني كان تلميذ لابن فارس، بالإضافة إلى أن كتب ابن فارس يغلب عليها الطابع اللغوي، وترينا قدرة ابن فارس الفذة في حفظ اللغة، وهذا ما تهدف اليه المقامات التي تعالج قضايا اجتماعية من استخدام أساليب لغوية تتسم غالبا بالتقعر والتكلف، ونحن نعلم أن غرض الهمذاني من تأليف المقامات هو تبيان مهارته اللغوية، وقدرته على حفظ حوشيها وغريبها، فيمكن أن يكون الهمذاني في مقاماته متأثرا باستاذه ابن فارس الذي تتسم بعض كتبه بالاسلوب القصصي

---

(١) فيتافقيه العرب، ٦٣٣.

(٢) السابق ٦٣٣.

(٣) السابق ٦٣٨ وهكذا استمر ابن فارس حتى نهاية الكتاب.

(٤) اليافعي مرآة الجنان ٤٤٢/٢ وابن خلكان وفيات الأعيان ١١٨/١-١١٩. والسيوطي بغية الوعاة ٣٥٢/١ الخوانساري روضات الجنات ٢٣٣/١ .. وغيرهم.

(٥) انظرها عند أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيس الشريشي في شرح مقامات الحريري تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ٣٦/٤-١٠٤.

(٦) ابن فارس الفتيا ٦٤٠.

(٧) الشريشي، شرح مقامات الحريري ٥٥/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو المحاورة في عرض القضية، سواء أكان في عرضه منكرا، او مؤيدا، ولا يستغرب ذلك على من استدرك على "فصيح ثعلب" أن يؤثرفي تلميذه الهمذاني، اذ قام ابن فارس بتأليف كتاب استدرك فيه على فصيح ثعلب واسماه "تمام فصيح الكلام"(١) ، وقد أكد ابن فارس أن "ثعلبا" فاته بعض الألفاظ التي يمكن ضمها في أبواب لغوية، ولكنه أكد أيضا أنه استفاد كثيرا من استاذه ثعلب، وذلك واضح في خاتمة كتابه حيث قال: ((...هذا آخر ما أردت اثباته في هذا الباب، ولم أعن أن أبا العباس قصر عنه، لكن المشيخة آثروا الاختصار، وحقا أقول ان جميع ما ذكرته من علم أبي العباس جزاه الله عنا خيرا...))(٢)

٥) مؤلفاته: لابن فارس مؤلفات كثيرة في اللغة تدل على سعته بها، وكفايته فيها، وقد ناقشتُ بعض تلك الكتب أمثال :"المجمل" و"المقاييس" و"متخير الألفاظ" و"مقالة في أسماء أعضاء الانسان" و"ذم الخطأ في الشعر" و"فتيا فقيه العرب" و"تمام فصيح الكلام" والصاحبي (وهو موضوع الرسالة).

وأما أشهر كتبه اللغوية الأخرى، فهي :

"مقالة كلا" التي حققها أحمد حسن فرحات(٣) ، و"اللامات" الذي حققه برجستراسر(٤) و"دارات العرب"(٥) و"الفرق" الذي حققه رمضان عبد التواب وقد ذكره ابن فارس في خاتمة "تمام فصيح الكلام"(٦) ، و"ذخائر الكلمات"(٧) و"شرح رسالة الزهري الى عبد الملك بن مروان"(٢) و"الحجر"(٨) و"الليل والنهار"(٩) و"العم والخال"(١٠) و"الشيات والحلى"(١١)،

---

(١) وهو مطبوع تحق: ابراهيم السامرائي مستل من مجلة المجمع العلمي العراقي. مجلد ٢١ سنة ١٩٧١. وحققه أيضا مصطفى جواد يوسف يعقوب مسكوني في كتاب رسائل في النحو واللغة دار الجمهورية بغداد ١٩٦٩م ص ٣٥.

(٢) السابق ص ٣٥.

(٣) جُمعت في كتاب مع رسالة كلافي الكلام والقرآن للطبري ط١، المكتبة الدولية بالرياض، مؤسسة ومكتبة الخافقين بدمشق، ١٩٨٢م ص ٣٥ ومابعدها.

(٤) مجلة اسلاميكا ج١، ١٩٢٥ ص ٧٧-٩٩.

(٥) ذكره ابن فارس في المجمل ٣٠٨/٢.

(٦) ابن فارس، تمام فصيح الكلام ط ابراهيم السامرائي ص ٣٥.

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) و(٦) ذكرتها معظم المصادر والمراجع التي في الملحق

(٧) مقدمة المجمل ٢٩/١.

(٨) VERLAG VON ALFRED TOPELMANN VORMALS J.RICKER* GIESZEN* 1906

(٩) مكتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى بغداد سنة ١٩٤٧م.

(١٠) ط رودلف برونو ص ٢٤.

(١١) ط١، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنيروز، وقد ذكر عبد المحسن سلطان أن عبد السلام هارون قد حققه(١)، والإتباع والمزاوجة الذي حققه المستشرق رودلف برونو(٢) وأعاد تحقيقه كمال مصطفى(٣)، و"أمثلة الأسجاع" الذي ذكره ابن فارس في كتابه الإتباع والمزاوجة(٤)، وكتاب "الثلاثة" الذي حققه رمضان عبد التواب(٥)، والأمالي الذي ذكره ياقوت الحموي(٦) وخضارة ذكره في كتابه الصاحبي(٧)، الأضداد الذي ذكره في كتابه الصاحبي(٨)، و"المذكر والمؤنث" الذي ذكر عبد المحسن سلطان محقق كتاب المجمل، ان عبد السلام هارون قد حققه(٩).

٦) رأي العلماء فيه:

أما أقوال العلماء في مقدرته اللغوية، ورأيهم في إحاطته باللغة وما عداها، فقد قيل فيه الكثير، ومن أهم تلك الأقوال: قول الثعالبي: ((كان بهمذان من أعيان العلم، وأفراد الدهر، يجمع إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء، وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق(١٠) وابن خالويه بالشام(١١)، وابن العلاف بفارس(١٢)، وأبي بكر الخوارزمي بخراسان(١٣)، وله كتب بديعة ورسائل مفيدة، وأشعار مليحة، وتلامذة كثيرة، منهم بديع الزمان...))(١٤)

---

(١) ط رودلف برونو ص ٢٤.
(٢) ط١، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٠.
(٣) معجم الأدباء ١٦٤٢/٤.
(٤) ٢٧٧. (٥) ٩٨.
(٦) ٢٨/١ وحقق المذكور الاليتيمة د. رمضان سنة ١٩٦٩.
(٧) ترجم له الثعالبي في اليتيمة، تحق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، دار الكتب العلمية ١٩٧٩، ٣٤٧/٢-٣٥٧. والصفدي في الوافي بالوفيات ١٥٦/١-١٥٧ والسيوطي في البغية ٢١٩/١-٢٢٠، والزركلي في الأعلام ٢٠/٧.
(٨) ترجم له الثعالبي في التيمية ١٠٧/١-١٠٨، وابن خلكان في وفيات الأعيان ١٧٨/٢-١٧٩ وياقوت الحموي، معجم الأدباء ١٠٣٠/٣-١٠٣٧، والسيوطي في البغية ١٢٥/١ والزركلي في الأعلام ١٨٣/٦.
(٩) ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ١٠٧/٢-١١١ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٥١٤/١٤-٥١٨ والزركلي في الاعلام ٢٠١/٢.
(١٠) ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ١٠٧/٢-١١١ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٥١٤/١٤-٥١٨ والزركلي في الاعلام ٢٠١/٢.
(١١) ترجم له الثعالبي في التيمية ١٩٤/٤-٢٤١، والذهبي في شذرات الذهب ٤٣٤/٤، والسيوطي في البغية ١٢٥/١، والزركلي في الأعلام ١٨٣/٦.
(١٢) الثعالبي، التيمية ٣٩٧/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال فيه الباخرزي ٤٦٧هـ: ((إذا ذكرت اللغة فهو صاحب مجملها لا بل صاحبها المجمل لها...))(١)

وقال فيه ابن الأنباري ت٤٧٧هـ: ((...فإنه كان من أكابر أئمة اللغة...))(٢)

وقال ابن الجوزي ت٥٩٧هـ: ((صاحب "المجمل" في اللغة وغيره من الكتب له من التصانيف الحسان والعلم الغزير والمعرفة الجيدة باللغة))(٣)

وقال القفطي: ((المقيم بهمذان، من أعيان أهل العلم، وأفراد الدهر...كان واسع الأدب، متبحرا في اللغة العربية...))(٤)

وقال أبو القاسم سعد بن علي بن حمد الزنجاني، وسمعها عنه أبو عبدالله الحميدي: ((كان أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي من أئمة أهل اللغة في وقته محتجا به في جميع الجهات غير منازع، منجبا في التعليم، ومن تلاميذه بديع الزمان الهمذاني وغيره...))(٥)

وقال ابن خلكان ت٦٨١هـ: ((...كان اماما في علوم شتى خصوصا اللغة فانه أتقنها...))(٦)

وقال الصاحب بن عباد(٧) الذي كان يتتلمذ له وكان يقول: ((شيخنا أبو الحسين رزق حسن التصنيف، وأمن فيه من التصحيف))(٨)

ولا ننسى رأي الهمذاني فيه الذي كان يبين أن لابن فارس عليه أيادٍ علمية ومادية كثيرة، بينها في رسالةٍ بعث بها الى استاذه ابن فارس(٩) .

---

(١) دمية القصر ٢/٤٨٥.

(٢) ابن نزهة الانباري نزهة الأولياء ٣٢٠.

(٣) المنتظم ١٤/٢٧٤.

(٤) إنباه الرواه ١/٩٢ و٩٤.

(٥) مقولته ذكرها القفطي في إنباه الرواة ١/٩٤-٩٥.

(٦) وفيات الأعيان ١/١١٨.

(٧) ترجم له الثعالبي في اليتيمة ٣/١٨٨-٢٨٦، وابن الانباري في طبقات الأدباء ٣٢٥-٣٢٧. وياقوت الحموي في معجم الأدباء ٢/٦٦٢-٧٢١، وابن خلكان وفيات الأعيان ١/٢٢٨-٢٣٣، والسيوطي في البغية ١/٤٤٩-٤٥١ وغيرهم كثير.

(٨) ذكر مقولته هذه البغددي في المستفاد ١٦٩، وابن الأنباري في طبقات الأدباء ٣٢١، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ١/٤١١، والصفدي في الوافي بالوفيات ٧/٢٧٩، والداوودي في طبقاته ١/٦١، والخوانساري في روضات الجنات ١/٢٣٣ والسيوطي في البغية ١/٣٥٢ وغيرهم.

(٩) النويري نهاية الأرب نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدركات وفهارس جامعة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ٧/٢٦٢-٢٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها:

مظاهر قدرة ابن فارس اللغوية- التي ترينا أنه كان مؤهلا ليؤلف لنا كتابا مثل "الصاحبي" الذي اشتمل على جل علوم العربية. سواء أكانت هذه العلوم لغوية أم نحوية أم صرفية أم صوتية، أم شعرية- واضحة جليةٌ كما أشير فمن القضايا اللغوية التي عرض لها وناقشها:

نشأة اللغة(١) والخط العربي(٢) ، وأفضلية لغة العرب(٣) ، واختلاف اللغات(٤) وأفصح العرب(٥) ، واللغات المذمومة(٦) ، واللغة التي نزل بها القرآن، وأنه ليس فيه شيء بغير العربية(٧) ، ومأخذ اللغة(٨) ، وهل للغة العرب قياس، وهل يشبق بعض الكلام من بعض(٩) ؟، ولغة العرب لم تنته الينا بكليتها(١٠) ، وما اختصت به العرب(١١) ، والأسباب الإسلامية(١٢) ، وباب آخر في الأسماء(١٣) ، والأسماء، كيف تقع على المسميات(١٤) ، والحقيقة والمجاز(١٥)، والقلب(١٦)، والابدال(١٧)، والاشتراك(١٨)، والاتباع(١٩)، والنحت(٢٠)،

---

(١) الصاحبي ٣١-٣٤.
(٢) السابق ٣٤-٤٠.
(٣) السابق ٤٠-٤٧.
(٤) السابق ٤٨-٥٢.
(٥) الصاحبي ٥٢-٥٣.
(٦) السابق ٥٣-٥٧.
(٧) السابق ٥٧-٦٢.
(٨) السابق ٦٢-٦٣.
(٩) الصاحبي ٦٧.
(١٠) السابق ٦٧-٧٢.
(١١) السابق ٧٧-٧٨.
(١٢) السابق ٧٨-٨١.
(١٣) السابق ٨٩-٩٣.
(١٤) السابق ٩٦-٩٨.
(١٥) السابق ١٩٦-٢٠١
(١٦) السابق ٢٠٢-٢٠٣.
(١٧) السابق ٢٠٣-٢٠٤.
(١٨) السابق ٢٦٩.
(١٩) السابق ٢٧٠.
(٢٠) السابق ٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشعر(١)، فمعظم هذه القضايا هي موضوع دراستي النقدية في الفصول والأبواب الآتية ان شاء الله-.

أما علوم النحو التي ذكرها في كتابه، فمنها: باب ما اختصت به العرب، وحقيقة الكلام، وأقسام الكلام ، وأجناس الأسماء والنعت وباب الحروف، وحروف المعاني، وباب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع.

أما علم الصرف، فأهم أبوابه: باب الخطاب الذي يقع به الافهام من القائل والفهم من السامع، اجناس الكلام في الاتفاق والافتراق، ومعاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر، الفعل اللازم والمتعدي بلفظ واحد، والبناء الدال على الكثرة. والأبنية الدالة في الأغلب على معان، الفرق بين ضدين بحرف أو حركة، أفعل في الأوصاف لا يراد به التفضيل، الزيادة في حروف الفعل للمبالغة.

أما علم الصوتيات، فكانت إشاراته فيه طفيفةً جداً، وتجدُ هذه الإشارات العابرة في باب الحروف وباب الإتباع.

أما علوم البلاغة فأبوابها كثيرة في كتابه، ومن أهمها: باب معاني الكلام (الخبر والإستخبار، والأمر والنهي، والطلب والدعاء...). وباب الإغراء والحث (التمني والتعجب والخطاب يأتي بلفظ المذكر أو لجماعة الذكران). وباب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الاشياء منه (المعنى التفسير التأويل) وباب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز منه (الحقيقة المجاز الاستعارة التكرار، الكناية، الاستطراد). وقد ألف فريد محمد بدوي النكلاوي "كتاب المسائل البلاغية في كتاب الصاحبي لابن فارس"(٢) .

أما الشعر، فقد أفرد له ابن فارس بابين فقط، وهما: باب ما اختصت به العرب، وباب "الشعر" الذي أجمل الحديث فيه.

وقسم ابن فارس كتابه إلى قسمين هما: "فقه اللغة" و"سنن العرب في كلامها". وقد اسماه الصاحبي لأنه أودعه خزانة الصاحب بن عباد: ((... وإنما عنونته بهذا الاسم لأني لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل كافي الكفاة - عمر الله عراص العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره - تجملاً بذلك وتحسناً، إذ كان ما يقبله كافي الكفاة من علم

(١) الصاحبي ٢٧٣.
(٢) ط١ مطبعة الأمانة مصر ١٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأدبٍ مرضياً مقبولاً وما يرذله أو ينفيه منفياً مرذولاً، ولأن أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه، ومفاد منه))(١)

وعلوم اللغة عنده قسمان، أصلٌ: وهما ما قصد به ابن فارس مفهوم فقه اللغة، وفرع، وقال: إن العلماء في ذلك قسمان: قسم شغل بالفرع ولم يعرف غيره وهذا لا يجوز، وقسم عرف الفرع والأصل كليهما. وهذه هي المرتبة العليا، ((... فأقول: إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً: أما الفرع فمعرفة الاسماء والصفات كقولنا: رجل وفرس وطويل وقصير وهذا هو الذي يبدا به عند التعلم. وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها، ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها، وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً والناس في ذلك رجلان: رجل شُغل بالفرع فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معاً، وهذه هي الرتبة العليا، لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة وعليها يعول أهل النظر والفتيا...))(٢)

وقد بين ابن فارس منهجه في هذا الكتاب، فهو لم يضف شيئاً إلى ما قال سابقوه، وإنما مضمون كتابه مأخوذٌ من الكتب السابقة، وأن دوره في هذا المؤلف يقتصر على اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق(٣)، ولكن مطالع الكتاب يدرك أن ابن فارس قد قال هذه العبارة من قبيل التواضع العلمي. وهي صفة نلمسها عنده في خاتمة كتابه "تمام فصيح الكلام(٤)" لأن ابن فارس أضاف معلومات كثيرة لم تذكر قبله، وقد كان مجدداً أيضاً في مناقشته للموضوعات التي ذكرها في كتابه، ولا سيما موضوعات: نشأة اللغة، واللغات المذمومة.

وقد كان ابن فارس أول من أطلق هذه الصفة على تلك اللغات، ولعل ذلك عائدٌ إلى خشيته وخوفه من أن يقرأ القرآن بتلك اللهجات(٥)، وبين أثر الإسلام في تطور اللغة العربية، وفي النحت والإتباع، بالإضافة إلى دقته في التبويب، وسهولة نيل المعلومة من

---

(١) الصاحبي ٢٩.

(٢) ابن فارس الصاحبي ٢٩. (٣) السابق ٣١. (٤) السابق ٣٥.

(٥) M.A. Jaffal, Arabic Philological Studies in the 4th century A.H 10th century A.D.: Their Origin and Development University of cambridge U.K. 1981 p.p. 106.
محمود الجفال، دراسات فقه اللغة العربية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، السابق ص ١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤلفه، ويكفيه أنه مجددٌ في إطلاق عبارة "فقه اللغة" اسماً لكتابه، وابتكار مفهوم جديد لفقه اللغة، كما بينت في التمهيد.(١)

ولكتاب الصاحبي أثرٌ كبيرٌ في الكتب العربية، سواء أكانت قديمة أم حديثة، ولا أريد أن أتحدث عن أثر الصاحبي في مؤلفات المحدثين؛ لأنك لا يمكن أن تقرأ كتاباً تحدث فيه مؤلفه عن نشأة اللغة أو القياس أو الاشتقاق أو أثر الإسلام في تطور اللغة العربية أو النحت أو الإتباع أو خصائص كلام العرب، إلا وجدته آخذاً من كتاب ابن فارس بنصيب وافر(٢) .

أما أثره في كتب من جاء بعده، فيظهر جلياً في كتابين، أولهما: فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، فأثر الصاحبي واضحاً في كتاب الثعالبي لا ينكره أي باحث، كما أشير إلى ذلك في التمهيد(٣) .

ثانيهما: المزهر للسيوطي، إذ نقل السيوطي كتاب الصاحبي برمته وأودعه كتابه المزهر، وقد اختط طريقة ابن فارس في الصاحبي في تقسيم كتابه في معظم فصوله: إذ جعل أول فصل في المزهر "وأضع اللغة"(٤) ، وهذا الباب ابتدأ به ابن فارس في كتابه (لغة العرب توقيف أم اصطلاح). وكذلك "ذكر ما اختصت به العرب"(٥) ؛ وباب "اللغة العربية أفضل اللغات وأوسعها"(٦) ، وباب الحقيقة والمجاز"(٧) وأبواب المشترك والترادف والأضداد(٨) عند ابن فارس في الصاحبي باب "أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق(٩) . والاسماء كيف تقع على المسميات(١٠).

بالإضافة إلى أن السيوطي جعل مقدمة كتابه هي نفسها مقدمة كتاب الصاحبي، فإذا لم تستطع الحصول على كتاب الصاحبي، فنستطيع أن نقرأه من "المزهر".

---

(١) ص ١ و٦ الرسالة.

(٢) وسأذكر بعضها في ثنايا مناقشتي للقضايا اللغوية في كتاب الصاحبي.

(٣) ص ٩-١٠ الرسالة وحواشيها.

(٤) السيوطي المزهر ٧/١.

(٥) الصاحبي ٧٧ المزهر ٣٢٧/١.

(٦) الصاحبي ٤٠ المزهر ٣٢١/١.

(٧) الصاحبي ٢٥٥. المزهر ١٩٦/١.

(٨) الزهر ٣٦٩/١ و٤٠٢ و٣٨٧.

(٩) ٢٠١-٢٠٢.

(١٠) ٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تميز ابن فارس بعقلية فذة في عرض مادة كتبه، ونقد آراء الآخرين ومرتكزاتهم، وكان دائماً يطالب بأن يكونَ العلمُ متطوراً ومتحرراً من قيود القدماء؛ لأن العقول والأفئدة يمكن أن تبتكر علوماً وأفكاراً لم يصل إليها الأقدمون، ولأننا كذلك لو اقتصرنا على علم القدماء لضاع عليمٌ كثيرٌ، ولأصبحت الحياة جامدة تمجها الطبيعة البشرية التي تسعى دائماً إلى التغيير.

وإحداثُ أفكار جديدة يمكن أن تسهم في ايجاد حياة فضلى، فالحياة الفضلى هي أمل بني البشر جميعهمَ، ونظرة ابن فارس العلمية والنقدية نجدها في معظم كتبه ولا سيما "المقاييس" و"المجمل" وتمام فصيح الكلام" و"ذم الخطأ في الشعر" وتظهر عقليته التي تأبى الجمود جلية في رسالته التي بعثها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب الذي أنكر على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في "الحماسة"، لأن أبا تمام سبقه في ذلك، وسأقتطف بعض فقرات هذه الرسالة: ((... فلماذا الإنكار، ولمه هذا الاعتراض؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم، ولمه تأخذ بقول من قال: ما ترك الأول للآخر شيئاً، وتدع قول الآخر، كم ترك الأول للآخر؟ وهل الدنيا إلا أزمان، ولكن زمانٍ منها رجال؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام، ونتائج العقول؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ووقفها على وقتٍ محدودة؟ ولمه لا ينظر الآخر ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه، ويجمع مثل جمعه. ويرى في كل ذلك مثل رأيه؟ وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم؟ أو ما علمت أن لكل قلب خاطراً، ولكل خاطر نتيجة؟ ولمه جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعْره، ولم يجز أن يؤلف مثل تأليفه؟ ولمه حجرت واسعاً، وحظرت مباحاً، وحرمت حلالاً. وسددت طريقاً مسلوكاً ... ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علمٌ كثير، ولذهب أدب غزير، ولضلت أفهامٌ ثاقبة. ولكلت ألسن لسنة ولما توشى أحدٌ لخطابه، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة، ولمجت الأسماع كل مردودٍ مكرر، وللفظت مقلوب كل مرجع ممضغ، وحتام لا يُسأم ... وكان بقزوين رجلٌ معروف بأبي محمد الضرير القزويني، حضر طعاماً وإلى جنبه رجلٌ أكول، فأحس أبو حامد بجودة أكله فقال من (الرجز):

وصاحبٌ لي بطنه كالهاوية كأن في أمعائه معاوية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ وجودة وقوع الأمعاء إلى جنب معاوية وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد وابو الشمقمق ..))[١] هذا إلى غيرها من القصص والأمثلة التي تؤيده وتدعم رأيه تجدها في اليتيمة[٢] .

ولم يكن ابن فارس ناقداً لغوياً وأدبياً وحسب، بل كان ناقداً اجتماعياً. فقد نقد الظواهر الاجتماعية المنتشرة في عصره، وقال: إن الناس جميعهم يهتمون بالمظاهر الخارجية، والنواحي المادية، ويهملون الحياة الفكرية والعلمية، والصفة الغالبة على العلماء الفقر والعوز، ونقده الاجتماعي جلي في أشعاره المنثورة في اليتيمة[٣] ومعجم الأدباء[٤] والمصادر والمراجع الموجودة في الملحق.

ولكن هذه العقلية لانجدها في "الصاحبي"، بل أصبح ابن فارس يرفض كل تجديد، ويأبى كل تغيير، ويقول: لا توجد عوامل خارجية أو داخلية تسهم في توسع اللغات، والعامل الوحيد الذي توسعت نتيجته العربية هو ظهور الإسلام في أرض أبنائها، ولعل تغير عقلية ابن فارس في هذا الكتاب يرجع إلى إيمانه بنظرية التوقيف التي صدر بها كتابه الصاحبي، كما سأبين في الفصول القادمة.

---

(١) الثعالبي اليتيمة ٣/٣٩٧-٤٠٢.

(٢) السابق ٣/٣٩٧-٤٠٢.

(٣) السابق ٣/٤٠٢-٤٠٣.

(٤) ١/٤١٢-٤١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني
نشـــأة اللغـــــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني
نشأة اللغة

هي أول قضية لغوية عرض لها ابن فارس في كتابه "الصاحبي"، فنشأة اللغة موضوع شغل القدماء والمحدثين على اختلاف مستوياتهم الفكرية والعلمية والسياسية والاقتصادية. وما قصة ملك مصر "أبسمتيك" التي رواها "هيرودوت"[١] وقصة "فردريك" الثاني ملك صقلية سنة ١٢٠٠م[٢]، وقصة جيمس الرابع ملك اسكتلندا سنة ١٥٠٠م[٣] عنا ببعيدة، إذ حاولوا معرفة اللغة الأم التي يتكلم بها الإنسان وذلك بعزلهم طفلين أو أكثر عن العالم الخارجي حتى يستخلصوا من كلامهم الأول ماهية تلك اللغة التي نطقوا بها.

وقدحاول العلماء القدماء والمحدثون وضع نظريات تبين كيفية نشوء اللغات الانسانية وتطورها وأهمها:

أ) نظرية التوقيف: التي تنص على أن الله أوقف آدم أو علمه أو ألهمه جميع اللغات.

وابن فارس من أشهر العلماء الذين ناقشوا هذه القضية (نشأة اللغة) بمختلف أبعادها وجوانبها. وذهب الى أن اللغة توقيف من الله تعالى فقال في باب "القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح" :((أقول ان لغة العرب توقيف...))[٤]

واذا بحثنا رأي ابن فارس واستنتجنا دلائله على اثبات نظريته التوقيفية، فاننا نجد أن السمات الغالبة على دلائله هي السمات النقلية واللغوية والتاريخية لا الدلائل الكلامية والمنطقية. وأهم دلائله على أن اللغة توقيف من الله سبحانه وتعالى:

أ) الآية القرآنية ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها...**﴾ (البقرة/٣١) التي فسرها ابن عباس ومجاهد وغيرهما على أنها تعني أن الله علم آدم الأسماء كلها فقال ((أقول: ان لغة العرب توقيف ، ودليل ذلك قوله -جل ثناؤه- ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ...**﴾(البقرة/٣١) فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها، وروى حصيف عن

(١) ذكرها جوزيف فندريس اللغة. تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة ١٩٥٠ ص ٣٤. وابراهيم أنيس دلالة الألفاظ ط٢ مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م ص ١٣.
(٢) و(٣) ذكرهما ابراهيم انيس في دلالة الألفاظ ص ١٤.
(٤) الصاحبي ٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجاهد قال:علمه اسم كل شيء وقال غيرهما :إنما علمه أسماء الملائكة.وقال آخرون: علمه أسماء ذريته أجمعين، والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس))[١]

ويبدو أن ابن فارس قد أخذ تفسير هذه الآية عن الطبري في تفسيره الذي قال :((...وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس ،انسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها وقال حتى علمه اسم القصعة ... وعن مجاهد: علمه اسم كل شيء... وعن سعيد بن جُبير: علمه اسم كل شيء حتى البعير والبقرة والشاة... وعن قتادة: أنبأ كل صنف من الخلق باسمه، وألجأه إلى جنسه ...وقال هذا جبل وهذا بحر وهذا كذا وهذا كذا ... وعن ابن زيد قال أسماء ذريته أجمعين))[٢]

وقال آخرون ورضيه الطبري، أسماء ذريته وأسماء الملائكة دون سائر الخلق[٣]. وهذا المضمون نجده في معظم التفاسير الأخرى[٤]. عدا الزمخشري في كشافه الذي فسرها بأن الله علم آدم أسماء المسميات أي الأجناس فقط[٥].

وقد كانت هذه الآية من أقوى حجج من قال بالتوقيف قبل ابن فارس من أهل السنة الذي كان يتزعمهم في ذلك ابو الحسن الأشعري المتوفي ٣٢٤هـ. والمطالع لمالكيته ابن فارس يوقن أنه كان مطلعاً على دلائل أهل السنة النقلية والعقلية التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- الآية القرآنية ﴿**وعلم آدم الاسماء كلها**﴾(البقرة/ ٣١) فالأسماء عندهم هي الأسماء والأفعال والحروف لأن: ((... التكلم بالأسماء وحدها - متعذرٌ، فلا بد - مع تعليم

---

(١) الصاحبي ٣١-٣٢.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل اي القرآن، تحق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر ١/٤٨٠ - وما بعدها بتصريف.

(٣) السابق ١/٤٨٠- وما بعدها.

(٤) الفخر الرازي، التفسير الكبير ط٣، الناشر: عبد الرحمن محمد صاحب المطبعة البهية المصرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢/١٧٥ وما بعدها. والقرطبي: الجامع لاحكام القران، ط٢، دار الكتب المصرية، ١/٢٧٩ - وما بعدها. وابو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحق: الشيخ عادل أحمد بن عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. واخرون ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١/٢٩٣-٣٠١. والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر: محمد أمين دحج وشركاه، بيروت - لبنان، ص ٤٩ ومن المحدثين: سيد قطب، في ظلال القرآن، ط٩، دار الشروق، بيروت - لبنان، ١٩٨٠م، ١/٥٧ وسعيد حوى في، الأساس في التفسير، ط١، دار السلام ١٩٨٥م. ١/١١٦-١١٧.

(٥) الكشاف، رتبه وضبطه وصححه، مصطفى حسين أحمد، ط٣، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت مطبعة دار المعرفة، بيروت - لبنان ١٩٨٧م، ١/١٢٤-١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسماء – من تعليم الأفعال والحروف ...))[١] وإذا قيل لهم لماذا خُصصت الأسماء بالذكر دون الأفعال والحروف: ((... قيل اعتمد ذلك من حيث كانت الاسماء أقوى القُبُل الثلاثة، فلما كانت الاسماء من القوة والأولية في النفس والرتبة ... جاز أن يُكتفى بها مما هو تالٍ لها ومحمولٌ في الحاجة إليها عليها))[٢]

ب- وقوله تعالى ﴿**إن هي إلا اسماءٌ سَميتُموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان**﴾(النجم/٢٣) وهي تنص على ذم من ابتكر ألفاظاً بغير توقيف[٣]

ج- قوله تعالى: ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**﴾(الروم/٢٢). وهي تنص على أن من مظاهر قدرة الله تعالى اختلاف لغات بني البشر[٤]

د- أما أشهر دلائلهم المنطقية، فهو أنه إذا كانت اللغة اصطلاحية، وأرادَ كل واحدٍ أن يُعبر عما في نفسه اقتضى أن يكون هنالك ألفاظٌ أو كتابة يعبر عن طريقها، وهذه الألفاظ أو الكتابة تقتضي اصطلاحاً سابقاً لاصطلاحاتهم، وهذه العملية تقتضي التسلسل في الاصطلاح، وهذا لا يمكنُ لأننا لا نستطيع أن نفسر الاصطلاح الذي بنيت عليه الاصطلاحات الأخرى وبذلك يقولون ((إن الاصطلاح إنما يكون يُعرف كل واحدٍ منهم صاحبه ما في ضميره، وذلك لا يُعرف إلا بطريق كالألفاظ والكتابة، وكيفما كان فإن هذا الطريق لا يفيدُ لذاته فهو إما بالاصطلاح، فيكون الكلام كما في الأول، ويلزم التسلسل أو بالتوقيف وهو المطلوبُ ....))[٥]

وقد كان مضمونُ تفسيرِ هذه الآية القرآنية موجوداً عند أهل الكتاب في كتبهم السماوية، وإن كانت عباراتُهم مغايرةً للنص القرآني في النسج والاسلوب، وهذا بينٌ في سفر التكوين: ((وجَبَلَ الربُ الإله من الأرض كل حيوانات البرية، وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفسٍ حية فهو اسمها، فدعا آدم باسماء جميع البهائم. وطيور السماء جميع حيوانات البرية))[٦]

---

(١) الفخر الرازي، المحصول، تحق: طه جابر فياض العلواني، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٩٢، ١/١٨٥.

(٢) ابن جني، الخصائص، تحق: محمد علي النجار، ط٤، الهيئة العامة للكتاب ودار الشؤون الثقافية العامة، العراق – بغداد، ١٩٩٠، ١/٤٢ والقُبُل: الطوائف والجماعات.

(٣) الفخر الرازي، المحصول، ١/١٨٥-١٨٦.

(٤) السابق ١/١٨٦.

(٥) السابق ١/١٨٦.

(٦) الكتاب المقدس مكتبة شكري شعشاعة، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، بيروت ١٩٥٠م سفر التكوين٢ الصحاح الثاني١٩-٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما فلاسفة اليونان فقد قال بعضهم بالتوقيف. وأتوا بدلائل لاثبات توقيفية اللغة بحجج تشابه حجج أهل الكتاب، وأهل السنة وابن فارس، مع أنهم وثنيون، وليسوا بأهل كتابٍ سماوي فقد قال فيلسوفهم هرقليطس الذي اعتبر ((... أن الاسماء تُعطى من قوة إلهية، ولذا جاءت وقفاً على المسميات .....))(١)

وتبعه في ذلك افلاطون(٢) والرواقيون، الذين قالوا إن اللغة استجابة لفطرة إنسانية أي إنها إلهام(٣).

وقد أدرك ابن فارس أن اللغويين سيوجهون له نقداً لغوياً، لأن الله سبحانه وتعالى قال :﴿ **ثم عرضهم**﴾(البقرة/٣١) ولم يقل عرضها أو عرضهن، لأن الاسماء غير عاقلة، والميم علامة للعاقل، فرد عليهم، بدليل نحوي لغوي تزخر به لغتنا العربية، وهو بابِ "التغليب":((.... فإن قال قائلٌ: لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال ﴿**ثم عرضهن**﴾ أو عرضها ... فلما قال عرضهم، عُلِمَ أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة لأن موضوع الكناية في كلام العرب أن يُقال لما يعقل ﴿**عرضهم**﴾ ولما لا يعقل عرضها أو عرضهن، قيل له: انما قال ذلك -والله أعلم- لأنه جمع ما يعقل وما لا يعقل فغلب ما يعقل وهي سنة من سنن العرب. (أعني باب التغليب) وذلك كقوله -جل ثناؤه- ﴿**والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء، ان الله على كل شيء قدير**﴾(النور/٤٥)، فقال "منهم" تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم))(٤)

٢) قصة أبي الأسود الدؤلي مع الغلام الذي تكلم كلاما لم يسمع به أبو الأسود فقال: ((... فان تعمل اليوم لذلك متعمل، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده. ولقد بلغنا

---

(١) كمال يوسف الحاج، في "فلسفة اللغة"، دار النهار للنشر، بيروت - لبنان ١٩٦٧م، ص ١٨. وانظر على وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل مطبعة العالم العربي، القاهرة، ١٩٧١م ص ٣٠.

(٢) اعتبر كمال يوسف الحاج في "فلسفة اللغة" أن افلاطون تراوح بين التوقيفية والتواطؤية، وقد استنبط ذلك من قوله: ((وإلا كيف يمكننا أن نُفسر وجود الخطأ؟ إذا كانت قوة إلهية هي التي تُطلق الاسماء على الأشياء والقوة الإلهية هذه صادقة، فمن أين يأتي الخطأ أن بعض الاسماء يشير إلى ضدين في آن واحد، فهل يُعقل أن يُغالط الإله ذاته؟ إن الألفاظ هي الجالبة للفساد من هنا منشأ الضلال، لذا ينبغي أن ننطلق دائماً من الاشياء عينها، لا من الكلمات التي تشير إليها الكلمات كالزئبق لا تستقر على ركيزة واحدة في حين أن الحقيقة ثابتة لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً))في فلسفة اللغة ص ١٩.

(٣) أنظر: عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة، ساعدت جامعة بغداد في نشر هذا الكتاب، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٦م ص ١٠. وابراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ط٣، دار الأندلس، بيروت - لبنان ١٩٨٣، ص ١٤-١٥.

(٤) الصاحبي ٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أبي الأسود أن امرءا كلمه ببعض ما أنكره أبوالأسود، فسأله أبو الأسود عنه، فقال :"هذه لغة لم تبلغك" فقال له :"يا ابن أخي، انه لا خير لك فيما لم يبلغني". فعرفه بلطف أن الذي تكلم به مختلق))(١)

والقصة كما روتها التراجم هي :((يروى أن أبا الأسود لقي ابن صديق له فقال له:ما فعل أبوك؟ قال :أخذته الحمى، ففضخته فضحاً، وطبخته طبخاً، ورضخته رضخاً، فتركته فرخاً قال أبو الأسود: فما فعلت امرأته التي كانت تزارُه، وتُمارهُ. وتشاره، وتضاره؟ قال: طلقها وتزوج غيرها، فحظيت عنده، ورضيت وبظيت، قال أبو الأسود: فما معنى بظيت؟ قال: حرفٌ من اللغة لم تدرِ من أي بيضٍ خرج، ولا في أي عشٍ درج، قال: يا ابن أخي، لا خير لك فيما لم أدر))(٢)

وقد كان غرض ابن فارس من هذه القصة اثبات أنه لايمكن أن يُنشيء فرد أو جماعة ما كلمات أو عبارات دونما تلقين أو توقيف من الله -سبحانه وتعالى- لأن كلمات اللغة وعباراتها قد وُقفَ على آخرها عند وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-.(٣)

٣) ان العرب لم يجمعوا على تسمية شيء ما مصطلحين عليه، وقد استدل بذلك على أن الصحابة وهم ما هم في رتبة الفصاحة والبلاغة لم يجمعوا على تسمية شيء لم يسبقهم اليه غيرهم :((وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم، وقد كان في الصحابة-رضي الله عنهم- وهم البلغاء الفصحاء، من النظر في العلوم الشريفة، ما لا خفاء به، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو احداث لفظة لم تتقدمهم، ومعلوم أن حوادث العالم لاتنقضي الا بانقضائه، ولا تزول إلا بزواله...))(٤)

والناظر في مناقشة ابن فارس لهذه القضية يدرك أنه قد أضاف اضافات جديدة الى سابقيه الذين قالوا بالتوقيف -سواء أكان هؤلاء يونانا أم أهل ديانات أم مسلمين- فقد أهمل سابقوه أمرين رئيسيين في نظريتهم:

---

(١) الصاحبي ٣٣

(٢) السيرافي، أخبار النحويين البصريين: تحق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥م،١٤-١٥ ومعنى بظيت كما جاء في المقاييس: عاشت في لين واكتنز لحمها ٢٦٢/١

(٣) الصاحبي ٣٣

(٤) الصاحبي ٣٣-٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولهما: أنهم لم يفسروا كيفية ظهور الألفاظ الجديدة من عهد سيدنا آدم الى عهد سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وقد حاولت نظرية ابن فارس سد هذا الفراغ بأنها قالت إن الله -سبحانه وتعالى- أوقف آدم على الضروري من الألفاظ، والجمل التي كان يحتاجها، ثم كان يعلم الرسل جميع ما كانوا يحتاجونه من ألفاظ وجمل كانت تستدعيها معطيات عصرهم رسولا رسولا، أو نبيا نبيا حتى انتهى التوقيف الى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فعلمه ما علم الأنبياء والرسل الذين سبقوه، وعلمه جوامع الكلم وجميع ما احتاجه من ألفاظ وجمل تناسب عصره، وأمته التي أرسل اليها، فقد عُلمت اللغة على فترات متباعدة ولم توقف مرة واحدة. وكان ذلك حسب معطيات الزمان والمكان والمستوى الفكري والعلمي الذي وصل اليه أبناء كل أمة أرسل اليها نبي أو رسول. وهذه الكيفية واضحة في قول ابن فارس :((أقول :ان لغة العرب توقيف ...ولعل ظانا يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف انما جاءت جملة واحدة، وفي زمان واحد، وليس الأمر كذا، بل وقف الله -جل وعز- آدم -عليه السلام- على ما شاء الله أن يعلمه إياه مما احتاج الى علمه في زمانه، وانتشر في ذلك ما شاء الله، ثم علم بعد آدم -عليه السلام- من عرب الأنبياء -صلوات الله عليهم- نبيا نبيا ما شاء الله أن يعلمه، حتى انتهى الأمر الى نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- فآتاه الله -جل وعز- من ذلك ما لم يؤته أحدا قبله تماما على ما أحسنه من اللغة المتقدمة، ثم قر الأمر قراره، فلا نعلم لغة من بعده حدثت...))[١]

ثانيهما: أنهم لم يبينوا كيفية اختلاف اللغات، وكيف ظهر عندنا لغات عربية وسريانية وعبرية وآرمية...الخ. وقد حاول ابن فارس أن يتحاشى هذا النقص، ويبين كيف ظهر لدينا لغات مختلفة فقال :((يروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني الكتب كلها آدم -عليه السلام- قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخة، فلما أصاب الأرض الغرق، وجد كل قوم كتابا فكتبوه فأصاب اسماعيل -عليه السلام- الكتاب العربي...)) [٢]

وانني لأشم رائحة الإسرائيليات في هذه الرواية لأننا لم نجد أي دليل نقلي أو عقلي يدعمها.

---

(١) الصاحبي ٣١-٣٣

(٢) الصاحبي ٣٤ وانظر ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت -لبنان،١٩٧٨، ٦-٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا أعتقد أن محاولة ابن فارس ايجاد نظرية كاملة تخلو من الثغرات -وذلك بسده هذين الفراغين- قد كانت محاولة كاملة ناجحة؛ لأن الكيفية التي قال بها لتفسير الألفاظ الجديدة من عصر سيدنا آدم الى عصر سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- والكيفية التي تمت بها اختلاف اللغات كذلك تتسمان بالعلمية والواقعية، بل ان الصفة الغالبة على هاتين الكيفيتين السذاجة والخرافة.

ومن الملاحظ أن ابن فارس قد بالغ في نظرته التوقيفية ويظهر ذلك في المسائل التالية:

١) الخط: فالخط عنده توقيف سواء أكان عربيا أم عبريا أم سريانيا... مستندا في ذلك إلى أدلة نقلية فقال :((...إن الخط توقيف، وذلك لظاهر قوله -عز وجل-﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق..اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**﴾ (العلق/١-٥) وقال -جل ثناؤه-﴿**ن، والقلم وما يسطرون**﴾ (القلم/١) . واذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقف آدم -عليه السلام- أو غيره من الأنبياء -عليهم السلام- على الكتاب فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه،فشيء لا تعلم صحته الا من خبر صحيح))[١]

٢) أسماء الحروف كلها توقيفية من الله تعالى. حالها كحال الأسماء :((قلنا: والأمر في هذا بخلاف ما ذهب اليه هؤلاء، ومذهبنا فيه التوقيف، فنقول : ان أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي أعلم الله -جل ثناؤه- أنه علمها آدم -عليه السلام- وقد قال -عز وجل- ﴿**علمه البيان**﴾ (الرحمن/٤)، فهل يكون أول البيان الا علم الحروف التي يقع بها البيان؟ ولِمَ لا يكون الذي علم آدم -عليه السلام- الأسماء كلها الذي هو علمه، الألف والباء والجيم والدال؟ فأما من حكى عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والكاف والدال، فانا لم نزعم أن العرب كلها -مدرا ووبرا- قد عرفوا الكتابة كلها، والحروف أجمعها، وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم، فما كلّ يعرف الكتابة والخط والقراءة)) [٢]

٣) الإعراب والعروض: لم يعتبر ابن فارس أن أبا الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد، هما اللذان اخترعا النحو والعروض، بل كانا مجددين لهما، لأن العرب كانت تعرفهما -وابن فارس مصيب في ذلك-، ولكن لتباعد الزمن قلا في أيدي الناس، واستدل على أنهما علمان توقيفيان بأدلة شعرية وتاريخية :((...والذي نقوله في الحروف هو قولنا

---

(١) الصاحبي ٣٤-٣٥.

(٢) السابق ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الأعراب والعروض، والدليل على صحة هذا، وأن القوم قد تداولوا الإعراب إنا نستقرء قصيدة الحطيئة التي أولها: (مجزوء الكامل)

شاقتك أظعان لليلى دون ناظرة بواكر

فنجد قوافيها كلها عند الترنم والإعراب تجئ مرفوعة، ولولا علم الحطيئة بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها، لأن تساويها في حركة واحدة اتفاقا من غير قصد لا يكاد يكون، فان قال قائل: فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية، وأن الخليل أول من تكلم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول ان هذين العلمين قد كانا قديما، وأتت عليهما الأيام، وقلا في أيدي الناس ثم جددهما هذان الامامان، وقد تقدم دليلنا في معنى الاعراب ، وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما، اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا، أو من قال منهم: انه شعر، فقال الوليد بن المغيرة منكرا عليهم :لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقراء الشعر، وهزجه وزجره وكذا وكذا... فلم أره يشبه شيئا من ذلك. أفيقول الوليد هذا، وهو لا يعرف بحور الشعر...))[١] وهذا يقتضي القول بتوقيفية الشعر أيضا.

٤) قسم ابن فارس في مقدمته علوم لغة العرب إلى أصل وفرع، وقال: إنهما توقيفيان :((...إن الفرع موقف عليه كما ان الأصل موقف عليه))[٢] :((فإن قال أفنقول في قولنا سيف وحسام وعضب إلى غير ذلك من أوصافه إنه توقيف حتى لا يكون شيء منه مصطلحا عليه؟ قيل له: كذلك نقول، والدليل على صحة ما نذهب اليه اجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مواضعةً واصطلاحا لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق))[٣]

٥) عد ابن فارس أن أهم عاملين داخليين في تنمية اللغات هما: القياس والاشتقاق، انهما توقيفيان وأنه لا يجوز لنا أن نقيس ما لم يقيسوه، أو أن نشتق ما لم يشتقوه: ((...وهذا أيضا مبني على ما تقدم من قولنا في التوقيف، فإن الذي وقفنا الجنان التستر، هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه، وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه ...))[٤]

---

(١) الصاحبي ٣٧-٣٨ (٢) السابق ٩٦

(٣) السابق ٣٢-٣٣

(٤) الصاحبي ٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦) وعد ابن فارس المجاز، وهو أهم عوامل التوسع الدلالي توقيفيا :((كان الأصمعي يقول: أصل الورد إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء وردا. والقرب طلب الماء ، ثم صار يقال ذلك لكل طلب، فيقال هو يَقْرَبُ كذا أي يطلبه، ولا تقرب كذا... قلنا وهذا الذي ذكرناه عن الأصمعي، وسائر ما تركنا ذكره لشهرته، فهو راجع الى الأبواب الأول، وكل ذلك عندنا توقيف على ما احتججنا له...))[١]

٧) لم يكتف ابن فارس بالقول إن نحو اللغة وعروضها واشتقاقها وقياسها ومجازها توقيف، بل تعدى ذلك الى القول بتوقيفية نظم اللغة المختلفة، والصرفية، الصوتية والدلالية والأسلوبية:((فان قال: فقد سمعناكم تقولون ان العرب فعلت كذا، ولم تفعل كذا. منه أنها لا تجمع بين ساكنين، ولا تبتدئ بساكن، ولا تقف على متحرك، وأنها تسمى الشخص الواحد بالأسماء الكثيرة، وتجمع الأشياء الكثيرة تحت الأسم الواحد، قلنا: نحن نقول إن العرب تفعل كذا بعدما وطأناه أن ذلك توقيف حتى ينتهي الأمر الى الموقف الأول، ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية، كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو والياء والهمز، والمد والقصر. فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالواو، ولم يصوروا الهمزة اذا كان ما قبلها ساكنا في مثل الخبء والدفء والملء...))[٢]

إذا وضعت نظرية ابن فارس في ميزان النقد العلمي، فسنجد أن الدلائل التي قامت عليها يمكن ردها بوجه أو بآخر:

١) فالدليل الأول الذي اعتمدت عليه نظرية ابن فارس وهو الآية القرآنية ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ (البقرة/٣١) فلم لا يكون التعليم في الآية القرآنية هو القدرة على وضع الألفاظ، وذلك ((بأن الله قد علم آدم المسميات أي عرفه بالكون وما فيه، ثم ترك لملكته[٣] التي أودعه فيها ابتكار الأسماء لهذه المسميات))[٤] ولا سيما أن معنى كلمة علم لا يعني الأيجاد من العدم[٥] لأننا نقول علمته فلم يتعلم، ولو كان معنى التعليم الأيجاد لكانت هذه اللفظة لفظة الهية. كـ "خلق" لا يصح لبني البشر أن يتداولوها فيما بينهم :((... فالعلم الذي يحصل بعد الاصطلاح يكون من خلق الله تعالى، فقوله تعالى: "وعلم" لا ينافي كونه بالاصطلاح... سلمنا ذلك...))[٦]

---

(١) الصاحبي ٩٥-٩٦ (٢) السابق ٣٨-٣٩ (٣) أي لقدرته العقلية التي أودعها الله فيه

(٤) عبد الرحمن أيوب محاضرات في اللغة ص١١ (٥) الفخر الرازي ، المحصول ١/١٩٠

(٦) الفخر الرازي، المحصول ١/١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يفوتني نقد دلائل التوقيفيين مثل ابن فارس[١]، فدليلهم ﴿**إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان**﴾(النجم/٢٣) دليل عليهم لالهم لأنه ينص على أن الإنسان قادرٌ على ابتكار ألفاظٍ جديدةٍ من غير توقيف سواء أكانت تلك الألفاظ جيدة الرصفِ والنسج أو غير ذلك.

أما دليلهم ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض. واختلاف ألسنتكم وألوانكم**﴾ (الروم/٢٢) فليس دليلاً قوياً على التوقيف، بل هو دليلٌ قوي على مظاهر قدرة الله التي تقول إنه قادرٌ على وضع جهازٍ في جسم الإنسان (الدماغ) إذا ما أحسن الإنسان استخدامه سيكون باستطاعته ارتجال، أو اختراع لغة خاصةٍ به وبجماعته، وأن الآية تنص كذلك على أن الله سبحانه وتعالى عالمٌ بما سيبتكرون من ألفاظٍ مختلفة ذات دلالاتٍ مختلفة.

أما دليلهم المنطقي، أن الاصطلاح يُشترط فيه التسلسل وأنه يجب أن يكون هنالك ألفاظٌ مصطلحٌ عليها أو كتابة كُتبت من قبل. فهو دليلٌ عقلي. لا يتناسب مع حقائق اللغات الإنسانية لأن الإنسان يحاول أن يخترع ألفاظ تسد حاجاته الضرورية ولكن تلك الألفاظ التي ارتجلها لا يُشترط فيها أن يكون عددها مساوياً لعدد ألفاظنا وتراكيبنا، وإن كانت ألفاظنا وتراكيبنا مقيسةٌ على ألفاظهم القليلة وتراكيبهم البسيطة. وقد أكد ابن جني أن الحاجة الإنسانية هي أهم عاملٍ للتواضع.

فكلما كانت احتياجاتهم كثيرة، كإن ابتكارهم لألفاظٍ جديدة أكثر ولذلك فإن اللغات في بدايتها قليلة الألفاظ، سدت حاجاتهم الأساسية التي كانت تستدعيها ظروفهم المختلفة آنذاك، وقد نص ابن جني على أن اللغة ذات الألفاظ الكثيرة والتراكيب العديدة مبنيةٌ في قياسها ونسجها على البعض أو الألفاظ القليلة، والتراكيب المحدودة التي كانت موجودةً في نشأتها الأولى فقال في باب "هذه اللغة أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط":((... فإنها لا بد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها، ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه، لحضور الداعي إليه، فزيد فيها شيئاً فشيئاً، إلا أنه على قياسٍ ما كان سبق منها في حروفه وتأليفه وإعرابه المبين عن معانيه لا يخالف الثاني الأول، ولا الثالث الثاني، كذلك متصلاً متتابعاً...))[٢].

---

(١) وهم أهل السنة الذين كان يتزعمهم أبو الحسن الاشعري ت ٣٢٤.

(٢) ابن جني الخصائص ٣٠/٢-٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما قولهم عن الكتابة، فكلنا يعلمُ أن الكتابة مرحلة لاحقة لمرحلة الكلام أو التكلم.

٢) أما دليله الثاني، فكان قصة أبي الأسود الدؤلي مع الغلام، وهذه يمكن ردها من عدة وجوهٍ:

أ) أن لغة العرب لا يحيط بها إلا نبي[١]، وهذا يقتضي أن أبا الأسود لم يكن يعرف لغات العرب جميعها.

ب) هذه القصة دليلٌ على أن اللغة يمكن أن تكون اصطلاحية وليست توقيفية، ولا سيما أن لهذه اللفظة وهي "بظيت" عند الغلام دلالةً، ومعنى هو أن هذه المرأة تعيش في ترفٍ ونعيم، وأنها أصبحت مكتنزة اللحم[٢]، وإذا كانت قبيلة هذا الفتى قد اصطلحت على هذه اللفظة، بدلالتها هذه، فهذا يقتضي أن الإنسان يمكن أن يخترع كلماتٍ جديدةً ذات دلالاتٍ جديدةٍ، وإن كان كذلك فقد صار هذا الدليل عليه لا له، وقد يُرد قولي بأن "بظيت" في كلام الغلام هي إتباع "لحظيت" وليس لها معنىً خاصٌ بها، وأن معناها مماثلٌ لمعنى "حظيت" فأقول إن "حظيت" و"بظيت" في كلام الغلام ليست من قبيل الإتباع، وذلك لأن ابن فارسٍ نفسه في المقاييس عد "حظيت" أصلاً و"بظيت" أصلاً آخر فقال: في مادة ((حظو: الحاء والظاء وما بعده من حرفٍ معتل أصلان: أحدهما القُربُ من الشيء، والمنزلة، والثاني جنسٌ من السلاح.

فالأول: قولهم رجلٌ حظي إذا كان له منزلةٌ وخطوة، وامرأةٌ حظيةٌ، والعرب تقول: "لا حظية فلا ألية" يقول: إن لم يكن لك حظوة فلا تقصري أن تتقربي، يقال: ما ألوت، أي ما قصرت...))[٣].

وقال في مادة "بظي": ((الباء والظاء والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو تمكن الشيء مع لينٍ ونعمةٍ فيه يُقال: بظي لحمة اكتنز ولحمه خظا بظاً، وربما قالوا: خظيت المرأة، وبظيت، وهو من ذلك الأصل...))[٤].

وقد أنكر بعض اللغويين أمثال الأصمعي[٥] وأبي عبيد[٦] والهمذاني في كتابه "الألفاظ الكتابية"[٧] أن يوجد فاصلٌ بين الكلمة التابعة، والكلمة المتبوعة، وبهذا لم يعدوا حظيت وبظيت" إتباعاً . وهذا ما سأبينه في الفصل الخامس ان شاء الله.

٣) أما دليله الثالث، فيمكن رده بالقول ان الصحابة لم يصطلحوا على لفظ ما لم يسبقهم اليه أحد، ومن قال ان العرب قبل ابن فارس لم يجتمعوا على مصطلح لم يسبقهم

---

(١) الشافعي الرسالة تحق: أحمد محمد شاكر ط١ شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٩٤٠،ص٤٢.
(٢) ابن فارس المقاييس ٢٦٢/١ (٣) المقاييس ٨٠/٢ (٤) السابق ٢٦٢/١
(٥) و(٦) ذكرهما السيوطي في المزهر ، ٤١٤/١-٤١٥. (٧) دار المسلم، القاهرة ٣٢١-٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليه غيرهم؟ واذا كان كذلك فكيف نفسر المفهوم الذي اصطلح عليه عندما استخدموا كلمة "خليفة" أو "أمير المؤمنين" أو "حاجب" أو "ديوان مظالم" أو "حسبة" أو "دار الطراز" ونحن نعلم أن مفهوم هذه الألفاظ والتراكيب لم تكن موجودة قبل الاسلام. وكلنا يعلم ان للعصر الجاهلي ألفاظه الخاصة به، مثل "دار الندوة" وتعبيرات "النسيء و"المكس" وللعصور الاسلامية المختلفة ألفاظها التي ميزتها عن العصر الجاهلي أمثال: الفسق، والنفاق، والزكاة، والكفر، و"الالحاد"، و"المرتدون" و"ديوان الجند" و"ولي العهد" و"الثغور والعواصم" و" دار المظالم" و"قاضي القضاة" ...الخ والاصطلاحات التي أصبحت أسماء للفرق والملل، مثل :"المعتزلة" والأشاعرة،والجبرية، والقدرية، والزنادقة، والشيعة، والخوارج وغيرها، وقد كانت لكل فرقة من هذه الفرق ألفاظها المميزة لها عن غيرها. وقد كان للتطور اللفظي والدلالي دور في تمايز فنون الأمم وآدابها، فألفاظ الأدب العباسي في نسجها وموسيقاها وقوافيها مغايرة لجرس ألفاظنا الموسيقية ونسجها وقوافيها.

أما مبالغته في التوقيف التي ذهب فيها الى أن أسماء الحروف، والنحو والعروض والشعر والاشتقاق والقياس والمجاز وأصل اللغة وفرعها ونظمها المختلفة توقيفية، فإننا لا نجد أي باحث غالي مغالاة ابن فارس الذي أوقف دعائم تطور اللغة العربية عند عصر النبي صلى الله عله وسلم، وهذا القول يقتضي أن القدرات الانسانية اللغوية قد تجمدت منذ عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهذا القول يقتضي أن الانسان ليس له دور في الحياة الا تقليد من سبقه، فكلنا نقلد أصوات أبينا آدم -عليه السلام- ومن تبعه من الرسل، فلا أصوات ابتدعت ولا أحرف استحدثت ولا اشتقاقات ابتكرت، ولا أقيسة استنطبت ، ولا مجازات اخترعت.

وقد فات ابن فارس أن يفسر لنا ظهور الألفاظ البذئية في اللغة فهل هي توقيفية أيضا أم لا؟ وبهذا نتبين أن نظرية ابن فارس ليست كاملة، ولا مجددة، بل هي ظنية تخمينية جامدة لا تعترف بأي تطور لغوي. وقد تمكنت من نقد جميع هذه الدلائل والبراهين التي اعتمد عليها ابن فارس في إثبات نظريته. والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال.[١]

وقد ناقض ابن فارس نفسه في كتب اخرى له فقد ذكرنا في الفصل الأول[٢] أن ابن فارس في رسالته التي بعث بها الى محمد بن سعيد الكاتب كان يمتلك عقلية فذة تؤمن

(١) ابن جني، الخصائص ٤٢/١ (٢) ص٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالتوسع اللغوي والتقدم البلاغي، والازدهار الأدبي . ويسم من يقصرون العلم على القدماء بضيق الصدر والتخلف والرجعية[١] فقال :((...فلماذا الإنكار ولم هذا الاعتراض؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ولم تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للاخر شيئا، وتدع قول الآخر كم ترك الأول للآخر؟ وهل الدنيا الا أزمان، ولكل زمان منها رجال؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة الا خطرات الأوهام. ونتائج العقول؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ووقفها على وقت محدود؟...))[٢]

وتظهر مناقضته لنفسه كذلك في كتابه المقاييس اذ وجدت فيه عبارات تفيد أن ابن فارس كان يقول بنظرية الاصطلاح. ولذلك فانه لم يعتبر حكاية الأصوات أصولا يقاس عليها لأنها قابلة للتغيير. ولأن الانسان في استطاعته أن يخترع لتلك الآصوات أسماء مغايرة للأسماء التي سمى بها الآباء والأجداد مثال ذلك كلمة "حوب" ((...فأما قولهم في زجر الإبل حوبُ، فقد قلنا إن هذه الأصوات والحكايات ليست مأخوذة من أصل. وكل ذي لسان عربي فقد يمكنه اختراع مثل ذلك ثم يكثر على ألسنة الناس))[٣] وكذلك القول في "به"[٤] و"بب"[٥] وغيرها كثير.

وقد رد "محمد عيد" السبب الذي جعل ابن فارس وغيره يقولون بالتوقيف إلى التحرز الديني . وهذا الرأي حري أن يكون صحيحا[٦]

وأشهر من قال بالتوقيف عدا ابن فارس، أبو حاتم الرازي صاحب الزينة[٧]، وأبو على الفارسي[٨] وابن حزم الأندلسي في كتابه الأحكام في أصول الأحكام[٩] والآمدي في الأحكام[١٠]، والسيوطي في الاقتراح[١١] وفقيه شافعي اسمه الاسفرائيني في القرن العاشر الميلادي[١٢] وعبد الغني النابلسي في رسالة تشريف التغريب في تنزيه القرآن عن التعريب[١٣] ومحمد أحمد مظهر في كتابه "العربية أصل اللغات"[١٤]

---

(١) زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري ٢/٤٠-٤٣ (٢) تجدها عند الثعالبي في اليتيمة ٣/٣٩٧-٤٠٢
(٣) المقاييس ٢/١١٣ (٤) السابق ١/١٩٣ (٥) السابق ١/١٩٣
(٦) محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة، الناشر: عالم الكتب وعبد الخالق ثروت. القاهرة، ١٩٧٦، ١٣٥-١٣٦
(٧) عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري الحرازي ط١و٢ مطابع دار الكتاب العربي، مصر القاهرة،١٩٥٦م و ١٩٥٧، ١/٦٦ (٨) ذكره ابن جني، الخصائص ١/٤١
(٩) تحقيق: لجنة باشراف الناشر ط٢ .دار الحديث .القاهرة ١٩٩٢م ١/٣٢-٣٥
(١٠) علق عليه الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، صححه عبد الله عديان، وعلي الحمد الصالحي ط١، مؤسسة النور للطباعة والتجليد. الرياض ١٣٨٧هـ، ١/٧٨
(١١) عني بتصحيحه عبد الرحمن بن يحي اليماني وسعيد بن عبد الله العمودي ط٢ تحت ادراة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الركن ١٣٥٩هـ ص٤٦
(١٢) M.A Jaffal, Arbic Philological Studies in the 4th Century .A.H 10TH Century , p.31
(١٣) تحقيق: عبد الله الجيوري مجلة آداب المستنصرية مجلد ١٣ عدد١٣ ١٩٨٦م ص١٦٢
(١٤) Muhammad A. Mazhar. Arabic the source of all the languages, Nendeln/Liechtens tein, 1972, p.1

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أشهر من قال بالتوقيف من علماء الغرب الأب لامي ١٧١١م في كتابه "فن الكلام"[١] والفيلسوف دوبونالد في كتابه " التشريع القديم"[٢]

٢) أما النظرية الثانية وهي نظرية الاصطلاح التي تقول ان بني البشر هم الذين اخترعوا لغتهم وتواضعوا عليها نتيجة للاجتماع البشري، وقد كانت هذه النظرية هي النظرية المضادة لنظرية التوقيف، فقد كانت نظرية الاصطلاح مواكبة لنظرية التوقيف في الظهور، اذ كان لها أنصار في كل عصر وزمان. فمن أشهر من قال بها من فلاسفة اليونان "ديمقراطيس" الذي :((...اعتبر منشأ اللغة عملية تواطؤية (تواضع). لأن الشيء الواحد ذاته كثيرا ما يقبل عدة أسماء، ولأن الشخص الواحد ذاته يظل هو هو رغم تطوره أو تنازله عن اسمه "...))[٣]

وتبعه في ذلك أرسطو[٤] والأبيقوريون الذين نقدوا نظرية "هرقليطس" ومن تبعه بقولهم :((...إن اللغة رموز متواضع عليها بين أبناء الجماعة الواحدة. اذ لو كانت اللغة فطرية بالمعنى الذي يقول به أفلاطون ومن تبعه، لما اختلفت من جماعة إلى إخرى، كما لا يختلف المشي أو الضحك أو البكاء أو غيرها من الأمور الفطرية باختلاف الجماعة))[٥]

وقد كان السفسطائيون ينهجون نهج "أرسطو"، ويرفضون نظرية "هرقليطس" التوقيفية حيث إنهم :((...لم يتقبلوا تلك الكلمة الإلهية" التي عدها هرقليطس أصل الأشياء كلها، مبدأها الأول أي أصل النظام الكوني والأخلاقي[٦] فالأنثروبولوجيا لا المتافيزيقيا لديهم هي التي تلعب الدور الأول في نظرية اللغة))[٧]

أما أشهر أنصار هذه النظرية من المسلمين، فقد كانوا أهل الاعتزال، وزعيمهم في ذلك أبو هاشم الجبائي ت٣٢١هـ . فقد أتى هؤلاء بحجج نقلية وعقلية لإثبات وجهتهم أهمها:

---

(١) انظر عبد الصبور شاهين، علم اللغة العام، ص٧١ وعلي وافي في كتابه نشأة اللغة عند الطفل والانسان ص٣٠ وعلم اللغة له أيضا ٨٩

(٢) انظر علي وافي نشأة الطفل والانسان ٣٠ وعلم اللغة ص ٨٩ وكمال يوسف الحاج في فلسفة اللغة ٢٥

(٣) كمال يوسف الحاج في فلسفة اللغة ص١٨ وانظر أرنست كاسيرر في كتابه "فلسفة الحضارة الانسانية" ترجمة: احسان عباس دار الأندلس، ومؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر بيروت-نيويورك ١٩٦١ ص٢٠٦.

(٤) ذكره ابراهيم السامرائي في "التطور اللغوي والتاريخي ص١٤-١٥

(٥) عبد الرحمن أيوب محاضرات في اللغة ١٠

(٦) أي العالم المادي أو الطبيعة

(٧) ارنست كاسيرر فلسفة الحضارة الانسانية ٢٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١) دليلهم النقلي: قوله تعالى ﴿**وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه**﴾ (ابراهيم/٤) وهذه الآية تقتضي أن اللغة سابقة على الرسالة أو النبوة[١]

٢) دليلهم المنطقي هو: إذا كانت اللغة توقيفية اقتضى ذلك أن يخلق الله العلم الضروري في العاقلين من أبناء الأمة، وبما أن العلم صفة من صفات الله، والصفات عند المعتزلة هي عين ذات الله، اقتضى ذلك أن يكون العاقل العالم بعلم الله الضروري أن يكون عالما بالله، وبصفاته وقدراته، وأعماله بالضرورة، وهذا ينفي التكليف، وهذا يقتضي أن تكون ذات الانسان مشابهة[٢] للذات الالهية -وهذا محال[٣]- وبذلك ينتفي التوقيف، ويبقى التعليل الوحيد لنشأة اللغة هو الاصطلاح والمواضعة. وغير ذلك من أدلتهم المنطقية الفلسفية الكلامية التي تجدها في المحصول[٤] والمزهر[٥]

واذا تأملنا دليلهما النقلي والمنطقي، نجد أن دليلهم النقلي مقنع أكثر من دليلهم العقلي، لأن دليلهم المنطقي مستند الى فكرة اعتقدوا بها وهي أن الصفات عين الذات، مع أن منكري هذه الفكرة أكثر من مؤيديها، بالإضافة إلى أن كون هذه الحجة منطقية فلسفية كلامية لا تمت الى القوانين العقلية بأي صلة ولكن أنصار هذه النظرية من اليونان والمسلمين لم يبينوا -حسب مطالعاتي- كيفية حدوث اللغة، هل حدثت بشكل فردي أم جماعي، وهل نشأت اللغة الكاملة في عصور الزراعة أم قبل ذلك، وهل كانت بداية اللغات إشارات أو أحرفاً أو كلمات أو تصويتات مختلفة. وقد حاول ابن جني وضع صورةٍ متخيلةٍ عن كيفية حدوث اللغات فقال :((...وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون الى الابانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا، إذا ذكر عرف به ما مسماه، ليمتاز من غيره وليغنى بذكره عن احضاره الى مرآة العين...فكأنهم جاءوا الى واحد من بني آدم، فأومؤا اليه وقالوا :إنسان إنسان إنسان، فأي وقت سُمع هذا اللفظ عُلِمَ أن المراد به هذا الضرب من المخلوق، وإن أرادوا سمة عينة أو يدهٔ اشاروا إلى ذلك، فقالوا يد، عين رأس. قدم، أو نحو ذلك، فمتى سُمعت اللفظة من هذا عُرف معنيها، وهلم جراً فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف ثم لك من

---

(١) الفخر الرازي المحصول ١/١٨٧ أدلتهم النقلية تجدها في المحصول ١/١٨٧-١٩٢ والتفسير الكبير للفخر الرازي ٢٣/١ .المزهر ١/١٨-١٩

(٢) وان أراد المعتزلة أن يقولوا "تماثل"

(٣) انظر الفخر الرازي المحصول ١/١٨٨-١٨٩ والسيوطي المزهر ١/٢٠-٢١

(٤) ١/١٨٩ وما بعدها

(٥) المزهر ١/١٦-٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعدِ ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها، فتقول الذي اسمه إنسان فليجعل مكانه مَـرْد، والذي اسمه رأس فليجعل مكانه "سَرْ" وعلى هذا بقية الكلام...))[١].

ويمكن رد هذه الكيفية بيسر لأنها تقتضي أن يكون هنالك لغـةٌ سـابقةٌ متفقٌ عليهـا بين هؤلاء الحكماء: ((... فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ اللغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل))[٢] وإذا لم يكن هنالك: ((... ثمة لغة قبل أن يتواضعوا هم على لغة فكيف تم التفاهم بينهم، على أن يجتمعوا ليتواضعوا))[٣]

بالإضافة إلى أنهم في هذه الكيفية لم يبينوا لنا كيف أصبح هؤلاء الحكمـاء حكماء[٤]، وقد أنكر ابن تيمية هذه الكيفية بقوله: ((... فيدعى أن قوماً من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا، وهذا بكذا، ويُجعل هذا عاماً في جميع اللغات ... والمقصود هنا أنه لا يمكن أحداً أن ينقل عن العرب، بل ولا عن أمةٍ من الأمم، أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الاسماء الموجودة في اللغة، ثم استعملوها بعد الوضع، وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني))[٥].

ومن الطريف أننا نجدُ هذه الكيفية التي تمت بها اللغة هي ظاهرة من ظواهر "العقد الإجتماعي عند روسو"[٦].

أما إذا بحثنا في موقف ابن جني من هذه القضية، فإننا نجد أنه قد عرض للنظريات التي قيلت في زمانه نحو هذه القضية، وأتى بحججٍ كل فريق على حدا، وقد اخبرنا ابن جني أن معظم أهل النظر في زمانه يقولون بالاصطلاح لا بالتوقيف: ((... غير أن أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضعٌ واصطلاح لا وحي وتوقيف...))[٧]

إلا أننا لا نجدُ ابن جني يقف موقفاً مؤيداً لنظرية ما أو مناقضاً لنظرية أخرى، بل توقف بأي النظريتين (التوقيف والاصطلاح) يأخذ، لأن سحر اللغة العربية قد ملك عليه جانب الفكر. فقال: ((... وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة،

---

(١) ابن جني، الخصائص، ٤٥/١.

(٢) علي وافي علم اللغة ٩٠.

(٣) عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية ٨٦.

(٤) السابق ٨٦.

(٥) ابن تيمية، الإيمان، تحق ومراجعة: هاشم محمد الشاذلي دار الحديث بجوار إدارة الأزهر ص ٦٦.

(٦) عبده الراجحي فقه اللغة في الكتب العربية ٨٦.

(٧) ابن جني الخصائص ٤١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجدتُ فيها من الحكمة والدقة، والإرهاف والرقة ما يملكُ على جانب الفكر، حتى يكاد يطمح بـ أمام غلوة السحر ... وانضاف إلى ذلك وأرادَ الأخبار المأثورة بأنها من عند الله – عزل وجل – فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه وأنها وحي ... كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا – وإن بَعُد مداه عنا– من كان ألطف منا أذهاناً وأسرع خواطر وأجرأ جناناً، فأقفُ بين تين الخلتين حسيرا، وأكاثرهما فأنكفئ مكثوراً ...))[١] وقد قال بالاصطلاح ابن سنان الخفاجي في كتابه "سر الفصاحة"[٢].

ولهذه النظرية أنصارها عند الغرب المحدثين أمثال: الفيلسوف الإنجليزي "لوك" في كتابه "بحث في المدارك البشرية" حيث يقول:((... إذا كانت قوة الكلام مغروسة أصلاً في عنقنا ... إذا كنا نندفع بالسليقة إلى الكلام ... فهذا لا يعني أن اللغة توقيفية، الإنسان يتواطأ مع صاحبه على وضع المفردات الخاصة))[٣] واللغوي الفرنسي جوزيف فندريس في كتابه "اللغة"[٤] حيث قال: ((عند هذا السلف البعيد الذي لم يكن مخه صالحاً للتفكير بدأت اللغة بصفة انفعالية محضة، ولعلها كانت في الأصل مجرد غناءٍ يُنظم بوزته حركة المشي أو العمل اليدوي، أو صيحة كصيحة الحيوان تعبرعن الألم أو الفرح، وتكشف عن خوفٍ أو رغبة في الغذاء، بعد ذلك، لعل الصيحة عدت بعد أن زودت بقيمة رمزية، كأنها اشارة قابلة لأن يكررها آخرون، ولعل الإنسان قد وجد في متناول يده هذا المسلك المريح واستعمله للاتصال ببني جنسه أو لإثارتهم إلى عمل ما أو لمنعهم منه، ولا بد أن اللغة، قبل أن تكون وسيلة للتفكير، كانت في الواقع وسيلة للفعل، وواحدة من أنجح الوسائل التي مُكنَ منها للإنسان، وما إن استيقظ في ذهن الإنسان شعوره بالعلامة حتى راح يوسع من شأن هذا الاختراع العجيب ..))[٥]

ظهر رأيٌ توفيقي بين التوقيف والاصطلاح في القرن الخامس الهجري، تزعمه أبو إسحاق الإسفرائيني ت(٤١٨هـ) وهذا الرأي ينص على أن اللغات بدأت توقيفية ثم انتهت اصطلاحية حيث قال: ((القدر الضروري الذي يقع به الاصطلاح توقيفي والباقي

---

(١) الخصائص ١/٨٤. (٢) تحق: سليم سلمان الأنصاري رسالة ماجستير، جامعة بغداد، بغداد ١٩٧٥م، ص ٥٨.

(٣) كمال يوسف الحاج في فلسفة اللغة ص ٢٤.

(٤) ذهب فندريس إلى أن اللغة نشأت في البداية على شكل انفعالات وتأوهات أو تقليداً لأصوات الحيوانات أو صوت اصطدام اليد بالآلات الأخرى، نتيجة العمل، وقد كانت كذلك عندما كان مخ الإنسان غير صالح للتفكير، ولكنه عندما أصبح مخه مكتملاً وصالحاً للتفكير أصبح عنده شعور بالعلامة، وهي رمز الدال والمدلول، وبهذا الفهم ابتكر اللغة، فهو متأثر في المرحلة الأولية للغة بنظرية دارون، لأنه افترض أن نمو العقل أو المخ عند الإنسان كان تدريجياً، ولم يكن دفعة واحدة، جوزيف فندريس ٣٨-٣٩.

(٥) جوزيف فندريس اللغة ٣٨-٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اصطلاحي))[١] وقد كان لهذا الرأي أثر كبيرٌ في أنفس علماء العرب، وجعلهم حائرين بأي النظريات يأخذون، حتى انتهى بهم الأمر إلى أن جوزوا الأخذ بالآراء الثلاثة كلها (التوقيفية والاصطلاحية والتوفيقية) ومن أشهر هؤلاء الغزالي في المنخول[٢] وإمام الحرمين (عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ت ٤٧٨هـ)[٣] والفخر الرازي في المحصول[٤] وفي التفسير الكبير[٥].

أما النظرية الثالثة أ) التي قال بها الأقدمون وهي تقليد الأصوات المسموعة، فأشهر من قال بها ابنُ جني الذي كان يأنسُ بها، لأن لها علاقة بالاصطلاح، فهي تقوم على أن الإنسان يُقلد أصوات مظاهر الطبيعية، والحيوانات لتخدم مصالحه الخاصة به، ولا سيما أننا نجدُ ألفاظاً كثيرةً في لغتنا مشتقةٌ من أصوات الحيوانات، وأصوات مظاهر الطبيعة حيث قال: "... وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيبِ الظبي. ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجهٌ صالحٌ ومذهب متقبل))[٦].

ولاعجاب ابن جني بهذه النظرية نجده يُفردُ لما اشتقه العرب من هذه الأصوات بابين في كتابه، وهما "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"[٧] وباب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"[٨].

وممن أعجبَ بهذه النظرية من علمائنا المحدثين الأب انستاس ماري الكرملي الذي ذَهَبَ إلى أن اللغة نشأت على هجاءٍ واحد تقليداً للأصوات المسموعات، وسبب اعجابه بها أنها تُوجد تشابهاً كبيراً بين أصول اللغات عامةً فيقول: ((... إن الكلم وضعت في أول أمرها على هجاءٍ واحد. متحرك فساكن، محاكاة لأصوات الطبيعة، ثم فُتمت (أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف) فتصرف المتكلمون بها تصرفاً، يختلف باختلاف البلاد والقبائل، والبيئات والأهوية، فكان لكل زيادةٍ أو حذفٍ أو قلبٍ أو إبدال أو صيغة معنى أو غايةٌ أو فكرةٌ دون أختها، ثم جاء الاستعمال، فأقرها مع الزمن،

---

(١) الفخر الرازي في المحصول ١٨٢/١ وانظر التفسير الكبير ٢٢/١-٢٣ والمزهر ١٦/١.

(٢) تحقيق: محمد حسن هيتو، ط٢، دار الفكرن دمشق، ١٩٨٠ ص ٧٠.

(٣) ذكره السيوطي في المزهر ٢١/١-٢٢.

(٤) ١٨٤/١.

(٥) ٢٣/١.

(٦) ابن جني الخصائص ٤٨/١.

(٧) ابن جني، الخصائص ١٤٧/٢-١٥٤.

(٨) السابق ١٥٤/٢-١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ما أوحته إليهم الطبيعة أو ساقهم إليه الاستقراء والتتبع الدقيق...))[١]: ((... ولما كان وضع الكلم مبنياً على محاكاة الطبيعة، وعلى الهجاء الواحد في أغلب الأحايين، قد يتفق مصطلح العرب، ومصطلح أبناء الغرب، إذا اتفق الخاطران في توهم صوت الطبيعة، ولا يكون هذا الأمر إلا إذا كان ثَم هجاءٌ واحدٌ وهجاءان إثنان لا أكثر...))[٢]

وقد أعجب بها قبله جورجي زيدان في كتابه "الفلسفة اللغوية"[٣] وتبعها في ذلك علي عبد الواحد وافي في كتابه "علم اللغة"[٤] وأنيس فريحة في كتابه "نظريات في اللغة"[٥].

وقد كان لهذه النظرية صدىً عند الغرب، وقال بها وتني ويسبرسن الذي اسماها نظرية Bow - wow أو نظرية محاكاة أصوات الطبيعة.

ب) وهي مجموعة من النظريات، فتقول: إن اللغات الإنسانية نشأت نتيجة لأصوات الانفعالات اللاإرادية التي يطلقها الإنسان عن انفعالاته الفطرية، وحركات جسمه اللاإرادية. ومنها:

١) نظرية pooh-pooh أو نظريات الأصوات التعجيبية العاطفية التي قال بها ماكس وريتان.

٢) نظرية Ding-Dong أو نظرية محاكاة الأصوات معانيها.

٣) yo-he-ho أو نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية. وهذه النظريات الثلاثة الأخيرة[٦] مستقاة من نظرية دارون[٧] التي تنص على أن الوظيفة تخلق العضو، وأن فقدان الوظيفة يذهب بالعضو، وأن اللغة الإنسانية نشأت نتيجة للأصوات الفطرية الغريزية الفجائية، التي تكون نتيجة انفعالاتٍ لا إرادية مثل انفعالات الدهشة والألم والحزن والضحك: ((... وحاول دارون" الربط بين هذه الأصوات، وبين تقلصات

---

(١) انستاس ماري الكرملي نشوء اللغة العربية نموها واكتهالها. المطبعة العصرية بالفجالة، مصر- القاهرة، ١٩٣٨ ص ١-٢.

(٢) السابق ص ٧. (٣) ط١، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت - لبنان ١٩٨٢ ص ١٠٠.

(٤) ٩٦ وانظر فقه اللغة له ص ١٤٢. (٥) ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ١٩٧٣م ص ٤٨.

(٦) ذكر هذه النظريات وفصل القول فيها: ابراهيم أنيس في دلالة الألفاظ ٢٣-٢٧ وأنيس فريحة في نظريات في اللغة. ١٨-٢١. وعبد الرحمن أيوب في محاضرات في اللغة ١٢-١٣. وإميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية ١٨-٢١.

(٧) من الذين تأثروا بنظريته في نشأة اللغة أيضاً الماركسيون الذين قالوا: إن العمل هو أساس نشأة اللغة الإنسانية. تجد ذلك موضحاً في كتاب إنجلز "الدور الذي أداه العمل في الانتقال من القرد إلى الإنسان" ص ١٨... ذكره عبده الراجحي في كتابه "فقه اللغة في الكتب العربية ص ٩٤ وكان شعارهم في ذلك ما قدم به "هنري بر" كتاب "جوزيف فندريس "اللغة": ((اليد واللغة فيهما تنحصر البشرية، نعتقد أن أول ما ينبغي أن يُزاح الستار في هذا المؤلف شيئان، وهما اللذان يفصلان بين نهاية التاريخ الحيواني أو بداية التاريخ البشري)) اللغة ص ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعضاء النطق أو انبساطها. أي أنه حاول تفسيرها تفسيراً فسيولوجياً، فيقرر أن الشعور بالأزدراء أو الغضب يصحبه عادة ميل إلى النفخ بالفم، أو بالأنف، ومن هنا ينشأ صوت مثل pooh في الإنجليزية أو "أف" في العربية ...))[١] وقد رفض العلماءُ نظرية تقليد الأصوات المسموعات، والنظريات الأخرى لاسباب أهمها:[٢]

١) أنها أوقفت الفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات، وقصرت نشوء اللغة الإنسانية وتطورها على أصوات انفعالات غريزية فجائية غير إرادية.

٢) إن هذه النظريات لا تفسر إلا بضع كلمات من اللغات الإنسانية ولا سيما الألفاظ التي عُبر بها عن أصوات الحيوانات واسمائها، وعن أصوات الانفعالات الإنسانية واصواتها، وهذه أقل جوانب اللغة أهمية.

٣) لم تفسر لنا عوامل تطور اللغات، من قياس واشتقاق وقلب وإبدال، ونحت وترادف ... الخ.

٤) لم تستند هذه النظريات على أي دليل منقوش أو منقول أو معقول، فجميعها غلب عليها طابع الظن، والتخمين.

٥) معظم هذه النظريات أهملت العلاقة بين اللغة وبين المجتمع.

٦) إن هذه الأصوات الفطرية التي اعتبروها هي الأساس في نشأة اللغة الإنسانية، وأنها متماثلة في جميع اللغات، قال عنها "ابراهيم أنيس" إنها أصواتٌ عرفية تختلف من لغة لأخرى: ((... والحقيقة أن تلك الشهقات والتأوهات لا تعدو أن تكون أصواتاً عرفية تختلف باختلاف الشعوب والأمم، فصوت الدهشة عندنا هو "ah" وليس "oh" كما هو الحال عند الإنجليز الذي استقى منهم "داروين" ملاحظته، فلكل شعب صوتٌ خاص عند البكاء أو الأنين أو الدهشة أو الإزدراء ونحوها من الانفعالات الغرزية))[٣]

حاول المحدثون وعلى رأسهم "يسبرسن" الاستفادة من تلك النظريات، بإيجاد نظريةٍ متكاملةٍ تقومُ على أسس ملموسةٍ وعلميةٍ وهي:

---

(١) ابراهيم انيس، دلالة الألفاظ ٢٣-٢٤. وانظر ارنست كاسيرر. فلسفة الحضارة الإنسانية ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) هذه الاسباب وغيرها تجدها عند ابراهيم انيس، دلالة الألفاظ ٢٤-٢٧، وانيس فريحة نظريات في اللغة ص ١٨ وعبد الرحمن أيوب في كتابه محاضرات في اللغة ١٣-١٤ واميل بديع يعقوب في فقه اللغة العربية ١٧-٢١.

(٣) ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ) دراسة مراحل نمو اللغة عند الأطفال[١]. وهم بذلك متأثرون بنظرية (التلخيص التي يقول بها علماء الأحياء، وهم يرون أن حياة الفرد تلخيص لحياة الجنس كله[٢].

ب) دراسة لغة الأمم البدائية[٣]، وهم بذلك متأثرون: ((... بعلماء الثقافات الذين يرون أن بعض القبائل البدائية التي تعيش في عصرنا هذا تشبه من الناحية الثقافية إنسان العصر الحجري...))[٤]

ج) دراسة تاريخية للتطور اللغوي، وذلك أنهم يدرسون اللغات الحديثة، ويقارنونها باللغات القديمة ليستنبطوا قواعد مشتركة اشتملت عليها اللغات في حاضرها وماضيها[٥]

وقد قرر العلماء عدم جدوى هذه الأسس في معرفة كيفية نشأة اللغات الإنسانية، لأن الأطفال لا يبتكرون اللغة، بل يقلدون لغةً اكتمل بناؤها: ((الأطفال لا يعلموننا إلا كيف تحصل لغة منظمة، ولا يعطوننا أية فكرة عما كان عليه الكلام عند أصل نشوئه ... فهل يشتغل بالعناصر التي يمده بها من حوله، ومنها يركب كلماته وجمله، إنه يقوم بعمل المحاكاة لا الخلق، عمل يخلو من الارتجال خلواً تاماً ...))[٦]

ولأنه لا يوجد إنسانٌ بدائي على هذه الأرض، وإنما توجد أفكار بدائية، ولغات القبائل البدائية ليست أول اللغات، بل هي نتيجة لسلسلةٌ طويلةٌ من التطورات التاريخية، بالإضافة إلى أن لغات البدائيين أو المتوحشين قد تكون أكثر من لغاتنا تعقيداً أو بساطةً، ولذا فإن بدائية الأفكار لا تعني بالضرورة بدائية العبارة، كما يقول "قندريس":((...فلغات المتوحشين في وسعها أن تفيدنا في معرفة ما بين الكلام والفكر من روابط، وليس في معرفة ما كانت عليه الصورة البدائية للكلام))[٧].

أما أساسهم الثالث فإنه لا يمكن أن يبين لنا كيف نشأت اللغة، لأننا عندما نقارن اللهجات العربية الحديثة، باللهجات العربية القديمة مثلاً، فإننا نستنبط من قراءتنا لهن، القواعد المشتركة التي اشتملت عليها اللهجات العربية قديماً وحديثاً، ولكننا لا نستنبط كيفية نشوء اللغات، لأننا نقارن لغةً راقية، بلغةٍ راقيةٍ أخرى وإذا أردنا معرفة كيفية نشوء اللغة عن طريق اللغات القديمة، فإنها أيضاً لا تؤدي الغرض، لأن النصوص المكتوبة

---

(١) السابق ص ٢٨-٣٠.

(٢) انظر عبد الرحمن أيوب محاضرات في اللغة ص ١٥. وعبد الحق فاضل، مغامرات لغوية، دار العلم للملايين، بيروت ص ١٩٣-١٩٧ وعلى وافي نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ١٤٣-٢١٠.

(٣) ابراهيم أنيس. دلالة الألفاظ ص ٣٠-٣١. (٤) عبد الرحمن أيوب محاضرات في اللغة، ص ١٤-١٥.

(٥) عبد الرحمن أيوب محاضرات في اللغة ٣١-٣٢.

(٦) جوزيف قندريس اللغة ٣٠-٣١. وانظر عبد الرحمن أيوب ١٥-١٦ وأنيس فريحة نظريات في اللغة ٢٤-٢٦. (٧) اللغة ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي وصلتنا عن تلك اللغات هي نصوصٌ لأمم حضارية: ((إن اللغويين يدرسون اللغات التي تُتكلم والتي تُكتب، ويتتبعون تاريخها بمساعدة أقدم الوثائق التي كشف عنها. ولكنهم مهما أوغلوا في هذا التاريخ، فإنهم لا يصلون إلا إلى لغاتٍ قد تطورت، وتركت خلفها تاريخاً ضخماً لا نعرفُ عنه شيئاً))(١)

وقد حاول "إبراهيم أنيس" وضع نظرية في النشأة اللغوية مستفيداً من النظريات السابقة، ومحاولاً أن يفسر الآية القرآنية ﴿**وعلم آدم الاسماء كلها**﴾(البقرة/٣١) تفسيراً جديداً يوافق ما نادى به علم اللغة الحديث، وهذا الفهم يقوم على أن الإنسان كان يطلق أصواتاً مبهمةً دون قصدٍ أو تخطيط لنطقها، ثم ارتبطت هذه الأصوات بأفعالٍ معينة أصبحت علامةً عليها .. فربط التعليم بالعلامة، أو الرمز الذي يكون بين الدال وهي اللفظة، والمدلول وهو الفعل أو المسمى من الأجناس المختلفة: ((... ولذا نرجحُ أن معظم الكلمات قد أخذت مدلولاتها بطريق المصادفة، أي أنها كانت أصواتاً مبهمة لا هدف منها سوى اللعب والمتعة، ثم تصادف أن نطق بها في أثناء حدث من الأحداث، فارتبطت به ارتباط العلمية، وتدرج العلم من معناه الخاص إلى معنى عام، فإذا فسرت الأسماء في قوله تعالى: ﴿**وعلم آدم الاسماء كلها**﴾ بمعنى الأعلام" ساير هذا التفسير أحدث ما ينادى به اللغويون في عصرنا الحاضر))(٢)، فيفترض "ابراهيم أنيس" أن كثيراً من الأجيال مرت دون أن تعرف دلالة اللفظة، بل معتمدة على اطلاق أصواتٍ عشوائية لا دلالة لها، وهذا كلامٌ مردود، لأنه لا يمكن لأي جماعةٍ أن تتفاهم وتتكاثر وتستمتع، دون أن يكون هنالك أصواتٌ ذات دلالة يفهمها أهل الجماعة الواحدة.

---

(١) فندريس، اللغة، ص ٢٩.

(٢) ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظرية الفارابي في نشأة اللغة:

هذه مجملُ النظريات التي قيلت في تفسير نشوء اللغات الإنسانية قديماً وحديثاً، ولكنها مع كثرتها لم تستطع أن تفسر كيفية ظهور اللغات الإنسانية، وأعتقد أن أفضل نظريةٍ ابتكرت في هذا المجال هي نظرية الفارابي في كتابه "الحروف"(١)، التي لم تعتمد على نص منقول، بل اعتمدت على التصور العقلي لنشأة اللغة الإنسانية فقط، وهي في هذا تنطوي تحت الصفة التي اتسمت بها النظريات التي ذكرتها، وهي صفة الظنية والحدسية.

بين الفارابي نظريته على أساس عقلي ونفسي، هو أن الإنسان بفطرته يتحرك إلى الشيء الذي تكون حركته اليه أسهل، وهذه الحركة إذا تكررت منه، أصبحت ملكةً لديه بالضرورة، وفي ذلك يقول: ((... والإنسان إذا خلا من أول ما يُفطر ينهض ويتحرك نحو الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل، فتنهض نفسه إلى أن يعلم أو يفكر أو يتصور أو يتعقل، كل ما كان استعداده له بالفطرة أشد وأكثر - فإن هذا هو الأسهل عليه- ... وأول ما يفعل شيئاً من ذلك يفعل بقوة فيه بالفطرة وبملكة طبيعية لا باعتياد له سابق قبل ذلك، ولا بصناعة، وإذا كرر فعل شيء من نوع واحد مراراً كثيرة. حدثت له ملكة اعتيادية إما خلقية أو صناعية))(٢).

واسهل طريقة يستخدمها الإنسان بدايةً للتعبير عما يجولُ في نفسه هي الإشارة لمن يستطيع أن يبصره، وإذا كان الشخصُ المرادُ توصيل الفكرة إليه بعيداً، استخدم التصويت، وأولُ تصويت يبتكره الإنسان هو أصوات النداء فيقول :((... وإذا احتاج أن يُعرف غيره ما في ضميره أو مقصوده بضميره، استعمل الإشارة أولاً في الدلالة على ما كان يريد ممن يلتمس تفهيمه إذا كان من يلتمس تفهيمه بحيث يبصر اشارته، ثم استعمل بعد ذلك التصويت، وأول التصويتات النداء-فإنه بهذا ينتبه من يلتمس تفهيمه أنه هو المقصود بالتفهيم لا سواه - وذلك حين ما يقتصر في الدلالة على ما في ضميره بالإشارة إلى المحسوسات، ثم من بعد ذلك يستعمل تصويتات مختلفة يدل بواحدٍ واحدٍ منها على واحدٍ وواحدٍ مما يدل عليه بالإشارة إليه، وإلى محسوساته، فيجعل لكل مشارٍ إليه محدود تصويتاً ما محدوداً لا يستعمل ذلك التصويت في غيره. وكل واحد من كل واحد كذلك...))(٣)

---

(١) أبو نصر الفارابي، الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت - لبنان ١٩٦٩.

(٢) السابق ١٣٥.

(٣) الفارابي، الحروف ١٣٥-١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا أرادوا أن يعبروا عن حاجاتهم الأساسية من طعام وشراب واتصال اجتماعي، ابتكروا لذلك الضمائر والأعداد وألفاظ الطعام والشراب والمسكن والملبس والعطاء، وذلك بضم تلك الأصوات بعضها إلى بعض ليوجدوا ألفاظاً بسيطة قصيرة تُعبرُ عن تلك الأساسيات، وإن كان كذلك فإننا نجد أن تلك الألفاظ الأساسية متشابهة في كل اللغات الإنسانية، إذا سلمنا أن الإبدال ظاهرة لغوية في أحرف معتادة وكذلك القلب - لأن الأمم الإنسانية كما يراه المعظم كانت أمة واحدة تتفاهم بلغة واحدة أصواتها متشابهة، وألفاظها كذلك[١] -وقد بين هذا التشابه جورجي زيدان في فلسفته وقال-: ((... فالضمائر ترجع إلى ثلاثة: المتكلم، والمخاطب والغائب، وكل من هذه يتصرف مع علامات الجمع والتأنيث وغيرها، فإذا جردناها من تلك العلامات، ومن النون التي تلحق بها في بعض اللغات، ظهرت المشابهة بينها كلها، فضمير المتكلم مقطع حلقي محصور بين الياء والكاف فهو في العربية الياء أو الحاء، وتظهر في الجمع (نحن) وكذلك في السريانية و"انكي" تلفظ "أنوخي" في العبرانية وanok أو a في المصرية القديمة...وego في اللاتينية أو egon في اليونانية aha أوahom في السنسكريتية و" أ " في الانجليزية، و"ich" في الألمانية وnga أو ga أوa في الصينية وna في المغولية))[٢]

ومن أشهر أسماء ضرورات الحياة، الأم و الأب. والأكل، والعطاء، والقطع، والكون...الخ[٣]

"الأم" :((...فان لفظها واحد في سائر لغات العالم، لأنه أول ما نطق به الانسان، وأقدم ما تعلمه، فهوmatèr في اللاتينية، وmitir في اليونانية، وmatri في السنسكريتية، ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية، والأصل فيها كلها الميم لأنهم يدلون على الأم أيضا بقولهم mama ، وهكذا في اللغات الأخرى، ففي العربية وأخواتها (أم) وفي لغه "تيبت" بين الهند والصين (يم) وفي الصينية (مو) وفي القبطية (ماو)))[٤]

والأكل :((...في اليونانية edein ، وفي اللاتينية edere والأصل فيها I ، وفي السنسكريتية وفي المغولية (ايدهو) وفي الصينية (وت) أو (ود) وفي العربية (قات) أو (قوت) وفي القاموس (أط) الرجل: جاع وطلب الطعام...))[٥]

---

(١) الفارابي ،الحروف، ١٣٤-١٣٥. انظر جورجي زيدان الفلسفة اللغوية ١٨-١٩.

(٢) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية ٢١-٢٢

(٣) انظر السابق ٢٥-٢٦ وعبد الحق فاضل، مغامرات لغوية ١٧٧-١٨٣

(٤) جورجي زيدان الفلسفة اللغوية ٢٥ (٥) السابق ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والكون :((...وهو الفعل الدال على الوجود في اللاتينية esse وفي السنسكريتية as ، ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية وفي العبرانية (يش) وفي السريانية (ايث) وفي العربية (ايس) ولا توجد الا مركبة مع (لا) في (ليس) ومعناها نفي الوجود))[١]

أما الأعداد، فقد تشابهت في اللغات من واحد الى سبعة، ولكنها أقل تشابها من الضمائر وضروريات الحياة، فالاثنان :((...الأصل فيها التاء وما يبدل منها كالثاء والسين والدال، فهي في اليونانية dio واللاتينية duo ، وفي الانجليزية two ونحو ذلك في سائر اللغات الجرمانية. أما الألف والنون في العربية فزائدتان علامة للتثنية))[٢]

والثلاثة :((الأصل فيها بالعربية ثلث، وهي كذلك في سائر اللغات السامية، ونحو ذلك في اللغات الآرية، ففي اللاتينية tres وفي اليونانية treis ، والتبادل بين اللام والراء وبين السين والثاء كثير))[٣]

ومن سنة الكون أن يتكاثر[٤] أبناء هذه الأمة الواحدة -التي اصطلحت على الألفاظ البسيطة القصيرة للتعبير عن حاجاتها الأساسية- وتبحث عن أماكن أخرى لتمارس فيها حقها الطبيعي في العيش، فوضعت لها ألفاظا جديدة تواكب متطلباتها، ومتطلبات بيئتها، فصارت تبتكر ألفاظا جديدة بنسج جديد مغاير لألفاظ ونسج لغة أمها، ولذلك قالوا: أن أولى الأقوام الذين انتقلوا ورحلوا من موطنهم الأصلي كانت لغتهم أكثر تباعداً في نسجها عن لغة الأم، لأن ألفاظها المتشابهة مع ألفاظ أمها كانت بسيطة ومحدودة، ولذلك رجحوا أن الصينيين والمصريين القدماء كانوا من أوائل الأقوام التي تركت بلادها الأصلية، فاخترعت لغات خاصة بها[٥] فـ((...بتوالي الأزمان، تنوعت لغتهم الأصلية تبعا لناموس الارتقاء...))[٦]

وقد أكد الفارابي أهمية أثر البيئة ودورها في اختلاف نطق الحروف الذي يؤدي بالتالي إلى اختلاف اللغات :((وظاهر أن اللسان إنما يتحرك أولا إلى الجزء الذي حركته

---

(١) جورجي زيدان الفلسفة اللغوية ٢٦.

(٢) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية ص٢٣

(٣) السابق ٢٣ وغيرها . تجدها في الصفحات ٢٣-٢٤

(٤) ليس التكاثر هو السبب الوحيد للارتحال بل هناك أسباب كثيرة منها: الطبيعية والاقتصادية والسياسية...الخ انظر في ذلك :عبد الحق فاضل، مغامرات لغوية ١٨٦-١٩٠ وجورجي زيدان الفلسفة اللغوية ١٨-٢١

(٥) جورجي زيدان السابق ١٨-٢١

(٦) جورجي السابق ١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليه أسهل، فالذين هم في مسكن واحد، وعلى خلق في أعضائهم متقاربة، تكون ألسنتهم مفطورة على ان تكون أنواع حركاتها الى أجزاء أجزاء من داخل الفم أنواعا واحدة بأعيانها، وتكون تلك أسهل عليها في حركاتها الى أجزاء أجزاء أخر، ويكون أهل مسكن وبلد آخر اذا كانت أعضاؤهم على خلق وأمزجة مخالفة لخلق أعضاء أولئك، مفطورين على أن تكون حركة ألسنتهم الى أجزاء أجزاء من داخل الفم أسهل عليهم من حركتها الى الأجزاء التي كانت ألسنة أهل المسكن الآخر تتحرك اليها، فتخالف حينئذ التصويتات التي يجعلونها علامات يدل بها بعضهم بعضا على ما في ضميره مما كان يشير اليه والى محسوسه أولا ؛ ويكون ذلك هو السبب الأول في اختلاف السنة الأمم، فان التصويتات الأول هي الحروف المعجمة))[١]، وبهذا ابتكرت أو اخترعت الحروف المعجمة المعروفة بين الأمم، وبما أن الحروف محدودة لا تفي للتعبير عن حاجات الناس فقد أصبحوا يركبون من هذه الحروف بضم بعضها الى بعض ألفاظا مختلفة تساعدهم في التعبير عما يرون، وقد تكون هذه الألفاظ مكونة من حرفين أو أكثر[٢].

وتكون أولى الألفاظ المخترعة للأشياء الحسية ثم الأشياء المعقولة التي يمكن تفسيرها عن طريق الأشياء المحسوسة، مثال النوع الأول: الحجر، الشجر، الرجل، المرأة. ومثال النوع الثاني: الصفات: الطول، القصر، الأبيض، الأسود وغيرها.[٣] وتكون كيفية الاصطلاح والتواضع على هذه الألفاظ بالشكل التالي :((...فهكذا تحدث أولا حروف تلك الأمة، وألفاظها الكائنة عن تلك الحروف، ويكون ذلك أولا ممن اتفق منهم فيتفق أن يستعمل الواحد منهم تصويتا أو لفظة في الدلالة على شيء ما عندما يخاطب غيره، فيحفظ السامع ذلك، فيستعمل السامع ذلك بعينه، عندما يخاطب المنشيء الأول لتلك اللفظة، ويكون السامع الأول قد احتذى بذلك، فيقع به، فيكونان قد اصطلحا وتواطأ على تلك اللفظة فيخاطبان بها غيرهما الى أن تشيع عند جماعة، ثم كلما حدث في ضمير انسان منهم شيء احتاج أن يفهمه غيره ممن يجاوره، اخترع تصويتاً فدل صاحبه عليه، وسمعه منه، فيحفظ كل واحد منهما ذلك وجعلاه تصويتاً دالا على ذلك الشيء، ولا يزال يُحدث من يدبر أمرهم أو يضع بالاحداث ما يحتاجون اليه من التصويتات للأمور الباقية والتي لم يتفق لها عندهم تصويتات دالة عليها، فيكون هو واضع لسان تلك الأمة،

---

(١) الفارابي، الحروف ١٣٦-١٣٧

(٢) السابق ١٣٧

(٣) السابق ١٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا يزال منذ أول ذلك يدبر أمرهم الى أن توضع الألفاظ لكل ما يحتاجون إليه في ضرورية أمرهم))[١]

وأول ألفاظ يخترعونها بعد ألفاظ الضروريات والمحسوسات ألفاظ الأشياء التي يرونها بالعين جميعهم، كالسماء والنجوم والكواكب، ثم الألفاظ التي يطلقونها أسماء على الأفعال التي يقومون بها بالفطرة كالمشي والضحك والأكل وغيرها، ثم أسماء صنائعهم التي تعودوا عليها بالتجربة ثم أسماء الأدوات التي يستخدمونها في صنائعهم، فالألفاظ التي تدل على الأشخاص والأعيان والمعاني الكلية، فيحاولون ولا سيما الأمة الذكية أن تضع لكل معنى لفظ، وتكون الألفاظ متفاضلة كالمعاني، فاللفظ الشريف للمعنى الشريف، واللفظ الوضيع للمعنى الوضيع[٢].

وبعد أن صارت اللغة ملكة اعتيادية سدت جميع احتياجاتهم الضرورية، أصبحت وسيلةفنية يحاول كل واحد من أبنائها أن يستغلها، ويبين قدرته الفنية في ابتكار معان أخرى باللفظ نفسه أو ابتكار ألفاظ جديدة للمعنى نفسه أو التعبير عن هذا المعنى بلفظ مغاير للفظ المعتاد بقرينه معينة لا مبتعدة عن المعنى الأصلي، وبهذا التفنن يوجد المشترك اللفظي والترادف والمجاز والاستعارة، وإن كان كذلك فإن التوسع في استعمال المجاز والاستعارة في العبارة هو الأمل المنشود، فلذلك تنشأ الخطابة أولاً، وإذا توسعوا في الإستعارة والمجاز أكثر نشأ فنّ جديد أكثر دقة من الخطابة وهو الشعر الذي يعتبر أدق فن ابتكرته البشرية[٣]

وإذا أصبحت اللغة لديهم وسيلةً اعتيادية وفنية، للتعبير عن حاجاتهم ومبتكراتهم وفنونهم، استقرأوا تراثهم وأصبحوا يستنبطون من كلامهم الكلم الفصيح والمولد والدخيل[٤]، ويبتكرون وسائل يحفظون بها تراثهم اللغوي والأدبي والإخباري، ومن أهم هذه الوسائل الرواية عن طريق رواية الشعر والخطب[٥] ثم الكتابة[٦] ثم علوم اللسان من: نحو وصرف وبلاغة وعروض ومعاجم[٧]، وتستنبط قواعد اللغة الصرفية والنحوية والدلالية

---

(١) الفارابي، الحروف ١٣٧-١٣٨.
(٢) السابق ١٣٨-١٣٩.
(٣) السابق ١٤٠-١٤١.
(٤) الفارابي، الحروف ١٤١-١٤٢.
(٥) السابق ١٤٣-١٤٤.
(٦) السابق ١٤٤.
(٧) السابق ١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من سكان البراري، لا من سكان المدن أو القرى (الحضر)؛[١] وهذه الوسائل القائمة على حفظ تراث الأمة يمكن اضافتها إلى الخطابة والشعر، فيصبح لدى الأمة خمس صنائع، وهي الخطابة والشعر وحفظ الأشعار والأخبار، وروايتها وعلم اللسان والكتابة[٢] ونلاحظ من قراءتنا لهذه الصنائع أن الفارابي يُركزُ على أمرٍ أساسي هو أن هذه الصنائع لم تحدث دفعة واحدة، وإنما حدثت بالتدريج قليلاً قليلاً[٣]، والصناعة الأسبق هي سبب حدوث الصناعة الثانية والصناعة الثانية هي نتيجة للأولى، فجميعها حدثت متتالية متتابعة، مُتسببة عن بعضها البعض بالتدريج.

* إذا تفحصنا هذه النظرية، وقارناها بالنظريات التي ذُكرت سابقاً؛ نجدُ أنها قد تحاشت الثغرات التي كانت وقعت بها النظريات الأخرى ويمكن إجمالُ ما امتازت به نظرية الفارابي وان كانت بعض النظريات قد شابهتها عن بعض ما امتازت به ولا سيما نظرية المحاكاة والنظريات التي تقول أن اللغة نشأت نتيجة للانفعالات اللاإرادية – فيما يلي:

١) إنها لم تعتمد على دليلٍ نصي يمكنُ تأويله وتفسيره على عده وجوه.

٢) اعترفت هذه النظرية بالقدرة الإنسانية، فقد قالت إن اللغة هي نشاطٌ ابتكاري اخترعه ونظمه الإنسان.

٣) أكدت هذه النظرية أن الحاجة هي السبب الأول والأهم لاختراع اللغات الإنسانية.

٤) قالت: إن اللغة اخترعت بالتدريج، ولم تخترع دفعةً واحدة، فقد بدأت بالإشارة، فالصوت فالدلالة الحرفية، فالألفاظ القصيرة، فالألفاظ الطويلة، فالألفاظ الحسية فالإدراكية. فالألفاظ المشتركة فالمترادفة، فالمجاز فالاستعارة فالشعر.

٥) لم تقل إن اللغة بدأت تقليداً لأصوات الحيوانات أو مظاهر الطبيعية، بل جعلت هذه الأصوات أدوات مساعدة للإنسان في اختراع لغته، وإنما لبنة اللغات الأساسية هي أصواتُ أبنائها في مختلف مراحلها، سواء أكانت أصواته فطرية في البداية أم قصدية يتحكم بها في النهاية.

٦) بينت لنا أسباب اختلاف اللغات الإنسانية، والتي ردها إلى إختلاف البيئات الطبيعية، فبعضُ البيئات الطبيعية تكون حركة اللسان فيها إلى الغار اسهل، فيكون الغالبُ عليها الأحرف الغارية، وبعضها تكون حركة اللسان فيها إلى اللثة أسرع فتكون معظم أحرفها

(١) الحروف ١٤٦.
(٢) السابق ١٤٨.
(٣) السابق ١٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لثوية، وبعضها الآخر تكونُ حركة الشفتين فيها أسهل، فتكون معظم أحرفها شفوية وغير ذلك من التقسيمات العائدة إلى هيئة النطق ومكانه.

٧) بينت لنا كيف استطاع الإنسان أن يبتكرَ وسائل فنية في اللغة بعد أن أصبحت اللغة لديه ملكة اعتيادية مثل الخطابة والشعر.

٨) بينت لنا كيف ظهرت وسائل حفظ اللغة من رواية وكتابة واختراع علومٍ اللسان.

٩) بينت لنا كيفية ظهور عوامل التوسع اللغوية من ترادفٍ ومشترك ومجاز واستعارة... الخ.

١٠) لم تعتبر أن العقل الإنساني مر بمراحل تطور وارتقاء، بل جعلت العامل الأساسي في تطور اللغات هو العوامل الخارجية المادية الملموسة كالاقتصاد والاجتماع والسياسة... الخ.

١١) ربطت بين اللغة والمجتمع، فقد اعتبرت اللغة ظاهرةً اجتماعية لا يمكن ابتكارها بغير اجتماعٍ بشري، وهذا واضحٌ في كيفية الاصطلاح عنده.

١٢) يؤمن بالتوسع اللغوي، وأن اللغة دائماً قابلة للتغيير عن طريق عوامل التوسع اللغوي، مثل: المجاز والاستعارة والمولد. والمعرب والدخيل ... الخ.

وقد يوجه لهذه النظرية نقدٌ أنها لم تتعرض لتفسير الآية القرآنية ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾(البقرة/٣١). ولكن هذا القول يمكن رده بأن نقول: إن الفارابي عد اللغة اختراعاً، ولكنه لم يعتبر المشي أو الضحك أو البكاء اختراعاً، بل قال: إنها أفعالٌ فطرية، ولذا يمكن أن يكون تفسيرُ الفارابي لهذه الآية أن الله – سبحانه وتعالى – عندما ألهم بني البشر أن الجهاز الهضمي للأكل، والجهاز التنفسي للتنفس، ألهمه أيضاً أن لهذين الجهازين وظيفة أخرى يمكن ان تبتكروها من خلال العقل. الذي أودعه الله فيكم، وبهذا استغل الإنسان هذه الوديعة، وا كتشف أن لهذين الجهازين وظيفة يمكن أن يُبتكر من خلالها طريقةً للتفاهم والتواصل فيما بينهم، وهي اللغة التي يقوم في انشائها جهاز الهضم والتنفس.

أما إذا نُقدت، بأنها تقوم على الظن والتخمين، فإنني أقول كما يقولون ولكنها نظرية قامت على تصور العقل لنشوء اللغة، دون أن تقيد تصورها بالدلائل النقلية، ولهذا فهو جهدُ إنسانٍ يمكن رده إذا أوجدَ عالمٌ آخر نظرية تفوق هذه النظرية في جوانبها وأبعادها المختلفة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأميلُ إلى أن أفضل نظرية ابتكرها الإنسان في نشأة اللغة الإنسانية، هي نظرية الفارابي التي وضحتُ أبعادها، وبينتُ الأسبابَ التي جعلتها أفضل مما عداها، ولذا تكونُ نظريته أقوى من نظرية التوقيف في الإقناع، لأن نظرية التوقيف عجزت أن تُفسر لنا كيف اختلفت اللغات، وكيف ظهرت عوامل التوسع اللغوي، بالإضافة إلى أن هنالك آيات قرآنية تفيدُ أن للإنسان قدرة ابتكار الألفاظ وهي قوله تعالى: ﴿**إن هي إلا أسماء سميتموها...**﴾(النجم/٢٣) وقوله تعالى:: ﴿**اتجادلونني في أسماءٍ سميتموها أنتم وآباؤكم ...**﴾(الأعراف/٧١) بالإضافة إلى أن هناك آيات تفيد أن سيدنا آدم لم يكن يعرف كلمات اللغة ومعانيها جميعها، وذلك بينّ في قوله تعالى: ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ...**﴾(البقرة/٣٧)، كما أن النظرية التوقيفية لم تُفسر لنا ظهور الكلمات البذيئة في اللغة، ولكنا إذا قلنا إن اللغات اصطلاحية، لكان ظهور تلك الكلمات أمراً طبيعياً في لغةٍ ابتكرها بنو البشر.

وإذا قرأنا كتاب "الإيمان" لابن تيمية[١]، نرى كيف فند مقولة من قال إن سيدنا آدم وأبناءه كانوا يعرفون اللغات الإنسانية جميعها، وعن طريقهم اختلفت اللغات، لأن هذا شيءٌ لا يُعقل، ولو كانت اللغة توقيفية لما كان القرآن معجزاً، ولما تحدى الله قريشاً أن يأتوا بآية من مثله، لأن القول بالتوقيف يقتضي أن اللغة من الله تعالى، وأن الإنسان يتكلم لغةً علمه الله إياها، وإن كان كذلك فلا معنى لتحدي بني البشر لكي يأتوا بكلام يشابه القرآن، لأن اللغة من عند الله، وبما أن اللغة من عند الله يقتضي ذلك أن عجز قريش عن الإتيان بمثل القرآن عائدٌ إلى أن الله لم يعلمهم كلاماً مثل كلامه، ولا تركيباً مثل تركيبه. وبهذا يكون عجزهم ليس ناتجاً عن ضعف لغتهم أو فصاحتهم، وإنما لاسبابٍ خارجةٍ عن إرادتهم، وهذا قولٌ بطلانه ظاهر، لأن الله أراد تحدي قريش بشيءٍ يتصفون به، ويمتلكون القدرة عليه (الفصاحة) وعلى تطويره، لكي يكون لإعجاز القرآن معنىً وأثر في قلوب قريش أولاً وقلوب العرب ثانياً. والعالم ثالثاً، ولذلك، فإنني أميلُ إلى أن اللغة توقيفية في جهازيها اللذين تخرج منهما عن طريق النفس واللسان (الهضمي والتنفسي) واصطلاحية في اختراعها وتداولها بين الناس فهي ظاهرة اجتماعية إنسانية اصطلاحية.

---

(١) ٦٧-٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع أنني أؤيد ما ذهب إليه علم اللغة الحديث بأنه لا جدوى من دراسة هذا الموضوع، ويجب إخراجه من ميدان الدراسات اللغوية لأنه من موضوعات "ما وراء الطبيعة" والعلم الحديث لا يبحث إلا فيما هو محس، بالإضافة إلى أن نتائج البحث فيه ستكون ظنية تخمينية لا يقينية قطعية[١]. ولذلك، منعت الجمعية اللغوية في باريس البحث في هذا الموضوع، وأنها لن تستقبل أي بحث يناقش هذه القضية، وكان ذلك في عام ١٨٧٨م[٢].

(١) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ٣٥

(٢) ذكره عبده الراجحي فقه اللغة في الكتب العربية ص ٧٧، وعبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة ص ١٦. وأنيس فريحة، نظريات في اللغة ١٦، ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ١٣.

(٢) وعلى وافي علم اللغة ص ٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفضلية اللغة العربية:

ومما يتفرع عن نشأة اللغة، أفضلية اللغة، فقد عدت كل أمة لغتها أفضل اللغات، وذلك لأن الله أوقف آدم عليها. ثم اشتقت منها اللغات الانسانية الاخرى فنحن نعلم أن كل قوم بما لديهم فرحون. وكل أمةٍ بلغتها معجبة، ولذلك قالت عنها إنها أصل اللغات الإنسانية وأفضلها، وأتت بدلائل نقلية وعقلية على ذلك، ولكن تلك الدلائل تتسم بالخرافة والسذاجة غالباً(١).

فنجد اليهود يعتبرون العبرية هي أقدم اللغات وأفضلها(٢) وكذلك السريان(٣) والأرمن(٤)، والصينيون(٥) والأراميون(٦)، واليونانيون(٧)، والسويديون(٨) والعرب(٩) فقد أعجب العربُ بلغتهم أيما اعجاب، وقالوا إنها أصل اللغات وأمهن جميعاً، ونجدُ هذا القول عند الجاحظ في "البيان والتبيين" ((القول في انطاق الله تعالى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين. وعلى غير التدريب والتدريج، وكيف صار عربياً أعجمي الأبوين. وأول من عليه أن يُقر بهذا القحطاني، فإنه لا بد من أن يكون له أبٌ، كان أول عربي من جميع بني آدم – صلى الله عليه وسلم – ولو لم يكن ذلك كذلك، وكان لا يكون عربياً حتى يكون أبوه عربياً، وكذلك أبوه وكذلك جده، كان ذلك موجباً لأن يكون نوح – صلى الله عليه وسلم – عربياً، وكذلك آدم – صلى الله عليه وسلم))(١٠)، ونجده كذلك عند عبد الغني النابلسي في رسالته: "تشريف التغريب في تنزيه القرآن عن التعريب"(١١)

---

(١) ابراهيم اليازجي، أصل اللغات السامية، مجلة المقتطف، مجلد ٦، عدد ٦ ١٨٨١م. ١٤٠-١٤٤.

(٢) السابق ١٤١ وكرامت حسين، مقدمة فقه اللسان، نولكشوريريس الكهنود، ١٩١٥، ص٥. وإبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي ص ١٣.

(٣) مقال اليازجي السابق ١٤١، وكرامت حسين مقدمة فقه اللسان ص ٥.

(٤) المقال السابق ١٤١، وابراهيم السامرائي السابق ص١٣.

(٥) ابراهيم السامرائي، السابق ١٣.

(٦) السابق ١٤.

(٧) ابن حزم الاحكام ٣٦/١. وابراهيم السامرائي، السابق ص ١٤.

(٨) : ((مثل هذا القول بذكرنا برأي قال به الأوروبيين من أن الله كان يتكلم في جنات عدن اللغة السويدية، وأن ادم كان يتكلم اللغة الدينماركية، وأن الحية التي أغرت ادم بالإثم كانت تتكلم الفرنسية)) عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة ص ١١.

(٩) الفارابي، ديوان الأدب، تحق: أحمد مختار عمر وإبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٤م، ٧١/١-٧٢ والسيوطي، المزهر ٢٨/١ و٣٠ الزبيدي، تاج العروس تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت. الكويت ١٩٦٥م ١٣/١. وكرامت حسين، مقدمة فقه اللسان ص ٥ وعبد الرحمن أيوب، السابق. ١١.

(١٠) الجاحظ، البيان والتبين، تحق: عبد السلام هارون، ط٤، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٩٦٨، ٢٩/٣.

(١١) ص ١٦٩ – ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أعجب بعض المحدثين بما قاله الجاحظ والنابلسي وزادوا عليهما بأن أتوا بدلائل لغوية استنبطوها من مقابلة اللغة العربية باللغات العالمية الأخرى سواء أكانت تلك اللغات قديمة أم حديثة. وقد ركزوا على حقيقةٍ آمنوا بها، وهي أن اللغة العربية هي أم اللغات الجزرية[١] وبالتالي فهي أم اللغات كلها. وقد يكون استنتاجهم هذا نابعاً من قراءتهم لكتاب الإحكام الذي نص فيه ابن حزم على أن اللغات العربية والعبرية والسريانية هي لغة واحدة، والأختلاف بينهم عائدٌ إلى اختلاف اللكنات: ((... إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها، فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني اذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتهما. ونحن نجد من سمع لغة أهل "فحص البلوط" وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد أن يقول إنها لغة اخرى غير لغة أهل قرطبة... فمن تدبر العربية والعبرية والسريانية أيقن أن اختلافها انما هو نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان. واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل))[٢]

ومن أشهر هؤلاء، كرامت حسين في كتابه "مقدمة فقه اللسان"[٣] والأب أنستاس ماري الكرملي في كتابه :"نشوء اللغةالعربية نموها واكتهالها"[٤]، وعبد الحق فاضل في كتابه "مغامرات لغوية "[٥] ومحمد أحمد مظهر في كتابه " العربية أصل اللغات كلها"[٦].

---

(١)نسبة إلى الجزيرة العربية وما حولها. (٢) ابن حزم، الأحكام، /٣٤. (٣) فقد نص على أن اللغة العربية هي أم اللغات السامية، وأتي بدلائل على ذلك أهمها: ١) ان في اللغة العربية أصواتاً تفتقر إليها اللغات السامية المختلفة مثل: الضاد الذال والثاء ص٦-٧ ٢) :((إن جميع الأصول أي المواد الموجودة في إحدى اللغتين العبرانية والسريانية دون الأخرى توجد في اللغة العربية كما هو معلوم لدى كل خبير، عدا شيئا قليلا يوجد في العبرانية والسريانية دون العربية مما لا يستحق أن يحتفل به، ومن هذا يتضح أن أقدم هذه اللغات هي العربية، وأن العرب حفظوا من اللغة الأصلية الأصول الاولى كلها أما السريان والعبران فأخذوا منها شيئا وتركوا شيئا واختلفوا في كثير مما أخذوه)) ص٥. ٣):((... إن الألفاظ العربية تُصاغ كلها على قياس واحد ولا يوجد في صوغ الفاظها شذوذ عن القياس الا نادرا جدا... أما اللغتان الأخريان، ولا سيما السريانية فالشذوذ فيها كثير على القياس بكثير حتى في الألفاظ الاولية المحتاج الى استعمالها أكثر ما يكون)) ص٥. وغيرها من الدلائل مذكورة في كتابه. (٤) يمكن أن نستشف رأيه من خلال الأمثلة التي قال ان أصلها عربية واستقرضتها منها لغات شتى مثل اليونانية في كلمة aigle (عق) ومعناها الضياء أو البرقة في السماء ص(٥١-٥٦) واللاتينية في كلمة (serere) (زرع) ص(٥٧-٦٢) والسكسونية في كلمة buy (باع) ٦٩- وما بعدها ...الخ وانظر في ذلك مقال للأب أنستاس ماري الكرملي بعنوان تناظر العربية واليونانية، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي مجلد١ ج١ سنة ١٩٣٤م ص٢٦٩ وما بعدها. (٥) فقد ذهب عبد الحق فاضل الى أن اللغات الأرمية والعبرية والعربية هي لغة واحدة بأسماء مختلفة، والذي أدى لظهور هذه الأسماء عوامل كثيرة أهمها: القلب في كلمة "عربان" التي نتج عنها "عبران"، والابدال الذي وقع بين الميم والباء، بالاضافة الى نطق الأعاجم للعين التي يحولونها همزة فنتج عن هذين العاملين أن أصبحنا عربي وأرمي ص(٩-٢٣)، وقد ذهب كذلك الى أن العربية هي أصل اللغات الآرية ودلل على ذلك بأمثلة تاريخية ولغوية وكلمات أخذتها اللغة الآرية من العربية،وأهم هذه الكلمات:العطاء، والقلم، واليد وبناتها ص(١٢٨-٢٠٠). (٦) Arabic the source of all languages. p.p. 1-6.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهنالك فريق آخر لم يقل ان العربية هي أصل اللغات الانسانية، وإنما قال: ان اسماعيل هو أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه ابراهيم(١). مستدلين على ذلك بروايات نقلية لابن عباس وأبي جعفر محمد بن على بن الحسين عن آبائه(٢).

أما ابن فارس فلم يعتبر عيار الأفضلية عائدا الى أنها أصل اللغات، وانما كان عيار الأفضلية عنده هو خصائص اللغة العربية التي تميزها عن اللغات الاخرى. وأهم الخصائص التي اختصت بها لغة العرب وجعلتها أفضل اللغات كما يراها ابن فارس:

١) أنها لغة الوحي، وبهذا فهي أكثر اللغات بلاغة وفصاحة، ولذلك وصفت بأنها مبينة، وذلك لأن صفة البيان لم تُوصف بها أيّ لغةٍ عدا العربية فقال: ((قال الله - جل ثناؤه - ﴿**وإنه لتنزيلُ رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسانٍ عربيٍ مبين**﴾(الشعراء/١٩٢-١٩٥). فوصفه الله - جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام: وهو البيان ... فلما خص - جل ثناؤه - اللسان العربي بالبيان عُلم أن سائر اللغات قاصرةٌ عنه، وواقعةٌ دونه، فإن قال قائلٌ: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأن كل من أفهم بكلامه على شرطِ لغته فقد بين، قيل له إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يُعرب عن نفسه حتى يُفهم السامعُ مراده، فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل باشاراتٍ وحركاتٍ له على أكثر مراده، ثم لا يسمى متكلماً، فضلاً عن أن يُسمى بيناً أو بليغا))"(٣).

٢) عدم إمكانية ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى، مع أن الكتب السماوية التي سبقته قد تُرجمت إلى لغاتٍ مختلفة، وهذا راجعٌ إلى ما يتميز به القرآن من أساليب مختلفة تتميز بالاستعارة والتمثيل والقلب والتأخير ... الخ: ((... وقد قال بعضُ علمائنا حيث ذُكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحدٌ من التراجم أن ينقله إلى شيء من الألسنة،

---

(١) اختلفوا في لسان ابراهيم عليه السلام، فمنهم من قال انه اللسان العبري مثل ابن فارس، الصاحبي ٥٦. ومنهم من قال إنه السريانية، أبو حاتم الرازي، الزينة ١٤١/١. وابن حزم في الأحكام ٣٤/١. وابن النديم في الفهرست، ط١، مطبعة الأمانة،مصر، ١٩٨٦م، ص٨. ومنهم من قال انه العربية مثل الجاحظ في البيان والتبين ٥٢٤/٣.

(٢) ذكر ذلك الجاحظ البيان والتبين ٥٢٥/٣. وابن فارس الصاحبي٣٤و٥٥-٥٦. وأبو حاتم، الزينة ١٤١/١-١٤٢. وابن سلام في طبقات فحول الشعراء بتحق: محمود محمد شاكر مطبعة المدني، القاهرة، ١-٩ وابن حزم في الأحكام ٣٤/١ . وابن النديم، الفهرست ص٧ والزبيدي، تاج العروس ١٣/١-١٤ .

(٣) ابن فارس، الصاحبي ص ٤٠، وقابل ب أبو حاتم في الزنية ١٦/١، والباقلاني في، اعجاز القران، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٣ دار المعارف مصر-القاهرة ١٩٧١م ص٣١. والثعالبي فقه اللغة ص٩ ومحمد الخضر حسين القياس في اللغة لعربية، ط٢، دار الحداثة، بيروت - لبنان ١٩٨٣م، ص ١٦-١٨ وابراهيم السامرائي، التطور اللغوي ص ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية وتُرجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله – عز وجل – بالعربية، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب ...))[١]، ومثل على صعوبة ترجمة القرآن الكريم بآيات منها: ﴿**وإما تخافن من قومٍ خيانةً فانبذ إليهم على سواء**﴾(الانفال/٥٨) وقوله تعالى: ﴿**فضربنا على آذانهم في الكهف**﴾(الكهف/١١).[٢]

٣) علم التصريف الذي يُعرف به بني الكلم واشتقاقه: ((وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يُفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني...))[٣] فهم يقولون مِقص لآلة القص، ومَقص للموضع الذي يكون فيه القص وكذلك مِحلب ومَحلب، ومِفتح ومَفتح، ويقولون: "كم رجلٍ رأيت" للإخبار، "وكم رجلاً رأيت" للاستفهام: ((... ويكون ذلك في الاسماء والأفعال، فيقولون للطريقة في الرمل خبة، وللأرض المخصبة والمجدبة خُبة ..))[٤] :((... ومما اختصت به العرب بعد الذي تقدم ذكره: قلبهم الحروف عن جهاتها ليكون الثاني أخف من الأول، نحو قولهم: ميعاذ ولم يقولوا موعاد: "وهما من الوعد إلا أن اللفظ الثاني أخف))[٥].

٤) الإعراب الذي يُبينُ عن المعاني الدقيقة للكلم، ومثالُ ذلك: "ما أحسنَ زيدٌ "للنفي و"ما أحسنُ زيدٍ" للاستفهام وما أحسنَ زيداً للتعجب[٦].

٥) عدمُ اجتماع ساكنين متتاليين في العربية: ((... ومن ذلك تركهم الجمع بين ساكنين. وقد تجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن)). وأما العرب فتميل إلى التخفيف إما عن طريق اختلاس الحركات أو الترخيم، أو الحذف أو الإدغام[٧].

٦) كثرةُ المترادفات في اللغة العربية، فللأسد فيها خمسمائة اسم، وللحية مائتان، ولكننا لا نجد مترادفات في أية لغة أخرى غير العربية[٨]

---

(١) ابن فارس، الصاحبي ٤١.
(٢) السابق ٤١ وقابل بـ ابن حاتم، الزينة ٦٢/١، وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص١٦.
(٣) الصاحبي ١٩١.
(٤) السابق ١٩٢.
(٥) السابق ٤٣ وانظر باب "الشيء يأتي مرة بلفظ المفعول ومرة بلفظ الفاعل والمعنى واحد" ص ٢٦٣.
(٦) الصاحبي ١٩٠-١٩١. وانظر ٧٧-٧٨، وقابل بـ أبي حاتم، الزينة ٧٧/١-٨٠ [وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص ١١].
(٧) الصاحبي ٤٣، وانظر باب :"الحذف والاختصار" ٢٠٥ - ٢٠٦.
(٨) السابق ٤١ و٤٣-٤٤، وقابل بـ الباقلاني في اعجاز القرآن ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧) اجتماع الايجاز والمجاز بأنواعه المختلفة[١] في لغة العرب. وهو يرى أنهما أهم عاملين لهما أثر في أفضلية اللغة وسموها ولذلك ضرب لهما أمثلة كثيرة[٢]: ((... فأين لسائر الأمم ما للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يُعبر عن قولهم: ذات الزمين[٣]، وكثرة ذات اليد[٤]، ويد الدهر[٥]، وتخاوصت النجوم[٦]، ومجت الشمس ريقها ... وكقولهم للجموع للخير قثوم[٧] ... واقتحف الشراب كله[٨] ... وفي هذا الأمر مصتاعبٌ وقحم[٩] ... وقد تقادعوا تقادع الفراش في النار...))[١٠]

٨) انفرادُ العرب بأحرفٍ دون غيرها من اللغات، مثل الهمزة في عرض الكلام، والحاء، والظاء وأل التعريف والضاد[١١].

٩) العروض الذي يُعد ميزان شعرهم، وبه يُعرف صحيحه من سقيمه[١٢]، وقد اعتبر ابن فارس أيضاً أن الشعر من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب دون غيرها: ((... بلى الشعر شعر العرب ديوانهم، وحافظ مآثرهم، ومقيد أحسابهم ...))[١٣]

١٠) ويرى ابن فارس أن أفضلية اللغة تعود في عمومها إلى أساليب العرب المختلفة التي تباين لغات الأمم الأخرى وتفضلها وأشهر أساليبهم البلاغية: العموم والخصوص[١٤] وباب نظم للعرب ولا يقوله غيرهم[١٥]، وباب الكناية[١٦]، وباب الإفراط[١٧]، وباب الاستطراد[١٨]، وغيرها من الأبواب[١٩].

وهذه الخصائص التي جعلت العربية أفضل اللغات عندهم[٢٠] مستقاةٌ من الكلام الفصيح المحتج به، أما كلام المولدين وأشعارهم فلم يأبهوا به[٢١] ولم يكن ابن فارس أول من جعل لغة العرب هي مقياس أفضليتها بل سبقه إلى ذلك "علي بن أبي طالب" الذي

---

(١) وهي الاستعارة (التصريحية والمكنية) والتمثيل والتشبيه، بأنواعه، والكناية ... الخ.

(٢) الصاحبي ٤٢-٤٣ وانظر هذه المسألة عند ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص ١٥.

(٣) أي في ساعة من الساعات، يريد تراخي الوقت. (٤) كريم.

(٥) يُقال لا اتيك يد الدهر: أي أبداً. (٦) مالت للغروب وغارت. (٧) من اقتثم المال، أي أخذه كثيراً وجرفه.

(٨) أي شربه كله. (٩) شدائد وعقبات. (١٠) تسابقوا.

(١١) الصاحبي ١٠٠. (١٢) السابق ٧٧-٧٨.

(١٣) الصاحبي ٧٧. وقابل بـ ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ص١٤ وأبي حاتم، الزينة ١٨/١. والباقلاني اعجاز القرآن ٣٢.

(١٤) الصاحبي ٢٠٩. (١٥) السابق ٢٦٦. (١٦) السابق ٢٦٠-٢٦٣.

(١٧) السابق ٢٦٧-٢٦٨. (١٨) السابق ٢٦٩-٢٧٠.

(١٩) انظر باب الزيادة ٢٠٦-٢٠٧ والصفحات ٢٦٣-٢٦٤ و ٩٩-١٠٠، وباب التكرار ٢٠٧-٢٠٩، وباب اضافة الفعل الى ما ليس بفاعل في الحقيقة ٢١٠-٢١١وغيرها من الأبواب فصلها في باب سنن العرب ١٩٦ وما بعدها وانظر في هذه النقطة الزينة ٧٦/١-٧٧. والباقلاني اعجاز القرآن ٣١-٣٢.

(٢٠) المقصود هنا العلماء الذين كان رأيهم مماثل لرأي ابن فارس . (٢١) ابراهيم السامرائي، التطور اللغوي ص٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: ((كلام العرب كالميزان الذي يُعرف به الزيادة والنقصان، وهو أعذب من الماء. وأرق من الهواء، إنْ فسرته بذاته استصعب، وإن فسرته بغير معناه استحال، فالعرب اشجار، وكلامهم ثمار، يثمرون والناس يجتنون، وبقولهم يقولون، وإلى علمهم يصيرون))[١]، والفراء[٢]، وابن قتيبة الذي قال: ان لغة العرب تامة الحروف :((...وألفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفا، وهي أقصى طوق اللسان))[٣].

وأبو حاتم في الزينة [٤]، والفارابي في ديوان الأدب[٥]، والباقلاني الذي قال: إن العربية فضلت على غيرها لاعتدالها في الوضع، لأن أغلب كلامها ثلاثي :((...ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي، لأنهم نطقوا بحرف وسكتوا على آخر، وجعلوا حرفا وصلة بين الحرفين، ليتم الأبتداء والانتهاء على ذلك، والثنائي أقل وكذلك الرباعي والخماسي أقل، ولو كان كله ثنائيا لتكررت، الحروف ولو كان كله رباعيا أو خماسيا لكثرت الكلمات))[٦]

وقد قال مثل قولهم ابن جني، وأتى بدليلين قويين على اثبات أفضلية لغة العرب، وهما:

١) ان علماء العجم أقروا بأفضلية لغة العرب على لغاتهم ولا سيما في لطف صنعتها ورقة كلماتها :((...والمروي عنهم في شغفهم بلغتهم، وتعظيمهم لها، واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد أو جزء من أجزاء كثيرة منه.

فان قلت: فان العجم أيضا بلغتهم مشغوفون، ولها مؤثرون، ولأن يدخلها شيء من العربي كارهون، ألا ترى أنهم اذا رأورد الشاعر منهم شعرا فيه ألفاظ من العربي عيب به، وطعن لأجل ذلك عليه ، فقد تساوت حال اللغتين في ذلك، فأية فضيلة للعربية على العجمية، قيل لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة وما فيها من الغموض والرقة، لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا عن التقديم لها والتنويه منها. فإن قيل: لا، بل لو عرفت العرب مذاهب العجم في حسن لغتها، وسداد تصرفها، وعذوبة طرائفها لم تبء بلغتها، ولأ رفعت من رؤوسها استحسانها وتقديمها قيل: قد اعتبرنا ما تقوله فوجدنا الأمر فيه بضده، وذلك أنا نسأل علماء العربية ممن أصله عجمي، وقد تدرب بلغته قبل استعرابه عن حال اللغتين، فلا يجمع بينهما، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك، لبعده في نفسه تقدم لطف العربية في رأيه وحسه...))[٧]

---

(١) أبو حاتم الرازي، الزينة ٦٣/١.
(٢) ابراهيم السامرائي، التطور اللغوي ٢١-٢٢.
(٣) تأويل شكل القرآن ص١١.
(٤) ٦٤/١-٦٦.
(٥) تحق:أحمد مختار عمر وابراهيم أنيس،الهيئة العامة لشئون وأن المطابع الأميرية مجمع اللغة العربية،القاهرة،١٩٧٤،٧١/١-٧٢
(٦) الباقلاني اعجاز القرآن ١١٨.
(٧) ابن جني، الخصائص ٢٤٣/١-٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) العلم في العربية والترسخ في ميدان آفاقها المختلفة يساعد على فهم اللغات الأعجمية:((...فان قلت ما تنكر أن يكون ذلك، لأنه كان عالما بالعربية، ولم يكن عالما باللغة العجمية، ولعله لو كان عالما بها لأجاب بغير ما أجاب به، قيل: نحن قد قطعنا بيقين، وأنت انما عارضت بشك، ولعل هذا ليس قطعا كقطعنا، ولا يقينا كيقيننا. وأيضا فان العجم العلماء بلغة العرب، وان لم يكونوا علماء بلغة العجم، فإن قواهم في العربية تؤيد معرفتهم بالعجمية، وتؤنسهم بها، وتزيد في تنبيههم على أحوالها، لاشتراك العلوم اللغوية، واشتباكها وترامیها الى الغاية الجامعة لمعانيها، ولم نر أحدا من أشياخنا فيها- كأبي حاتم-، وبندار، وأبي علي وفلان وفلان-يسوون بينهما، ولا يقربون بين حاليهما، وكأن هذا موضع ليس للخلاف فيه مجال، لوضوحه عند الكافة...))[١]، ولم يكن هذا الاتجاه الوحيد، بل كان هنالك اتجاه آخر يقول :إنه لا توجد لغة أفضل من لغة، لأن اللغة ظاهرة انسانية تخضع للتغيرات الفكرية والسياسية والاجتماعية. فاذا كانت هذه العوامل متطورة، كانت اللغة متطورة، ومفضلة على غيرها من اللغات ورأس هذا الفريق ابن حزم الأندلسي الذي قال: ان الأفضلية تكون اما بالعمل أو بالاختصاص، وليس للغة عمل أو اختصاص، وقد ربط ابن حزم بين قوة الدولة في سياستها وعلومها واقتصادها، وبين قوة اللغة في فنونها المختلفة وقال: انهما يتناسبان تناسبا طرديا:((... وقد قال قوم: ان اليونانية أبسط اللغات، ولعل هذا إنما هو الآن، فان اللغة يسقط أكثرها، ويبطل بسقوط دوله أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فانما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها، ونشاط أهلها، وفراغهم. وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدئهم، فمضمون منهم موت الخواطر. وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم. وبيود علومهم هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل ضرورة))[٢].

ولذلك فقد سخر من "جالينوس" الذي اعتبر أن اللغة اليونانية هي أفضل اللغات، وما عداها نقيق ضفادع أو نباح كلاب. فقال :"...وهذا جهل شديد، لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها، فهي عنده في النصاب الذي ذكره جالينوس ولا فرق))[٣].

---

(١) السابق ١/٢٤٤. (٢) ابن حزم، الأحكام ١/٣٤-٣٥. (٣) السابق ١/٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومبدأ ابن حزم هذا هو ما ينادى به علم اللغة العام الذي يقول إن أفضلية اللغة وتطورها يعود إلى رقي المجتمع وتطور معالمه، ومظاهره الاقتصادية والاجتماعية المختلفة(١).

يقف الباحث حائرا بأي الرايين يأخذ، ولاسيما أنني لاأتقن لغة أعجمية، ولا أدعي اتقان اللغة العربية اتقانا تاما، وإن كنت أميل إلى ما قاله ابن حزم مع أنني لا أقطع به....

(١) انظر أنيس فريحة، نظريات في اللغة ٤٨-٤٩، وعبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة ١١-١٢، وعبده الراجحي، فقه اللغة ١٠٣، وحاتم الضامن علم اللغة العام ص٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

المعرب في القرآن الكريم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الفصل الثالث"

"المعرب في القرآن الكريم"

من القضايا التي عرض لها ابن فارس في كتابه الصاحبي "المعرب في القرآن الكريم" فقد عنونه بباب "القول في اللغة التي نزل بها القرآن"(١).

وقد اتفق العلماء على أن المعرب هو ما استخدمه العرب الفصحاء الذين يحتج بكلامهم من الكلام الأعجمي، لمعان غير موجودة في لغتهم(٢).

أنكر ابن فارس وقوع المعرب في القرآن، وأتى بدلائل على موقفه الذي ارتضاه يمكن اجمالها فيما يلي:

أ) أدلة نصية قرآنية :((فأما قولنا إنه ليس في كتاب الله -تعالى- شيء بغير لغة العرب، فلقوله -تعالى- ﴿**إنا جعلناه قرآنا عربيا**﴾(الزخرف/٣)، وقال ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾(ابراهيم/٤)، وقال الله -تعالى- ﴿**بلسان عربي مبين**﴾(الشعراء/١٩٥)...)) (٣)

ب) قول ابن عباس :((قال ابن عباس :((وما أرسل الله -جل وعز- من نبي إلا بلسان قومه، وبعث الله محمدا- صلى الله عليه وسلم- بلسان العرب)) (٤)

ج) اعتماده على قول أبي عبيدة الذي قال: ان القرآن كله عربي، وإذا وقع تماثل لفظي، ومعنوي بين لغتين، كان ذلك عائد الى التوافق اللغوي بين اللغات الأنسانية:((قال أبو عبيدة :((إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية، فقد أعظم القول ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول، قال: وقد يوافق اللفظ اللفظ، ويفارقه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها. فمن ذلك الاستبرق بالعربية وهو الغليظ من الديباج (والفرند) وهو استبره بالفارسية...))(٥).

---

(١) ابن فارس الصاحبي ٥٧-٦٢

(٢) الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف، المعجم تحق أحمد محمد شاكر. ط الأرفست طهران ١٩٦٦. ص٣. والسيوطي المزهر ٢٦٨/١ الشهاب الخفاجي، شفاء الغليل، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ط الأولى، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر،١٩٥٢ ص٢٣ والزبيدي تاج العروس تحقيق: عبد الستار أحمد فراج مطبعة حكومة الكويت، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والأنباء في الكويت ١٩٦٥م،٢٧/١.

(٣) الصاحبي ٥٩. (٤) ابن فارس الصاحبي ٥٩.

(٥) ابن فارس الصاحبي ٥٩. وأبو عبيدة: مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه، د.محمد فؤاد سزكين ط الاولى الناشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي، مصر، ١٩٥٤، ١٧/١-١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله ((...فالقول اذا ما قاله أبو عبيدة، وان كان قوم من الأوائل قد ذهبوا الى غيره))[١].

وقد أخبرنا ابن فارس رواية عن أبي عبيدة أن العلماء اختلفوا في وقوع المعرب، أو الكلام الأعجمي في القرآن، فبعضهم أنكر وقوعه في القرآن ولا سيما اللغويون، وقالوا إن القرآن الكريم هو كلام معجز، وكل كلمة فيه عربية الأصل والفرع، وبعضهم قال بوجود الكلام الأعجمي في القرآن ولا سيما الفقهاء -وقد بقي الخلاف بين الطرفين الى وقتنا وهم بذلك على نهج قدمائنا سائرون-.

وقد حاول فريق ثالث حل هذه القضية، بالتوفيق بين المذهبين، فقال: إن الكلمات التي قيل إنها أعجمية هي أعجمية في أصلها، أو في حروفها وعربية في استعمالها، فقد استعمل العرب تلك الألفاظ وأحدثوا عليها تغيرات صوتية، وصرفية تناسب أوزان لغتهم، وقد ذكرها القرآن الكريم، حسب استعمال العرب لها، فهي أعجمية الأصل، عربية الاستخدام قال ابن فارس :((فأما أبو عبيد القاسم بن سلام، فأخبرني عن نعمي بن إبراهيم عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال: أما لغات العجم في القرآن، فإن الناس اختلفوا فيها فروي عن ابن عباس وعن مجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة انها بلغات العجم منها: طه واليم والطور والربانيون، فيقال انها بالسريانية، ومنها الصراط والقسطاس، والفردوس، يقال إنها بالرومية، ومنها قوله كمشكاةٍ وكفلين، يقال انها بالحبشية، وقوله هيت لك، يقال إنها بالحورانية. قال: فهذا قول أهل العلم من الفقهاء، قال وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء، وأنه كله بلسان عربي، يتأولون قوله -جل ثناؤه- ﴿**إنا جعلناه قرآنا عربيا**﴾(الزخرف/٣) وقوله :﴿**بلسان عربي مبين**﴾(الشعراء/١٩٥)... قال أبو عبيد: والصواب من ذلك عندي -والله أعلم- مذهب فيه تصديق القولين جميعا. وذلك أن هذه الحروف أصولها اعجمية كما قال العلماء، انها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم الى إلفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية، فهو صادق. ومن قال أعجمية، فهو صادق.))[٢].

فقد كان لكل فريق أدلته التي احتج بها على وجهته التي ارتضاها، وسأحاول تبيان حجج كل فريق، حسب تقسيم الصاحبي.

---

(١) ابن فارس الصاحبي ٦٢.

(٢) ابن فارس الصاحبي ٦٠-٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فريق المؤيدين:

أكد هؤلاء وقوع المعرب في القرآن الكريم ، وقالوا ان وقوع ألفاظ اعجمية قليلة ومحدودة لا تؤثر في عروبة القرآن الكريم، لأن معظم كلماته وتراكيبه عربية[١]. واهم حججهم التي ذكروها لتأييد ما ذهبوا اليه :

١) الآيتان القرآنيتان ﴿**وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾(ابراهيم/٤). وقوله تعالى :﴿**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**﴾(سبا/٢٨). فهاتان الآيتان دليلان على أن القرآن الكريم، أنزل الى الناس كافة، وأن سيدنا محمدا مرسل لجميع الأمم على اختلاف ديارها ولسانها، ولذلك، فإن قومه لا يقتصرون على الجنس العربي، بل يتعداه إلى الأجناس الانسانية أو الأجناس العرقية واللغوية الأخرى .[٢]

٢) ورود روايات عن صحابة أجلاء، وتابعين تفيد أن القرآن الكريم، وقع فيه كلمات أعجمية[٣]، ومثال ذلك روايتهم عن ابن عباس –رضي الله عنهما– :((...أنه سئل عن قوله :﴿**فرت من قسورة** ﴾(المدثر/٥١). قال هو بالعربية الأسد، وبالفارسية شار وبالنبطية أريا، وبالحبشية قسورة))[٤] وأظنه ذكر ذلك بغرض التوضيح لا الترجيح.

وروايتهم عن سعيد بن جبير :((قال: قالت قريش، لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا؟ فأنزل الله تعالى –جل ذكره– :﴿**وقالوا لولا فصلت آياته، ءأعجمي وعربي، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾(فصلت/٤٤) فأنزل الله بعد هذه الآية في القرآن بكل لسان فيه))[٥].

وعن أبي ميسرة :((﴿**يا جبال أوبي معه**﴾(سبا/١٠) قال سبحي بلسان الحبشة))[٦] وقال :"...في القرآن من كل لسان))[٧].

٣) إن القرآن الكريم احتوى على علوم الأوائل وأخبارهم ولذا فإن ورود كلمات أعجمية فيه، أمر مسلم به في رأيهم :((...إن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن، أنه

---

(١) السيوطي، المهذب، تحق: التهامي الراجي الهاشمي طبع هذا الكتاب تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة. ص٥٩.

(٢) الشافعي الرسالة ٤٥ والسيوطي المهذب ص٦٢.

(٣) ابن فارس الصاحبي ٦٠-٦١ والجواليقي المعرب ٥.

(٤) الطبري مقدمة تفسيره ١٤/١.

(٥) الطبري مقدمة التفسير ١٤/١.

(٦) الطبري مقدمة التفسير ١٣/١.

(٧) السابق ١٤/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات. والألسن لتتم احاطته بكل شيء))[١].

٤) تأكيد النحويين أن معظم الأعلام القرآنية ممنوعة من الصرف، لأنها أعلام أعجمية، أمثال: إبراهيم وإسماعيل، وإسحاق وإسرائيل[٢].

٥) نطق الأعاجم بكلام يماثل كلام العرب نطقا ومعنى[٣].

وأشهر رواد هذا الاتجاه: الفقهاء كما ذكر أبو عبيد[٤]. وابن دريد[٥] وأبو حاتم الرازي[٦] والثعالبي[٧] والجواليقي[٨] وابن الجوزي[٩] والفخر الرازي[١٠] والسيوطي [١١] والشهاب الخفاجي[١٢] فقد أتوا بأمثلة كثيرة قالوا بأنها إعجمية أمثال :

استبرق معرب عن اللغة الفارسية[١٣]، والقسطاس معرب عن لغة الروم[١٤] والدينار معرب عن اللغة الفارسية [١٥].

والتنور معرب عن لغة الفرس[١٦].

والربانيون معرب عن السريانية[١٧].

وسندس معرب عن الفارسية[١٨].

والفردوس معرب عن لغة الروم[١٩] والمشكاة معرب عن لغة الحبشة[٢٠].

---

(١) السيوطي المهذب ٦١-٦٢. (٢) الجواليقي، المعرب،١٣ والسيوطي المهذب ٦٠. (٣) الرسالة الشافعي ص٤٤.
(٤) ابن فارس الصاحبي ٦٠-٦١ انظر صفحة الرسالة . (٥) الجمهرة باب "ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة"٣/٤٩٩-٥٠٢ (٦) الزينة ١/١٣٦-١٣٧. (٧) فقه اللغة ٣١٥-٣١٩ ط سليمان سليم البواب ١٩٨٤م.
(٨) فنون الأفنان تحق: حسن ضياء الدين عتر، ط١ دار البشائر الاسلامية بيروت-لبنان ١٩٨٧م ص٣٤١-٣٤٤.
(٩) التفسير الكبير دار احياء التراث العربي ط٣ عند الرحمن محمد صاحب المطبعة البهية المصرية بيروت-لبنان ٢٩/١٢٦.
(١٠) المهذب ٦٠-٦٢ . (١١) شفاء الغليل ٢٣-٢٤ وقد استنتجنا رأي بعضهم من خلال الأمثلة التي أوردوها في ثنايا كتبهم أمثال الثعالبي،والشهاب الخفاجي. (١٢) ابن دريد الجمهرة ٣/٥٠٢ أبو حاتم الرازي الزينة ١/١٣٦ الجواليقي المعرب ١٥ ابن الجوزي فنون الأفنان ٣٤٤. والفخر الرازي التفسير الكبير ٢٩/١٢٦، الفيروز أبادي القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، ٣/٢١٣، والسيوطي المهذب ٧١. (١٣) ابن دريد الجمهرة ٣/ ٥٠ ١، أبو حاتم الرازي الزينة ١/١٣٦، الثعالبي فقه اللغة ٣١٨، الجواليقي المعرب ٢٥١، ابن الجوزي فنون الأفنان ٣٤٧، السيوطي المهذب ١٢٥، الشهاب الخفاجي ،شفاء الغليل، تحق: السيد محمد بدر الدين الغساني ط الأولى ١٩٠٧ مطبعة السعادة مصر، ص ١٥٦. (١٤) ابن دريد الجمهرة ٢/ ٢٥٨، الجواليقي المعرب ١٣٩، ابن الجوزي فنون الأفنان ٣٤٥. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحق: عادل أحمد بن عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وآخرون، الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٣، ٢/٥٢٢، الفيروز أبادي القاموس المحيط ٢/٣٠-٣١. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ودار بيروت ١٩٥٥م ٤/٢٩٢. السيوطي المهذب ٨٨-٨٩. الشهاب الخفاجي شفاء الغليل ط١٩٥٢ ص١٢٤. (١٥) ابن دريد الجمهرة ٣/٥٠٢ الجواليقي المعرب ٨٤ ابن الجوزي فنون الأفنان ص٣٤٥ السيوطي المهذب ٨٠ الشهاب الخفاجي شفاء الغليل ط ١٩٥٢م ص٨٣. وقد ذكر ابن قتيبة أن عليا رضي الله عنه قال :"التنور وجه الأرض " أدب الكاتب تحق: محمد محي الدين ص٣٨٤. (١٦) أبو حاتم الزينة ١/١٣٦. الجواليقي المعرب ١٦١ ابن الجوزي فنون الأفنان ٣٤٥. السيوطي المهذب ٩٠ الشهاب الخفاجي شفاء الغليل ط١٩٠٧ ص٩٤ وقال عنها عبرانية. (١٧) الثعالبي فقه اللغة ٣١٧ الجواليقي المعرب ١٧٧ ابن الجوزي فنون الأفنان ٣٤٥. السيوطي المهذب ١٠٢ الشهاب الخفاجي شفاء الغليل ط١٩٠٧م ص ١٠٤.
(١٨) أبو حاتم الزينة ١/١٣٦ الثعالبي فقه اللغة ٣١٨ الجواليقي المعرب ٢٤٠-٢٤١ ابن الجوزي فنون الأفنان ٣٤٧.
(١٩) ابن قتيبة أدب الكاتب تحق: محمد محي الدين ٣٨٤ أبو حاتم الزينة ١/١٣٧ الجواليقي المعرب ٣٠٣ الفخر (٢٠) الرازي التفسير الكبير ٢٣/٢٢٢-٢٣٨ ابن الجوزي فنون الأفنان ٣٥١ السيوطي المهذب ١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فريق المنكرين :

أنكر أصحاب هذا الاتجاه وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم، فقالوا ان القرآن عربي الأحرف، والألفاظ والتراكيب، والنسج وأن نزوله بلغة العرب في ديار أفصح العرب (قريش)، وعجزهم عن الإتيان بمثله، دليل اعجازه، واثبات لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم. فلو كان في القرآن كلام أعجمي، لما تحدى العرب به، وأشهر رواد هذا الاتجاه -الذين شددوا النكير على من قال بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن- ابن عباس، والشافعي، وأبو عبيدة، والطبري والباقلاني والقرطبي والزركشي في البرهان وعبد الغني النابلسي. فقد أتى أصحاب هذا الاتجاه بحججٍ عقلية، ونقلية لاثبات وجهتهم التي ارتضوها، ورفض حجج الاتجاه الآخر، وأهم هذه الحجج:

١) الآيات القرآنية التي تنص على أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب(١). ومن هذه الآيات قال تعالى :﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين**﴾(الشعراء/١٩٥). وقوله تعالى :﴿**قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون**﴾ (الزمر/٢٨). وقوله تعالى :﴿**انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**﴾(يوسف/٢). وقوله :﴿**وكذلك أنزلناه حكما عربيا**﴾(الرعد/٣٧) وغيرها(٢).

٢) أن القرآن الكريم نفى عن نفسه أن يوجد به أعجمي وأن ألفاظه جميعها بلسان العرب لا لسان العجم، وهذا بين في الآيتين القرآنيتين التاليتين ﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**﴾(النحل/١٠٣)، وقوله تعالى :﴿**ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجميّ وعربي، قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء**﴾(فصلت/٤٤)(٣)

٣) أنكر هؤلاء الحجة الأولى للفريق الأول - التّي تقول: إن "القوم" في الآية الكريمة يمكن أن تعني أتباع النبي على إختلاف أجناسهم ولغاتهم - فقالوا إن القوم في الآية القرآنية تعني العرب عامة وقريشاً خاصةً، وأن اللغة العربية هي أفضل اللغات

---

(١) الشافعي الرسالة ٤٦-٤٧. وأبو عبيدة مجاز القرآن ٨/١ والطبري مقدمة تفسيره ١١/١ تحق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر. الباقلاني اعجاز القرآن تحق: السيد أحمد صقر ط٣ دار المعارف، مصر-القاهرة، ١٩٧١م ص٣١. وابن عباس برواية ابن حسنون ،اللغات في القرآن، تحق: صلاح الدين المنجد ط٢ دار الكتاب الجديد، بيروت -لبنان،١٩٧٢م، ص١٦.

(٢) طه/١١٣، فصلت/٣١، الشورى/٧، الزخرف/٣، الأحقاف/١٢.

(٣) الشافعي الرسالة ٤٧ الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط دار الفكر. فصلت/٤٤، ٢٤/١٢٦-١٢٩. النحل/١٠٣، ١٤/١٧٧-١٨٠. والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب وزارة الثقافة والارشاد القومي. الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة. فصلت/٤٤ ط دار الكتب ١٩٦٥م. ١٥/٣٦٨-٣٧٠. النحل/١٠٣ دار الكتب ١٩٦٢م ١٠/١٧٧-١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنسانية فقد قاس هذا الاتجاه اللغة على الدين، فما دام الإسلام يجب ما قبله من الديانات، فكذلك اللغة العربية مفضلة على غيرها من اللغات لأنها لغة الرسول صلى الله عليه وسلم وقومه، كما أن الاسلام دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأتباعه الأبرار :((...فاذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض ، فلا بد ان يكون بعضهم تبعا لبعض وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع، وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي، ولا يجوز -والله أعلم- أن يكون أهل لسانه اتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد بل كل لسان تبع للسانه، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه))[1].

٤) أن العرب قد فهموا القرآن، واستوعبوا جميع معانيه، وما ترمي إليه آياته، ولم يحتاجوا إلى أقوام سواهم، حتى يفسروا لهم بعض الألفاظ، والتراكيب القرآنية، فلو كان في القرآن ألفاظ أعجمية لدعاهم ذلك أن يسألوا الأقوام الاخرى عن معاني تلك الألفاظ وما تهدف اليه من معان بعيدة تغيب عن الذهن :((قالوا: ﴿**إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين**﴾ وتصداق ذلك في آية من القرآن، وفي آية أخرى :﴿**وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه**﴾(ابراهيم/٤) فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب، مثله في الوجوه والتلخيص وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب والمعاني...))[2].

٥) جهل بعض العرب الخاص من القرآن الكريم، فإن بعض العرب لا يعلمون من اللغة إلا عامها، وأما خاصها فلا يدركه -إلا من كان راسخ القدم في علوم العربية، لأن لغة العرب لا يحيط بها الا نبي :((ولعل من قال، ان في القرآن غير لسان العرب، وقُبل ذلك منه، ذهب الى أن من القرآن خاصا يجهل بعضه بعض العرب، ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلا جمع السنن، فلم يذهب منها عليه شيء، فاذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن، واذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجودا عند غيره، وهكذا لسان العرب عند

---

(١) الشافعي الرسالة ٤٦.

(٢) أبو عبيدة مجاز القرآن ط١٩٥٤ ص١/٨ والباقلاني اعجاز القرآن ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ولا يُطلب عند غيرها، ولا يعلمه إلا من قبله عنها، ولا يشركها فيه إلا من اتبعها في تعلمه منها، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها...))[١].

٦) أن لغة العرب هي أوسع اللغات الانسانية، وان القرآن الكريم نزل على أنماط لغة العرب، ففيه اللفظ العام الذي يدل على الخاص، واللفظ الخاص الذي يدل على العموم، واللفظ الواحد الذي له معان متعددة. والمعنى الواحد الذي له ألفاظ متعددة، بالاضافة الى المجاز الذي اعتبره هؤلاء في المجاز القرآن الكريم :((قال الشافعي: فانما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها،وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويُستغنى بأول هذا منه عن آخره وعاما ظاهرا يراد به العام. ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه أو آخره، وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله... وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة ...))[٢].

((...ويقولون: ليس يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقديم العجيب، ويمكن بيان ذلك، بأنا لا نجد في القدر الذي نعرفه من الألسنة للشيء الواحد من الأسماء ما نعرف من اللغة، وكذلك لا نعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة، على ما تتناوله العربية، وكذلك التصرف في الاستعارات والإشارات، ووجوه الاستعمالات البديعة...))[٣]

٧) قاموا بدحض مقولة الاتجاه الثاني، والنحويين، ان معظم الأعلام الواردة في القرآن الكريم أعجمية وسبب عجمتها أن أوزان معظمها لا تماثل أوزان لغة العرب، مثل ابراهيم واسماعيل واسرائيل وماروت...الخ. فقالوا: من سلم لكم انكم أحصيتم أوزان لغات العرب كلها :((...وأما ان لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون، وحينئذ لا يكون القرآن عربيا مبينا، ولا يكون مخاطبا لقومه بلسانهم، والله اعلم))[٤] ولغة العرب لا يحيط بها الا نبي كما قال الشافعي[٥].

---

(١) الشافعي الرسالة ٤٢-٤٤. (٢) السابق ٥١-٥٣.

(٣) الباقلاني اعجاز القرآن ٣١. وانظر أبو عبيدة مجاز القرآن ط ١٩٥٤م ١/٨-١٦. وابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ١٠-١٧ وابن عباس برواية ابن حسنون اللغات في القرآن، تحق: صلاح الدين المنجدص١٦. وأبو عبيد القاسم بن سلام، لغات القبائل الواردة في القرآن تحق: عبد الحميد السيد طلب، الكويت ١٩٨٤م ص٤١.

(٤) القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١/٦٩. (٥) الرسالة ٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ناقش أحمد نصيف الجنابي هذه الحجة، التي استدل بها الفريق الأول على وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم. وأثبت بطلان قولهم وقول النحويين فيها، وذلك في بحثه "تأصيل عروبة لفظة إبراهيم"(١).

٨) إتيان المنكرين بنظرية لغوية جديدة تقوم على دحض من قال:((...فقد نجد من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب))(٢). وهي القول بالتوافق بين لغات العالم، فإذا وجد تماثل لفظي ومعنوي بين الشعوب المختلفة في جنسها ولغتها، فقد يكون هذا عائداً إلى التعلم أولا أو التبعية ثانيا، وإذا كان هذان السببان مفقودين، دعا ذلك الى القول بالتوافق بين اللغات الانسانية :((...فذلك يحتمل ما وصفت من تعلمه منهم، فإن لم يكن ممن تعلمه منهم، فلا يوجد ينطق الا بالقليل منه، ومن نطق بقليل منه فهو تبع للعرب فيه، ولا ننكر إذا كان اللفظ قيل تعلما أو نطق به موضوعا أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلا من لسان العرب.

كما يتفق القليل من ألسنة العجم المتباينة في أكثر كلامها، مع تنائي ديارها، واختلاف لسانها، وبعد الأواصر بينها، وبين من وافقت بعض لسانه منها))(٣)

ولم يقل بالتوافق الشافعي فقط بل سبقه الى ذلك ابن عباس فقال :((... والقرآن ليس فيه لغة الا لغة العرب، وربما وافقت اللغة اللغات، واما الأصل والجنس فعربي لا يخالطه شيء))(٤).

وتبعه في ذلك أبو عبيدة :((...وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها فمن ذلك الاستبرق بالعربية وهو الغليظ من الديباج، والفرند وهو بالفارسية استبره وكوز وهو بالعربية جوز وأشباه هذا كثير...))(٥).

والطبري :((...ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد... بل الصواب في ذلك عندنا أن يسمى عربيا أعجميا، أو حبشيا عربيا، إذ كانت الأمتان له، مستعملتين -في بيانها ومنطقها- استعمال سائر منطقها وبيانها، فليس غير ذلك في كلام كل أمة منهما بأولى أن يكون اليها منسوبا - منه))(٦).

---

(١) مجلة الضاد الجزء الثاني كانون الثاني ١٩٨٩م. العراق ١٧٨-١٩٤.

(٢) الشافعي الرسالة ٤٤.

(٣) الشافعي الرسالة ٤٤-٤٥.

(٤) ابن عباس برواية ابن حسنون اللغات في القرآن تحق: صلاح الدين المنجد ط ١٩٧٢، ص١٦، وأبو عبيد لغات القبائل الواردة في القرآن ص٤١.

(٥) أبو عبيدة مجاز القرآن ١٧-١٨.

(٦) الطبري في تفسيره ١/١٥-١٦.

All Rights Reserved -Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩) اعتمد المنكرون على اثبات نظريتهم بدليل تاريخي يقول: ان العرب كانوا ينقسمون الى قسمين، العرب العرباء الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية القديمة، وهي لغة يعرب بن قحطان، وعرب مستعربة هم الذين يتكلون بلسان اسماعيل -عليه السلام- وهي لغات الحجاز وما والاها[١]. يقوم هذا الدليل على أن الأعاجم أخذوا من اللغة العربية القديمة (اللغة العرباء) ألفاظاً فأحدثوا عليها تغيراً إما بزيادة أحرفها أو نقصانها، وبعد أن نزل القرآن ذكر هذه الألفاظ بصورتها العربية القديمة، فظنها بعض الكتاب أعجمية الأصل، بسبب استعمال العرب لها، والحقيقة أن العرب المستعربة ردت هذه الألفاظ إلى حقيقتها التاريخية، وأعادت إليها رونقها الذي ينسجم مع الذوق العربي السليم، فقال في ذلك عبد الغني النابلسي: ((... فإذا كان فيه كلماتٌ لا يعرفونها في اللغة التي نزل القرآن بها، وهي لغة قريش لا نقول إنها كانت عجمية فعربوها. ونقلوها من العجمية إلى العربية وأن في القرآن كلماتٌ معربة من لغة العجم، هذا مما لا ينبغي لنا أن نقوله في حق القرآن العظيم، بل نقول هذه الكلمات التي في القرآن العظيم ليست منقولة من لسان العجم، وإنما أصلها في لغة العرب العرباء اللغة القديمة، ثم تكلمت بها العجم فغيروها بسبب لسانهم الأعجمي، ثم نزلت بالوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم النبي العربي القرشي، وتكلمت بها العرب المستعربة في بلاد الحجاز، وقد وجد العلماء في لغة العرب من لغة الفرس، ولغة الروم ولغة الحبشة، ولغة النبط من يتكلم بها محرفة متغيرة لعدم إمكانهم النطق بها فصيحة، كما هي في لغة العرب العرباء في قديم الزمان، قالوا غيرتها العرب، وعربوها، إنما التغيير فيها من العجم لا من العرب خصوصاً...))[٢]

١٠) أن لغة العرب وضعٌ من الله وأنها هي أصل اللغات، وما عداها متفرعٌ عنها، وأن الوحي كان يُوحى للأنبياء بوساطة سيدنا جبريل بالعربية، ولكن الرسول يبلغ رسالته بلغتهم المتفق عليها فيما بينهم: ((... فاللغة العربية سابقة متقدمة على جميع اللغات، فكيف يكونُ فيها كلماتٌ معربة من لغات العجم، أو من غيرها من اللغات، وإنما هذه الكلمات التي قالوا إنها معربة عن لغات العجم هم العجم تكلموا بها في لغتهم محرفات عن أصلها العربي المبين الذي هو أقدم من ألسنة العجم كلها...))[٣]:((... وما أنزل الله- عز وجل-من السماء كتاباً إلا بالعربية، وكان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبي بلسان قومه، وذلك أن الله-عز وجل-قال:((وما ارسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبين ....))

---

(١) عبد الغني النابلسي رسالة تشريف التغريب في تنزيه القرآن عن التعريب ص ١٦٨.

(٢) عبد الغني النابلسي تشريف التغريب ١٦٨-١٦٩.

(٣) السابق ص ١٦٩-١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآية وليس من ألسنة الأمم أوسع من لسان العرب، والقرآن ليس فيه لغة إلا لغة العرب...))[١].

وقد استندوا في ذلك على دلائل نقلية فقد: ((روى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، ما أنزل الله عز وجل وحياً قط على نبي من الانبياء إلا بالعربية، ثم يكون ذلك النبي بعد يبلغ قومه بلسانهم" رواه الطبراني في المعجم الأوسط، وقال حديثٌ حسنٌ صحيح رجاله كلهم ثقاتٌ ... وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا عربي، والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي". أخرجه الطبراني في الأوسط وقال حديثٌ حسن ...))[٢]

فريق التوفيقيين:

ظهر اتجاهٌ توفيقي منذ بداية ظهور هذه القضية، وقد حاول أن يوفق بين الرأيين المتناقضين، وقالوا: إن الكلمات التي قال عنها الفقهاء أعجمية، هي أعجمية الأصل عربية الاستعمال، وبهذا حاول أصحابُ هذا الإتجاه إرضاء فريق الفقهاء بأن أصلها أعجمي، وإرضاء اللغويين الذين رفضوا أن يكون في القرآن كلمة أعجمية – بأن قالوا: إنها عربية الاستعمال – وقد تزعم هذا الفريق التوفيقي أبو عبيد القاسم بن سلام الذي قال: ((...والصواب من ذلك عندي – والله أعلم – مذهبٌ فيه تصديقٌ القولين جميعاً. وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت الى العرب، فأعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق...))[٣]

وقال مثل قوله ابن عطية :((...فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه، وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها، بعض مخالطة لسائر الألسنة، بتجارات وبرحلتي قريش، وكسفر مسافر بن أبي عمرو الى الشام، وكسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن

---

(١) ابن عباس برواية ابن حسنون اللغات في القرآن ص١٦، وأبو عبيد لغات القبائل ص٤١.

(٢) عبد الغني النابلسي تشريف التغريب ١٦٩-١٧٠.

(٣) ابن فارس الصاحبي ٦٠-٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوليد الى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى الى الحيرة، وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت الى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في أشعارها، ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصحيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن، فاذا جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره، كما لم يعرف ابن عباس معنى "فاطر" الى غير ذلك))[١].

وتبعهما في ذلك أبو المعالي عزيزي عبد الملك الذي استدل على وجهته بالآية القرآنية نفسها التي أخذها الفريق الأول دليلا فقال :((إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا، ويجوز أن يكونوا سبقوا الى هذه الألفاظ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق كافة، قال تعالى :﴿**وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين**﴾(إبراهيم/٤)[٢]

وإذا أنعمنا النظر فيما كتبه ابن فارس عن هذه القضية، وبحثنا عما اضافه من جديد في هذا الأمر وما أُخذ عليه من انتقادات وقابلنا قوله بما قاله السابقون عليه واللاحقون له. لوجدنا أنه أضاف أشياء قليلة وأُخذ عليه أخرى.

فابن فارس لم يضف الى ما قاله الشافعي وأبو عبيدة شيئا كثيرا، انما احتج بحججهم واستدل بأدلتهم.

أما ما أضافه إلى آرائهم، فيتضح فيما يلي:

١) نقد ابن فارس للحجة التي ارتكز عليها أبو عبيد في اتجاهه التوفيقي، فقد نص أبو عبيد على أن السبب الذي جعله يتخذ الموقف التوفيقي خوفه من أن يُتهم الفقهاء بالجهل لقولهم بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم، فقال أبو عبيد في ذلك :((...وإنما فسرنا هذا لئلا يقدم أحد على الفقهاء، فينسبهم الى الجهل، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله -جل ثناؤه- بغير ما أراده الله -جل وعز- وهم كانوا أعلم بالتأويل، وأشد تعظيما للقرآن))[٣].

فكان رد ابن فارس على هذه الحجة أنها حجة باطلها ظاهر، اذ أنه :((... ليس كل من خالف قائلا في مقالته فقد نسبه الى الجهل، وذلك لأن الصدر الأول اختلفوا في

---

(١) القرطبي في تفسيره ١/٦٨-٦٩. (٢) الزركشي ،البرهان في علوم القرآن، تحق: محمد أبو الفضل ابراهيم ط١ دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٧م،ص٢٩٠. والسيوطي المهذب٥٩ عبد الغني النابلسي تشريف التغريب١٧٢.
(٣) أبن فارس الصاحبي ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأويل آي من القرآن، فخالف بعضهم بعضا، ثم خلف من بعدهم من خلف، فأخذ بعضهم بقول، وأخذ بعض بقول حسب اجتهادهم وما دلتهم الدلالة عليه...))[١]

فقدرة ابن فارس على هدم الأساس الذي ارتكز عليه الفريق التوفيقي يجعلنا نقول: إنه لا يوجد فريق توفيقي، وإنما هو فريق استرضائي تابع للفريق الأول فالمتناولون لهذه القضية ينقسمون الى قسمين ليس غير، قسم المنكرين لوجود المعرب في القرآن، وقسم المؤيدين لوجوده، وذلك لأن الأصول الأعجمية لتلك الكلمات التي قال عنها أبو عبيد إنها أعجمية الأصل لا يمكن أن تغيب عن علماء اللغة الفصحاء، أمثال الشافعي وأبي عبيدة، وابن فارس والباقلاني[٢].

(٢) تفسير ابن فارس لعبارة أبي عبيدة :((... فمن زعم أن فيه غير العربية، فقد أعظم القول. ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول...))[٣] بقوله :((... فان قال قائل: فما تأويل قول أبي عبيدة :((فقد أعظم القول" قيل له: تأويله بأنه أتى بأمر عظيم أو كبير، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب انما عجزت عن الاتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه))[٤]

(٣) رفضه قول من ذهب إلى جواز قراءة القرآن في في الصلاة باللغة الفارسية فقال: اذا جازت قراءة القرآن في الصلاة بالفارسية، فالأولى أن يجاز قراءة كتب التفسير في الصلاة، لأنها بالعربية، والعربية لغة معجزة. وأما أن يقرأ القرآن باللغة الفارسية في الصلاة فهذا بعيد، لأنها لغة مفتقرة لسمة الاعجاز :((واذا كان كذا فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية، لأن الفارسية ترجمة غير معجزة، وانما أمر الله – جل ثناؤه– بقراءة القرآن العربي المعجز، ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لكانت كتب التفسير والمصنفات في معاني القرآن باللفظ العربي أولى بجواز الصلاة بها، وهذا لا يقوله أحد))[٥]

فالناظر فيما أضافه ابن فارس، يدرك كيف كان شديد النكير على من قال بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم.

---

(١) الصاحبي ٦٢. (٢) أحمد محمد شاكر مقدمة المعرب ص ١١. (٣) أبو عبيدة مجاز القرآن ١٧-١٨ الصاحبي ٥٩.

(٤) ابن فارس الصاحبي ٦٢.

(٥) ابن فارس الصاحبي ٦٢ وقد ناقش أحمد نصيف الجنابي هذه القضية وأثبت عدم جواز قراءة القران بالفارسية، وذلك بسؤاله أهل الفقه عن ذلك انظر مقال " حديث مفترى" مجموعة في كتاب" إنا أنزلناه قرآنا عربيا "مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ص٥٩-٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما اذا أردنا أن نستخلص المآخذ التي يمكن أن تؤخذ عليه فاننا نجد أنه أغفل التعقيب على مسألتين رئيسيتين في هذه القضية أو في هذا الباب. وهما:

١) نظرية التوافق: لم يناقش ابن فارس مفهوم نظرية التوافق اللغوي، وهل كان يؤيدها أو يرفضها، مع أن الناظر في كتابه يظن أنه كان يأخذ بها وذلك عندما قال: ((فالقول اذاً ما قاله أبو عبيدة ...))[١] فقد كان أول ظهور لهذه الكلمة على لسان ابن عباس حسب رواية ابن حسنون المقرئ[٢]، وتبعه في ذلك الشافعي[٣] وأبو عبيدة[٤] والطبري[٥]. فكلمة التوافق عند ابن عباس يمكن أن يكون قد أضافها ابن حسنون المقرئ، ويمكن أن يكون مفهومها عنده وعند الشافعي توافق اللفظ والمعنى، في الحواس العينية التي لها أثر صوتي في الأذن. مثال أصوات الحيوانات – فقد تتشابه اللغات في تسمية صوت القط "ميو" وأصوات ظواهر الطبيعة من رعد وماء وريح – فقد يطلقون على صوت الرعد "دوف، ودوف، ودوب..."– ، والأصوات الناتجة عن اصطدام يد الإنسان بأي شيء آخر –مثال: رمى الحجر، وطرق الباب، فهذا قد يسمونه "دق، دك، نق، نك...الخ– ولكن هذا المفهوم تطور وفقا للمعطيات الحضارية واللغوية والكلامية عند أبي عبيدة والطبري. اذ أصبحا يقولان بتوافق الأسماء والمصطلحات لفظا ومعنا، ولا أعتقد بصحة هذا الكلام عقليا ولا تشريحيا، فلا يمكن ان تتفق أمتان على اطلاق اسم ما أو مصطلح ما على شيء ما، دونما اتصال تجاري أو اتفاق سياسي فيما بينهما، فأما ما ذهبا اليه من اتفاق لغوي في اللفظ والمعنى، فذلك بعيد، بل أحدهما أصل والآخر فرع غالبا، وبما أن أبا عبيدة والطبري قد أثبتا عروبة ألفاظ القرآن الكريم، من ناحية البنية والمعنى، فلا أجد ضرورة لهذا الاصطلاح الغامض الذي يوهم بأنه قد يوجد في القرآن الكريم كلمات فارسية مثل :((... السجيل فارسية، سنك وكل أي حجارة وطين))[٦] التي أثبت أبو عبيدة انها عربية وقال :((...إنما السجيل الشديد))[٧]

أما السبب الذي دعاني لإنكار هذه المقولة، ووسمي إياها بالضعف، لأنها سلاح ذو حدين، يمكن أن تُفسر لصالح عروبة الألفاظ القرآنية، ويمكن أن تكون وسيلة لتأكيد وجود

---

(١) ابن فارس الصاحبي ٦٢.

(٢) اللغات في القرآن تحق: صلاح الدين المنجد ص١٦ ولغات القبائل لأبي عبيد ٤١ وانظر صفحة الرسالة.

(٣) الرسالة ٤٤-٤٥ . (٤) ومجاز القرآن ١٧-١٨. (٥) تفسيره ١/١٥-١٦.

(٦) ابن قتيبة أدب الكاتب تحق: محمد محي الدين عبد الحميد ط٤ مطبعة السعادة يطلب من المكتبة التجارية الكبرى –مصر، ١٩٦٣. ص٣٨٤. والجواليقي المعرب ١٨١ تحق: أحمد محمد شاكر.

(٧) أبو عبيدة مجاز القرآن ص١٨ وابن فارس المقاييس ١٣٦/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعرب في القرآن، وقد رفض نظرية التوافق ابن عطية من قبل فقال :((...وما ذهب إليه الطبري رحمه الله من أن اللغتين اتفقتا في لفظة فذلك بعيد بل أحدهما أصل، والآخر فرع في الأكثر، لأنا لا ندفع أيضا جواز الاتفاق قليلا شاذا))[١]

٢) موقف ابن عباس من هذه القضية، ذكر ابن فارس قولا لابن عباس، يثبت فيه وجهته التي تنص على أنه لا يوجد أي كلام أعجمي في لغة القرآن لأن القرآن عربي منزل الى نبي عربي[٢].

ونقل ابن فارس أيضا قولا لأبي عبيد يثبت فيه أن ابن عباس كان يقول بوجود المعرب في القرآن[٣]، فهذان القولان متناقضان، لم يقف عندهما ابن فارس، ولم يوضح أبعادهما، ولم يبين لنا هل كان ابن عباس مع الفريق الأول أم مع الفريق الثاني.

وقد تضاربت الروايات في موقف ابن عباس، فبعضها تقول انه ينكر وجود المعرب في القرآن، وبعضها تقول انه مؤيد لوجوده، وأشهر الروايات التي نقلت عنه في انكاره لوجود المعرب في القرآن ما رواه ابن حسنون وأبي عبيد القاسم بن سلام في كتابيهما اللغات في القرآن[٤]. ولغات القبائل الواردة في القرآن[٥] .

أما أشهر كتاب روى روايات تثبت ايمان ابن عباس بوجود المعرب في القرآن، فهو كتاب الطبري :((... وفيما حدثكم به ابن حميد قال: حدثنا حكم... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس :﴿**إن ناشئة الليل**﴾(المزمل/٦) قال بلسان الحبشة، إذا قام الرجل من الليل قال نشأ))[٦] وغيرها[٧].

فاستطلاع هذه الروايات المتضاربة المتناقضة عن ابن عباس تجعلنا حائرين أمام اطلاق رأي قاطع في موقفه حول هذه القضية، فالذين روى عنهم أبو عبيد، وابن حسنون، والطبري كلهم ثقات، وتهاب العقول أن تتطق في رواياتهم قولا، ولكنني أميل الى روايات أبي عبيد وابن حسنون، لأنهما أصفى منبعا والى ابن عباس أقرب عهدا، اضافة الى أننا لا نعرف جنس القوم الذين كان يفسر لهم ابن عباس، آيات القرآن وألفاظه، فلربما تكون هذه الأقوام قادمة من اليمن –الذين خالطت لغتهم لغة الحبشة، واستقرضت الحبشة من اللغة اليمنية الشيء الكثير، وأصبحت هذه الكلمات مرتكزا أساسيا من مرتكزات لغة الحبشة– فقد يجوز أن يفسر ابن عباس لأهل اليمن الألفاظ

(١) القرطبي في تفسيره ٦٩/١. (٢) ابن فارس الصاحبي ٥٩. (٣) السابق ٦٠. (٤) تحق صلاح الدين المنجد ص١٦.
(٥) ص ٤١. (٦) الطبري في تفسيره ١٣/١. (٧) الطبري في تفسيره ١٤/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآنية، بألفاظ لغة الحبشة التي كانت في سالف الأزمان ألفاظا عربية يمنية، وقد يكون هؤلاء القوم من الحبشة أو من الروم أو من الفرس أو النبط.

نحن نعلم أن ابن عباس حبر هذه الأمة وعالمها، ولكنه لا يمكن أن يكون عارفا أو مطلعا على أسرار لغة العرب وأساليبها، ولهجاتها، وألفاظها الغابرة، والحاضرة جميعها، لأن علم لغة العرب يساوي مجموع ما يختزنه أبناؤها جميعهم، وان كانوا متفاوتين في كمية المادة العلمية المختزنة في عقولهم، فبعضهم يعلم الكثير الكثير وبعضهم يعرفون القليل، فقد يكون قد فاته معرفة نسبة هذه الألفاظ لأي القبائل العربية هي، لأن اللغة العربية لا يحيط بها الا نبي[١] وهذا ليس بغريب إذ ((خفي على ابن عباس معنى فاطر وفاتح))[٢].

:((... ولهذا قال ابن عباس، ما كنت أدري معنى﴿ **فاطر السموات والأرض**﴾(فاطر/١)، حتى سمعت امرأة من العرب تقول: أنا فطرته أي ابتدأته))[٣] كما خفي معنى "أب" على عمر بن الخطاب رضي الله عنه:((...أنه لما تلا هذه الآية قال هذه الفاكهة فما الأب))[٤] التي قال عنها السيوطي في مهذبه نقلا عن شيدلة في البرهان :((الأب الحشيش بلغة أهل المغرب))[٥] وأيده في ذلك محقق المهذب "التهامي الراجي الهاشمي" "أنها معربة"، ولكنه قال انها معربة عن الآرامية لا المغربية[٦]، وقد أثبت عبد الحق فاضل في مقالته "دخيل أم أثيل"[٧] عروبة هذه اللفظة :((وهي تعني في العربية الكلأ، أو المرعى أو ما أنبتت الأرض أو الخضر على قول القاموس، وقد وردت في الآرامية بصيغة (ايبو ebo) بمعنى الثمرة، وأثل "الأب" هو "آب" أيضا أطلقه العرب فيما يظهر على العشب الذي ينبت في البر، حين تلتقي الأرض ماء المطر، أي أن معنى الماء انتقل الى معنى العشب الذي ينبته الماء في العربية ... واضح أن العربية ليست هي التي اقتبست الكلمة من الآرامية، بل العكس الصحيح، لأنها اطلقت اولا على كل ما تنبت الأرض من عشب وخضرة، ثم تخصصت في الآرامية بمعنى الثمرة...))[٨]

---

(١) الشافعي الرسالة ٤٢.

(٢) السيوطي الإتقان دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٧٨/١. وانظر الآمدي الإحكام في اصول الأحكام، ٥١/١.

(٣) الآمدي الإحكام ٥١/١. (٤) الآمدي الاحكام ٥١/١. (٥) ص٦٦.

(٦) حاشية المهذب ص٦٦. (٧) مجلة اللسان العربي مجلد ٧ الجزء الأول ١٩٧٠. (٨) المقال السابق ص٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما معاصره ابن جنى، فانه لم يفرد لهذه القضية بابا من أبواب كتبه التي اطلعت عليها[١] إلا أننا وجدنا عبارات متناثرة في ثنايا كتبه يمكن أن نستشف منها رؤيته التي انتهجها.

إن عباراته التي قرأناها تجعلنا نقول: إن ابن جني اتجه اتجاهات متباينة، إذ أنه اختط منهج الشافعي طريقا في كتابه "المحتسب"[٢].

فكلمة "هيت لك" التي اعتبرها معظم كتابنا الأقدمين أعجمية[٣] عدها ابن جني عربية فقال :((...فيها لغات[٤]: هَيْتَ لك، وهَيْتَ لك، وهَيْتَ لك، وكلها أسماء تسمى بها الفعل، بمنزلة صهٍ ومهٍ وايهٍ في ذلك، ومعنى (هَيْتَ) وبقية أخواتها أسرع وبادر ... قال طرفه:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشيرة: هَيْتُ...))[٥]

وانتهج منهج ابي عبيدة عندما تناول كلمة التنور :((إن التنور لفظة اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم، وان كان كذلك فهو ظريف، وعلى كل حال فهو فعول أو فعنول، لأنه جنس، ولو كان أعجميا لا غير جاز تمثيله لكونه جنسا ولاحقا بالمعرب، فكيف وهو أيضا عربي لكونه في لغة العرب غير منقول إليها، وإنما هو وفاق وقع، ولو كان منقولا الى اللغة العربية من غيرها، لوجب أن يكون أيضا وفاقا بين جميع اللغات غيرها. ومعلوم سعة اللغات غير العربية، فان جاز أن يكون مشتركا في جميع ما عدا العربية، جاز أيضا أن يكون وفاقا فيها))[٦].

وقد روى عن علي بن أبي طالب أنه قال :((التنور وجه الأرض))[٧] دون أن يردف انها وافقت لغة العجم أوأنها كلمة معربة.

واتجه وجهة أبي عبيد عندما تحدث عن كلمة "الدرهم" فقال: إنها أعجمية، إلا أن العرب عربتها، وأخضعتها لميزانها الصرفي، فهي أعجمية الأصل، عربية الاستعمال إذ قال :((قال أبو علي ويؤكد ذلك ان العرب اشتقت من الأعجمي النكرة، كما تشتق من أصول كلامها .((وحكى لنا أبو علي عن ابن الأعرابي أظنه قال: يقال دَرْهَمت الخُبازى،

---

(١) وهي الخصائص، وسر صناعة الاعراب والمحتسب في شواذ القراءات.

(٢) ابن جني، المحتسب، تحقيق: علي النجدي ناصف بـ. عبد الحليم النجار وعبد الفتاح اسماعيل شلبي. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦م.

(٣) فقد اعتبرها ابن عباس حسب رواية ابن حسنون، توافق النبطية، اللغات في القرآن ص٣٠ وقال عنها أبو عبيد وأبو حاتم انها معربة عن الحورانية الصاحبي ٦١ والزينة ١٣٧/١ وقال عنها السيوطي إنها معربة عن عدة لغات أمثال السريانية والعبرية المهذب ١٥٦-١٥٧. (٤) أي لهجات. (٥) ابن جني المحتسب ٣٣٧/١. (٦) ابن جني الخصائص ٢٨٨/٣-٢٨٩.

(٧) ابن قتيبة أدب الكاتب ص ٣٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي صارت كالدراهم، فاشتق من الدرهم وهو اسمٌ أعجمي وحكى أبو زيد: رجل مُدَرْهَم (أي كثير الدراهم) قال ولم يقولوا منه: دُرهِم، إلا أنه إذا جاء اسم المفعول فالفعل نفسه حاصل في الكف، ولهذا أشباه))[١]

رأيا ابن جني الأولان يصبان في منبع واحد، أن ألفاظ القرآن الكريم كلها عربية، وان كان رأيه الثالث يخالف ما ذهب اليه في رأييه السابقين، والمرجح عندنا أن ابن جني يسير مسار أبي عبيدة، لأنه لم يصف أي كلمة قرآنية بأنها أعجمية، سوى كلمة درهم مع أنه أتى لها بأصل عربي.

رأي المحدثين:

وقف المحدثون من هذه القضية موقفا يشابه موقف القدماء، فمنهم من أيد وجود المعرب في القرآن، أمثال، الأب أنستاس الكرملي في كتابه "نشوء اللغة العربية نموها واكتهالها"[٢] وجورجي زيدان في كتابه "اللغة العربية كائن حي"[٣] وعرفان أبو حمد في كتابه "ألفاظ أجنبية في اللغة العربية"[٤] وطوبيا العنسي في كتابه :"تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه"[٥] ومنهم من أنكر وجوده في القرآن أمثال: نوري حمودي القيسي في مقال "هكذا يتجنى الفرس على لغة القرآن" والدكتور كامل حسن البصير في مقاله "البحث اللغوي من رحاب العلم إلى نافقاء التعصب". والدكتور أحمد نصيف الجنابي في مقالة حديث مفترى" وقد جمعت المقالات الثلاثة السابقة في كتاب وسم "بإنا أنزلناه قرآنا عربيا"[٦] والدكتور أحمد مطلوب في مقاله :"مسالك الدس الشعوبي في اللغة العربية"[٧] الذين أنكروا ان تتصف أية كلمة قرآنية بالعجمة، ويظهر ذلك واضحا في ردودهم على "مهدي محقق" الذي كتب مقالا عنونه ب"أثر الفارسية في اللغة العربية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[٨] إن المضمون الذي تحتويه هذه المقالة، هو "التركيز على وجود المعرب في اللغة العربية منذ وجودها، ويستدل

---

(١) ابن جني الخصائص ٣٥٩/١، (٢) ص٣٨-٤١.

(٣) دار الهلال ص٣٣ وما بعدها ويظهر، رأي جورجي جليا في مناقشته لبعض الكلمات القرانية أمثال: كلمة النفاق والتي قال ان أصلها حبشي وأن معناها الهرتقة أو البدعة أو الضلال ص٣٦. وكلمة (الحواري) ص٣٧. وكلمة برهان ص٣٧...الخ.

(٤) ط الأولى دار المشرق للترجمة والطباعة (شفا عمرو ١٩٨٣م). (٥) دار العرب للبستاني القاهرة ١٩٦٥م.

(٦) مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٨م. (٧) مجلة الضاد مجلد٢-٣ الجزء الثاني ١٤٠٩ كانون الثاني ١٩٨٩م ص ٩-٤٤.

(٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٦٢ ج٢ سنة ١٩٨٧م. ص٣٠٥-٣١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ذلك من ألفاظ وجدت في أبيات شعرية للأعشى، ونقطة الارتكاز التي قام عليها البحث وجود المعرب في القرآن الكريم، ووجوده في الأحاديث النبوية، بالاضافة الى أن أبا حنيفة أجاز الصلاة باللغة الفارسية، فقد أتى هؤلاء ببراهين وحجج نقلية وعقلية تثبت بطلان ما زعمه "محقق"، وأهم تلك الحجج: أنهم قاموا ب"هدم الأساس الذي ارتكز عليه محقق في مقالته، إذ قالوا: إن اللغة الفارسية التي يدعي "محقق" أن لها أثرا في لغة العرب، ولغة القرآن، والحديث، هي لغة حديثة اذا ما قورنت بظهور الاسلام، ونزول القرآن إذ أثبت هؤلاء أن اللغة الفارسية حديثة العهد، فقد ظهرت بعد قرنين من إرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا لهذه الأمة أي (السابع الميلادي) وكان يطلق عليها اللغة "الفارسية الاسلامية" وأن اللغة التي كانت سائدة في عصر النبوة هي "اللغة الفهلوية" التي لم يبق منها شيء، ولذلك فإنها لا يمكن أن تؤثر لغة في القرآن والحديث قبل ما يظهر أو يتحدث بها على الألسن أو يكتب بها مؤلفات علمية أو أدبية[١].

وقد أنكر وجود المعرب في القرآن أيضا أحمد محمد شاكر الذي قال :((فهم يرون أن هذا القرآن، وقد امتن الله فيه على العرب، بأنه عربي في آيات متكاثرة متواترة، وهذا المقصد من لغة العرب من مقاصده، لا يعقل أن تكون كلمة من كلماته – حاشا الاعلام– دخيلة على لغة العرب))[٢]

هذه مجمل الآراء التي قيلت حول هذه القضية من معارضين لها او مؤيدين او متوسطين سواء أكان هؤلاء قبل ابن فارس أو بعده، والوجهة التي ارتضيتها لي منهجا هي ما ذهب اليه الشافعي، وابن فارس، والباقلاني، والنابلسي، والجنابي، وذلك لأن أدلتهم على رؤيتهم أقوى، وبراهينهم على مذهبهم أقوم، ولا أعلم ما السبب الذي جعل علماءنا يصيرون هذه الألفاظ القليلة قضية، مع أن القرآن قد كفاهم مؤونة البحث، فقد قال لهم في ثناياه أنه عربي إحدى عشرة مرة، وأنه ليس بأعجمي مرتين.

فإنني أعتقد أن ورود أي لفظة في القرآن هو دليل على أصلها العربي، ويجب أن تؤخذ ألفاظه مقياسا يقاس به أي كلمة يشك بأثيليتها العربية.

ومن أجل أن أبين وجهتي التي ارتضيتها ومن أجل ألا يقال: إن عبارتك عبارة ظنية تخمينية، لا تستند إلى الدلائل العلمية العقلية، سأقوم بأخذ بعض الكلمات القرآنية

---

(١) نوري حمودي القيسي، هكذا يتجنى الفرس على لغة القرآن، ٥-٦ وكامل حسن البصير، البحث اللغوي من رحاب العلم الى نافقاء التعصب ١٩-٢٠ وأحمد مطلوب في مسالك الدس الشعوبي في اللغة العربي ص٩ وما بعدها.

(٢) أحمد محمد شاكر مقدمة المعرب للجواليقي ص١١-١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي قيل عنها إنها ألفاظ معربة، وأناقشها من ناحية معجمية لغوية، ومن ناحية تفسيرية دلالية. وقد أعالجها من ناحية نطقية صوتية وذلك في الجانب التطبيقي التالي:

الجانب التطبيقي:

أكبر معجم لفظي جمع الكلمات القرآنية المعربة هو كتاب المهذب لمؤلفه جلال الدين السيوطي كما نعلم، وعندما طالعت هذا الكتاب وجدت أن كلماته يمكن تصنيفها الى ثلاثة أقسام:

١) ألفاظ تستغرب عجمتها أمثال: ابلعي الرحمن وحوبا وعدن والعرم وغيرها.

٢) ألفاظ أكد القائلون بوجود المعرب في القرآن عجمتها أمثال: درهم ودينار واستبرق وابريق وغيرها.

٣) ألفاظ أجمع القائلون بوجود المعرب في القرآن، وبعض المعارضين لوجوده في القرآن على عجمتها، أمثال: معظم الأعلام كابراهيم واسماعيل واسحاق واسرائيل والياس ...

وسأحاول أن أثبت عكس ما قاله أسلافنا، اعتمادا على المعاجم والتفاسير، حتى أبين حقيقة استعمال هذه الألفاظ من ناحية معجمية لغوية. ومن ناحية دلالية كما وردت في كتب التفسير، وذلك بأخذ مثال على كل قسم من تلك الأقسام الثلاثة محاولة اثبات اثيليتها العربية وانها ليست معربة عن لغات اخرى.

١) ابلعي، قال تعالى : ﴿**وقيل يا أرض ابلعي ماءك...**﴾(هود/٤٤) من ألفاظ القسم الأول التي تُستغرب القول بأعجميتها أو عجمتها، ذكرها السيوطي في المهذب بروايتين، رواية ابن أبي حاتم في تفسيره: ((... سمعتُ وهب بن منبه يقول في قوله تعالى: ﴿**وقيل يا أرض ابلعي ماءك ...**﴾(هود/٤٤) قال بالحبشة "ازدرديه ...))[١]

ورواية: ((... أبو الشيخ ابن حيان في تفسيره ... عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى: "يا أرضُ ابلعي ... " قال اشربي بلغة الهند))[٢]

لكننا نجدُ أن جميع المعاجم، وكتب التفاسير، قد أجمعت على القول بعروبة هذه الكلمة، وأن أصلها وجنسها عربي، فكلمة "بلع" تحمل عدداً لا باس به من الدلالات اللغوية المختلفة، وإن كان معناها العام ازدرادُ الشيء: ((الباء واللام والعين أصلٌ واحدٌ وهو ازدرادُ الشيء تقول: "بلعتُ الشيء أبلعه...))[٣]

---

(١) السيوطي المهذب ٦٦ – ٦٧. (٢) السيوطي المهذب ٦٦-٦٧. (٣) ابن فارس المقاييس ٣٠١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشهر دلالاتها اللغوية الخاصة:

١): ((بلع الماء يبلغ بلعاً: أي شرب، وابتلع الطعام، أي لم يمضغه))[١]

٢): ((والبلع: السم في قاعة البكرة))[٢]

٣) ((والبالوعة والبلعة: بئر يضيق رأسها لماء المطر))[٣] و((حفرة في الأرض تبتلع الماء))[٤]

٤) ((... والمبلع: موضع الابتلاع من الحلق ...))[٥]

٥) ((... والبلعة والزردة: الإنسان الأكول، ورجلٌ متبلع إذا كان أكولاً))[٦] ((وزيادة بلع ومبلّع"[٧]

٦) (("... وسعد بلع: نجمٌ يجعلونه معرفة))[٨]

٧) ((... ورجلٌ بلع. أي: كأنه يبتلع الكلام ...))[٩]

٨) :((وبنو بُلَعَ: بُطين من قضاعة ...))[١٠]: ((وبلع اسم موضع))[١١]

٩) ((... وبلعاء ابن قيس الكناني اسم رجل من سادات العرب...))[١٢].

١٠) وقاسوا على المعاني السابقة: بلع الشيب: ((... فأما قولهم بلع الشيب في رأسه، فقريب القياس من هذا، لأنه إذا شمل رأسه فكأنه قد بلعه))[١٣].

١١) ((... والبلوع: الشراب))[١٤]

١٢)((... والمبتلع: فرس مزيدة المحاربي ..))[١٥]

١٣) ((.... وبلعاء: فرسٌ لبني سدوس وبلعاء أيضاً، فرسٌ لأبي ثعلبة قال ابن بري: وبلعاء اسم فرس وكذلك المبتلع))[١٦].

---

(١) الخليل بن أحمد، العين ١٥١/٢. وابن دريد الجمهرة ٣١٥/١٠ وابن فارس المقاييس ٣٠١/١ ابن منصور اللسان ٢٠/٨

(٢) ابن فارس المقاييس ٣٠١/١ الخليل العين ١٥١/٢ ابن منظور اللسان ٢٠/٨ (٣) الخليل العين ١٥١/٢.

(٤) ابن دريد الجمهرة ٣١٥/١ وابن فارس المقاييس ٣٠١/١ ابن منظور اللسان ٢٠/٨.

(٥) الخليل العين ١٥١/٢ ابن منظور اللسان ٢٠/٨ (٦) الخليل العين ١٥١/٢ وابن دريد الجمهرة ٣١٥/١.

(٧) ابن منظور اللسان ٢٠/٨

(٨) الخليل العين ١٥١/٢ ابن دريد الجمهرة ٣١٥/١ ابن فارس المقاييس ٣٠١/١ ابن منظور اللسان ٢٠/٨.

(٩) الخليل العين ١٥١/٢ ابن منظور اللسان ٢٠/٨ (١٠) ابن دريد الجمهرة ٣١٥/١. ابن منظور اللسان ٢٠/٨.

(١١) ابن منظور اللسان ٢٠/٨.

(١٢) ابن دريد الجمهرة ٣١٥/١ وابن منظور اللسان ٢٠/٨ (١٣) ابن فارس المقاييس ٣٠١/١ ابن منظور اللسان ٢٠/٨.

(١٤) ابن منظور ٢٠/٨ (١٥) اللسان ٢٠/٨ (١٦) اللسان ٢٠/٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما إذا انتقلنا إلى دلالتها في الآية الكريمة، فإننا لم نجد أي صحابي أو مفسر قبل الطبري[٤] قد تعرض إلى كونها معربة أو غير معربة بل ناقشوها على أن معناها مفهوم لدى العرب. وأنها لا تحتاج إلى أي دالٍ تفسيري من لغةٍ غير لغة العرب. أما الطبري إمام المفسرين، فإنه يقول مفسراً لمعناها الدلالي في الآية: ﴿**وقيل يا أرضُ ابلعي ماءك** ..﴾(هود/٤٤) يقول الله تعالى ذكره: وقال الله للأرض. بعدما تناهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق ﴿**يا أرض ابلعي ماءك** ...﴾ أي تشربي من قول القائل، بلع فلانٌ كذا يبلعه أو بلع يبلعه إذا ازدرده))[١] ، وهذا المعنى الدلالي نجده نفسه عند معظم أئمة التفسير.[٢]

ونلاحظ كثرة دلالات هذه اللفظة عند العرب ، فإن فيها اشتركاً لفظياً لأكثر من معنى دلالي فقد اطلقوها اسماً على عضو من اعضاء جسدهم ،وصفةً لطعامهم ، وصفةً لكثير الأكل والكلام من الناس ، واسماً لثقب الأرض واسماً لنجم في السماء ، واسم لقبيلة من قبائلهم . ولسيد من ساداتهم ولفرس من أفراسهم . فإن لها في أجسادهم موضعاً . ومن بيئتهم موضعاً وفي سمائهم موضعاً . وفي قبيلتهم موضعاً . وفي رجالهم موضعاً .وفي جيادهم موضعاً ، ونحن نعلم أن الكلمة المعربة يكون لها في اللغة المستعيرة دلالةً لفظيةً واحدة فقط . فهل يمكن أن تكون هذه الدلالات المتفرقة في أماكن متعددة في محيطهم مأخوذة من لغة غير لغتهم . ومحتوية على نفس الدلالات التي استخدموها في سياق ونسق لفظهم الفطري اللغوي .بالأضافة الى أن كتابنا الأسبقين الذين تعرضوا إلى وجود المعرب في اللغة العربية . لم يذكروا هذه الألفاظ ضمن الألفاظ الأعجمية التي عربها أجدادنا من قبل ، فابن قتيبة لم يذكرها في كتابه "أدب الكاتب في الباب الذي عنونه بـ " ماتكلم به العامة من الكلام الأعجمي "[٣] ولابن دريد في الجمهرة في باب "ماتكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة "[٤] ولم يذكرها أيضاً الثعالبي في كتابه فقه اللغة في باب "مايجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية"[٥] ولاالجو اليقي في المعرب ولا الشهاب الخفاجي في كتابه شفاء الغليل. وينطبق هذا على حوباً والرحمن وعدن والعرم.

---

(١) امثال ابن عباس . رواية ابن حسنون اللغات في القرآن تحقيق : صلاح الدين المنجد وابن عباس . أبوعبيد لغات القبائل الواردة في القرآن. وأبو عبيدة في مجاز القرآن .

(١) الطبري في تفسيرة ٤٦/١٢.

(٢) الزمخشري في الكشاف ٢٧١/٢ والفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٣٤/١٧ وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ٢٢٨/٥-٢٢٩.

(٣) ٣٨٤ - ٣٨٩ (٤) ٤٩٩/٣ - ٥٠٢ . (٥) ٣١٤ - ٣١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) إستبرق : وهي أشهر ألفاظ القسم الثاني التي قال المؤيدون لوجود المعرب في القرآن أعجميتها.

قال تعالي : ﴿**متكئين على فُرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان**﴾ (الرحمن/٥٤)[١]

أجمع معظم القائلين بوجود المعرب في القرآن الكريم على أعجميتها مع أنهم اختلفوا في أي لغة كان أصلها الأعجمي . وقد أختلفوا كذلك في حروف الكلمة التي عُربت وبنيتها أصبحت فيما بعد استبرق أورد السيوطي رواية عن ابن أبي حاتم .... حدثنا الجوير عن الضحاك قال: ((الإستبرق : الديباج الغليظ. وهو بلغة العجم "استبره".....))[٢] فإننا نلاحظ أنه قال: إنها بلغة العجم . ولم يحدد ماهية هذه اللغة . ولو تتبعنا أقوال من صرح بأعجميتها لوجدناهم يختلفون في ماهية لغتها الأصلية ، وبنيتها وأحرفها الاصلية التي كونتها في لغتها الأم كما يزعمون ، فقد أورد محقق كتاب لغات القبائل د. عبد الحميد السيد طلب ، أن الزجاج قال بأعجمية هذه اللفظة .

: ((... قال هو الديباج الصفيق ، الغليظ الحسن . قال : وهو اسم أعجمي أصله بالفارسية (استقره) ونقل من العجمية إلى العربية...))[٣]

وذكرها ابن دريد في كتابه الجمهرة في باب " ماتكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة[٤] : ((.... والاستبرق استروه ثياب حرير صفاق ، نحو الديباج . واصله استروه وبرنكان وهو الكساء برانكاه))[٥] والجو اليقي :((.. و"الاستبرق" غليظ الديباج . فارسي معرب وأصله " استفره"... فلو حُقر "استبرق أو كُسر لكان في التحقير "أبيرق" وفي التكسير "أبارق، بحذف التاء والسين جميعاً))[٦] ، وابن الجوزي في فنون الأفنان : ((... والاستبرق عليظ الديباج ، فارسي معرب))[٧]

أما الفخر الرازي، فقد ذهب في بنيتها والأحرف المكونة لها مذهبين : أحدهما في سورة الرحمن /٥٤ :((الاستبرق هو الديباج الثخين ، وكما أن الديباج معرب بسبب أن العرب لم يكن عندهم ذلك إلا من العجم ، استعمل الاسم المعجم فيه ، غير أنهم تصرفوا فيه تصرفاً وهو أن اسمه بالفارسية "ستبرك" بمعني ثخين تصغير "ستبر" فزادوا فيه همزة متقدمة عليه ، وبدلوا الكاف بالقاف ، أما الهمزة فلأن حركات أوائل الكلمة في لسان العجم غير مبينة في كثير من المواضيع . فصار كالسكون ، فأثبتوا فيه

---

(١) ذكرت استبرق اربع مرات في القران الكريم (١) الكهف /٣١ (٢) الدخان /٥٣ (٣) الانسان /٢١ (٤) الرحمن / ٥٤

(٢) السيوطي المهذب (٧١) (٣) الحاشية ص١٧٨-١٧٩ (٤) ٤٩٩/٣ - ٥٠٢

(٥) ابن دريد الجمهرة ٥٠٢/٣ (٦) المعرب ص٥ (٧) ٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

همزة كما أثبتوا همزة الوصل عند سكون أول الكلمة ، ثم إن البعض جعلوها همزة وصل ((وقالوا "من إستبرق" والأكثرون جعلوها همزة قطع لأن أول الكلمة في الاصل متحرك. لكن بحركة فاسدة . فأتوا بهمزة تُسقط عنهم الحركة الفاسدة ، وتمكنهم من تسكين الأول، وعند تساوى الحركة فالعودة الى السكون أقرب . وأواخر الكلمات عند الوقف تُسكن ولاتتبدل حركة بحركة ، وأما القاف فلأنهم لو تركوا الكاف لاشتبه " ستبرك" بمسجدك، ودارك، فاسقطوا منه الكاف التي هي على لسان العرب في آخر الكلم للخطاب ، وأبدلوها قافاً....))[١]

ثانيهما: في سورة الكهف /٣١:((... هو الديباج الصفيق.، وقيل أصلة فارسي معرب . وهو استبره أي غليظ ..."[٢] وتبعهم في ذلك الفيروز آبادي في القاموس المحيط((... والاستبرق الديباج الغليظ ، مُعرب استروه أو ديباج يُعمل بالذهب أو ثياب حرير صفاق نحو الديباج ، أو قدة حمراء كأنها قطعُ الأوتار وتصغيرُه أبيرق...))[٣]

نلاحظ أنهم لم يتفقوا جميعهم على اللغة التي أخذت منها هذه الكلمة ، ولاسيما ابن دريد ، والفيروز آبادي ، ولم يتفقوا على بنيتها وأحرفها المكونة لها كذلك ، فقالوا إنها مأخوذة من استقره واستروه واستقره وستبرك. واستبره ، وهذه الإشارات تدلنا على عدم معرفة لغوينا ، ومفسيرنا باللغة الأعجمية التي أُخذت منها ولتكن الفارسية ،بالإضافة إلى أن علماء اللغات المقارنة أثبتوا أن اللغة الفارسية التي كتب فيها الأدب الفارسي ظهرت في القرن الثالث الهجري . السابع الميلادي ، وأن اللغة التي كان يتكلم بها الفرس في عصر النبي صلى الله عليه وسلم . هي اللغة الفهلوية[٤] فهل هذه اللفظة فهلوية أم فارسية؟؟.....

ولاثبات عروبة هذه اللفظة نسلك الطرق التالية:-

أ - الطريق الذي أتبعناه في مناقشة كلمة "إبلعي"

ب - شيوع هذا الفعل حتى أصبح اسماً

جـ - مناقشة هذه الكلمة من ناحية صوتية وعملية.

(أ) أما الطريق الأول : فإننا وجدنا أن دلالات جذر كلمة أستبرق " برق" وفي لغة "أبرق"[٥] كثيرة جداً ولايمكن حصرها في هذا المقام . وأما معناها العام فقد أجملة ابن

(١) الفخر الرازي التفسير الكبير ١٢٦/٢٩ (٢) السابق ١٢٢/٢١. (٣) ٢١٣/٣.

(٤) انظر في هذا المعني المقالات : - مقال كامل حسن البصير . البحث اللغوي من رحاب العلم الى نافقاء التعصب ص١٩ - ٢١ . ومقال نوري حمودي القيسي هكذا يتجني الفرس على لغة القرآن ٥ - ٦ . أحمد مطلوب مسالك الدس الشعوبي ... ١٢،١٤،١٥

(٥) الخليل العين ١٥٦/٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فارس فقال :((الباء والراء والقاف .أصلان تتفرع الفروع منهما : أحدهما لمعان الشيء والآخر اجتماعُ السواد والبياض في الشيء ومابعد ذلك فمجازٌ ومحمولٌ على هذين الأصلين))[١] ، أما أشهر دلالاتها الخاصة:

(١) ((..... البرق مصدر الأبرق من الحبال وهو الحبلُ الذى أُبرم بقوة سوداء . وقُوة بيضاء . ومن الجبال مافيه جُددُ بيض وجُدد سُود))[٢]

(٢) ((... والبُروق : بَيضُ السحاب وبرق يبُرق بروقاً بريقاً وأبرق لغة))[٣]

(٣) ((.... ويُقال للسُيوف بوارق))[٤]

(٤) ((..... وبرق بعينه تبريقاً اذا لألأها من شدة النظر))[٥]

(٥) ((.... والبُراق دابة يركبها الأنبياء))[٦]

(٦)((.... والبُرقان : جمع برُقانة ، وهي جرادة تلونت بخطوط صفر وسود))[٧]

وهذا غيض من فيض ، فمن أراد الأستزادة في معرفة دلالات "بَرَقَ" الباقية فما عليه إلا العودة الى صفحات معاجمنا[٨] وإذا انتقلنا الى طبقة المفسرين ، فإنهم أجمعوا على أن أصلها عربي ، إما بالتوافق – مع أنكاري لمفهوم هذه اللفظة – أو تأصيلها العربي ، ونستثني منهم الفخر الرازي[٩] وأشهر من قال بالتوافق ابن عباس في اللغات في القرآن[١٠] ولغات القبائل الواردة في القرآن[١١] بروايتي ابن حسنون وأبي عبيد وأبو عبيدة في مجاز القرآن[١٢] والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن[١٣] وأشهر من قال بأن أصلها عربي الطبري في تفسيره[١٤] والزمخشري في الكشاف[١٥] وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط[١٦] وابن كثير في مختصر تفسير ابن كثير[١٧].

---

(١) ابن فارس المقاييس ٢٢١/١. (٢) الخليل العين ١٥٥/٥ وابن دريد الجمهرة ٢٦٩/١ وابن منظور اللسان ١٧/١٠

(٣) الخليل العين ١٥٦/٥ وابن دريد الجمهرة ٢٦٩/١ الفيروز أبادي القاموس المحيط ٢١١/٣ ابن منظور اللسان ١٤/١٠

(٤) الخليل العين ١٥٦/٥ ابن دريد الجمهرة ٢٦٩/١ الفيروز أبادي القاموس ٢١١/٣ ابن منظور اللسان ١٥/١٠

(٥) الخليل العين ١٥٧/٥ الفيروز أبادي القاموس ٢١٢/٣ ابن منظور اللسان ١٥/١٠

(٦) الخليل العين ١٥٧/٥ ابن دريد الجمهرة ٢٧٠/١ الفيروز أبادي ٢١٢/٣ ابن منظور اللسان ١٥/١٠ .

(٧) الخليل العين ١٥٧/٥ وابن دريد الجمهرة ٢٧٠/١ القاموس ٢١١/٣ ابن منظور اللسان ١٦/١٠و١٧

(٨) الخليل العين ١٥٥/٥-١٥٧ ابن دريد الجمهرة ٢٦٩/١-٢٧١ ابن فارس المقاييس ٢٢١/١-٢٢٧ الفيروز أبادي القاموس ٢١١/٣-٢١٣ ابن منظور اللسان ١٤/١٠-١٩.

(٩) التفسير الكبير ١٢٦/٢٩و١٢٢/٢١ (١٠) ص٣٣ ١٤/١٠-١٩ (١١) ص ١٧٨-١٧٩

(١٢) ص١٧-١٨ (١٣) ٣٩٧/١٠ (١٤) ٢٤٢/١٥-٢٤٣

(١٥) ٤٨٣/٢ (١٦) ١١٦/٦-١١٧.

(١٧) محمد علي الصابوني ط٧، دار القرآن الكريم، بيروت-لبنان، ١٩٨١، ٤١٨/٢ و٤٢٢/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ب) الطريق الثاني : شيوع هذا الفعل حتى أصبح اسماً.

ومن أشهر اساليب العرب اللغوية والبلاغية ، تحويل بعض ألفاظهم من معناها العام إلى معناها الخاص أو من معناها الخاص الى معناها العام . وقد مرت "استبرق" في هذين الطورين اللغويين الزمنيين إذ كان لها معناً عاماً وهو شدة لمعان الشيء ، وإذا أرادوا أن يعبروا عن لمعان شيء ما فأنه يخطفُ الابصار ، ويجذبُ العقول لبريقه ، وشدة إضاءته . قالوا استبرق السيف واستبرق المكان اذا لمع بالبرق ، قال الشاعر:

يستبرقُ الأفقُ الأقصى اذا ابتسمت

لمع السُيوف سوى أغمادها القُضُب[١]

واستبرق الديباج : ((... ومنه قول المرقش:-

تراهُن يلبسن المشاعر مرةً واستبرق الديباجُ طوراً لباسُها))[٢]

أي أصبح كالبرق من شده لمعانه ، وهذا الأسلوب غنية به العربية فقد كان العربُ يصيرون الشيء إلى شيءٍ آخر، باستخدامهم هذه الصيغة (استفعل، المنتشرة في لغتهم، أمثال: استنوق الجمل أي صار ناقة واستنسرت البغاث واستنعج الذئب، واستحجر الطين، والمرحلة الزمنية الثانية التي مرت على استبرق، وحولت معناها من المعنى العام إلى المعنى الخاص، وهو أن إستبرق أصبحت تستخدم للحرير فقط دون غيره، فالحرير كان سلعةً متداولة بين التجار كما نعلم.

وربما كان العرب يقولون لنوع معين من الحرير استبرق، قد يكون الديباج المزين بالذهب[٣]، فأصبحت كلمة "استبرق"، ملازمة لهذا النوع من الحرير، ولذلك لجؤا إلى الاختصار على عادتهم – فهم يقولون سبحل لسبحان الله، وبسمل (لبسم الله الرحمن الرحيم – فصاروا يقولون أريد استبرقاً بدلاً من أريد استبرق الديباج، وهذا بين في بيت المرقش السابق الذكر: ((... واستبرق الديباج طوراً لباسها))[٤].

فأضحى الفعل يسد مسد الحكاية أو الاسم لكثرة استخدامه فأمسى الفرع أشهر من الأصل، وللعرب سبقٌ في إطلاق الفعل على الاسم. وسده مسده، والمرجح أن العرب قاسوا استبرق – لكثرة استخدامها على ألسنة التجار وتداولها بين الناس – على الأعلام، فأصبحت تعامل معاملة العلم، وإن كانت صورتها موافقة لصورة الفعل، وهذا النمط شائعٌ في العربية، فهم كثيراً ما يطلقون الأفعال اسماً على ابنائهم لشيوعها على ألسنتهم، أمثال:

---

(١) المحتسب ٣٠٤/٢-٣٠٥، وابن منظور اللسان ١٥/٨. (٢) الطبري في تفسيره، ٢٤٢/١٥-٢٤٣.

(٣) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٩٧/١٠.، ابن كثير مختصر تفسير ابن كثير ٤٢٢/٣. (٤) الطبري في تفسيره ٢٤٢/١٥-٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأبط شراً وشاب قرناها، وشمر ساعديه، وأحمد الله، وهذا الاستنتاج نجده عند ابن جني في محتسبه: ((قال أبو الفتح: هذه الصورة[١] الفعل البتة، بمنزلة استخرج، وكأنه يسمى بالفعل، ومنه ضمير الفاعل، فيحكي كأنه جملة، وهذا باب إنما طريقه في الأعلام، كتأبط شراً، وذري حباً، وشاب قرناها، وليس الاستبرق علماً يسمى بالجملة...))[٢].

وقد تكون "إستبرق" منحوتة من كلمتين:(("البرق" و"السرق" فصارت سبرقاً، ثم أضافوا إليها الهمزة والتاء ليبينوا مدى شدة بريق "السرق" وذلك حسب نظرية ابن فارس في النحت "ما زيد على ثلاثة أحرف فمعظمه منحوت))[٣]

ج) الطريق الثالث: مناقشة هذه الكلمة من ناحية صوتية وعملية.

وأشهر قانون صوتي يعمل به حالياً لمعرفة الأصل من الفرع في التطور اللفظي للكلمات، هو الميل العام لتقليل الجهد النطقي عند الإنسان وبالتالي في اللغات الإنسانية الأخرى: ((... هذا هو الميل العام الذي لوحظ في تطور اللغات، فحين قورنت النصوص القديمة بالنصوص الحديثة تبين لباحثين أن التطور الصوتي في اللغات يميل في غالب الأحيان نحو تيسير النطق بها، والأقتصاد في الجهد العضلي أثناء صدورها...))[٤].

فلو وضعنا كلمة "إستبرق" تحت مجهر علم الصوتيات الحديث، لوجدنا أن الميل العام إلى تقليل الجهد النطقي لهذه الكلمة أوضح، وأبين في اللغة الأعجمية (الفارسية)، فأصلها الفارسي الذي اتفقوا عليه هو "استبره" أو "استبرك"، والقانون الصوتي يقول إن الكاف أو الهاء أيسر في النطق من القاف، لأن الهاء صوتٌ حنجري احتكاكي (رخو) غير مجهور (مهموس)[٥] والكاف صوتٌ طبقي (حنكي) انفجاري غير مجهور (مهموس)[٦]. بينما القاف صوت لهوي[٧] انفجاري (شديد) مفخم مهموس[٨]. فنلاحظ أن "القاف" قد زاد على الهاء والكاف بصفة التفخيم أو الإطباق، والتفخيم يحتاج إلى جهدٍ عضلي ونطقي أكبر، واللسان يرتفع بمؤخرته ووسطه إلى الأعلى.

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن الأحرف التي قيل إن العرب أبدلتها في كلمة استبرق الهاء والكاف موجودة في لغتهم الأصلية ولذلك، لا أجد مسوغاً لتغيير أحرف الكلمة الأصلية ما دامت موجودة في لغتهم ونطقها أسهل عليهم.

---

(١) (من استبرق). (٢) ابن جني المحتسب ٢/٣٠٤-٣٠٥. (٣) ابن فارس الصاحبي ٢٧١.

(٤) ابراهيم أنيس دلالة الألفاظ ص ٣٢ (٥) ابراهيم انيس الأصوات اللغوية مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ١٩٨٧م ص ٨٨-٨٩.

(٦) كمال بشر علم اللغة العام (الأصوات) ط٥ دار المعارف، مصر - القاهرة، ١٩٧٩م ص ١٢٢.

(٧) كمال بشر السابق ص ١٠٨ ابراهيم أنيس السابق ٨٣. (٨) ابراهيم انيس السابق ٨٧.

(٩) ابراهيم انيس الأصوات اللغوية ٨٦ وكمال بشر علم اللغة العام ١٠٩-١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢) وإذا وضعنا كلمة استبرق تحت منظار قانون الاقتراض العام بين اللغات، نجد أن هذا القانون يقتضي أن تكون استبرق كلمة أثيلية في العربية لا دخيلة فيها، وذلك لأن هذا القانون ينص على أن اللغة المستعيرة تحدث دائماً تغيراً على الكلمة المستعارة، وقد يكون هذا التغير في البنية أو في تقليل أحرفها أو زيادتها، أو قلب أحد أحرفها أو إبدال حرفٍ بآخر، والمطلع على طريقة العرب الاسبقين في التعريب يجد أنهم أحدثوا تغيرات كثيرة على الكلمة المستعارة، كي تستوى مع أوزان لغتهم. ونسج أقوالهم: ((اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى أقربها مخرجا، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضا. والابدال لازم، لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم. وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي الى أبنية العرب، وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف أو زيادة حرف أو نقصان حرف، أو ابدال حركة بحركة. أو اسكان متحرك أو تحريك ساكن. وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه. فما غيروه من الحروف ما كان بين الجيم والكاف، وربما جعلوه جيما، وربما جعلوه كافا. وربما جعلوه قافا، لقرب القاف من الكاف، قالوا: "كربج" وبعضهم يقول "قربق". ... وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاء أو ربما أبدلوه باء، قالوا "فالوذ" و "فرند" وقال بعضهم "برند"...))[1] وها نحن نفعل مثلما فعلوا، فنحدث تغييرات كثيرة على الكلمات التي نستقرضها من لغات غير لغتنا، ولنضرب مثالا على ذلك كلمة "تلفزيون" فهي في لغتها الأم television ، ولكننا عندما نقلناها إلى لغتنا أحدثنا عليها تغييرات مختلفة، سواء أكان ذلك على مستوى الفصحى أم العامية، فالتغير الذي أحدث عليها على مستوى الفصحى:

أ) تغير في بنيتها الصرفية "تلفجن" تلفاز .

ب) حذف بعض أحرفها (isio).

ج) إبدال لبعض أحرفها فا(v) أصبحت فاء والنون أصبحت زايا.

د) إضافة حرف المد الزائد على بنيتها، وهو الألف. أما التغيرات التي أحدثت على television في العامية (تلفزيون) فإنها نفس التغيرات التي احدثت عليها في المستوى الفصيح، من تغير في البنية، وحذف بعض أحرفها، وإبدال أخرى، وزيادة أحرف اخرى وان كانت أشكال هذه التغيرات في العامية مغايرة لأشكالها. ومظاهرها في الفصحى وهذا

(١) الجواليقي المعرب "٦-٧" الخفاجي شفاء الغليل/٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين، واذا طبقنا هذه القاعدة على كلمة استبرق- إذا سلمنا أن لغوينا الأسبقين كانوا على علم بأصل هذه الكلمة الأعجمي الفارسي- نجد أنها بقيت على حالها في اللغة العربية، ولم يحدث عليها أي تغير في بنيتها او في عدد أحرفها...الخ.، وإذا انتقلنا إليها في اللغة الأعجمية (الفارسية غالبا)، نجد أنه أحدث عليها تغيرات كثيرة أهمها:

١) نقصان أحرفها "ستبرك"(١). (٢) تغير في بنيتها "ستبرك"(٢)"استبره"(٣)

٣) إبدال في بعض أحرفها "استقره"(٤) "استروه"(٥) "استفره"(٦) "استبره"(٧). مع انه لا يوجد أي تقارب في مخارج تلك الأحرف سوى مخرجي الفاء في "استفره" والباء في "استبره"، ولذلك تكون اللغة المستعيرة هي الفارسية لا العربية. وفقا لما يقتضيه القانون العام للاقتراض بين اللغات، ومما يؤيد ما ذهبنا اليه أن الثعالبي لم يذكرها ضمن الكلمات التي أخذتها العربية من الفارسية مع أنه أودع بين دفتي كتابه أبوابا متعددة عن أثر الفارسية في اللغة العربية، ولا سيما أثرها في ناحية الملابس والحُلي(٨) واذا قيل ان همزة استبرق هي قطع وليست همزة وصل، نقول إنها قد تكون مأخوذة من الفعل "أبرق" لأن تصغيرها "أبيرق" وتكسيرها أبارق"(٩). وقد يكون رسمها القرآني بهمزة القطع عائداً الى أن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعدما شاع استخدام "إستبرق" وأصبحت تسد مسد الاسم كما أسلفنا، بالإضافة إلى أن الرسم القرآني الذي وصلنا بالتواتر قد يخالف بعض قواعدنا التي نستخدمها في الكتابة، فقد تكتب همزة الوصل فيه قطعاً مثال ذلك قوله تعالى: ﴿... **وأشهدوا اذا تبايعتم...**﴾(البقرة/٢٨٢) وهذا القول ينطبق على استبرق ومن أمثلة مخالفة رسم المصحف، لقوانيننا الكتابية إذ أورد كلمتي "رحمة" و "نعمة" منتهيتين بالتاء المفتوحة. ونحن نكتبها بالتاء المربوطة، وذلك في قوله تعالى:﴿**ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله، اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم**﴾(البقرة/٢١٨). وقوله تعالى:﴿**واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف...واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ...**﴾(البقرة/٢٣١). وهذا القول ينطبق على دينار ودرهم وأباريق وغيرها.

---

(١) الفخر الرازي التفسير الكبير ١٢٦/٢٩. (٢) السابق ١٢٦/٢٩. (٣) السابق ١٢٢/٢١. والسيوطي المهذب٧١.

(٤) السيد أحمد طلب محقق لغات القبائل ١٧٨-١٧٩. (٥) ابن دريد الجمهرة ٥٠٢/٣. الفيروز أبادي القاموس ٢١٣/٣.

(٦) الجواليقي المعرب ١٥. (٧) الفخر الرازي في تفسيره ١٢٢/٢١ المهذب ٧١.

(٨) الثعالبي فقه اللغة ٣١٤-٣١٨. (٩) الجواليقي المعرب ١٥ والقرطبي في تفسيره ١٠/ ٣٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣) الأعلام: إبراهيم وإسماعيل وإسرافيل من كلمات القسم الثالث التي قال المؤيدون لوجود المعرب في القرآن، وبعض المنكرين[١] لوجوده، بأعجميتها، فأعجمية معظم الأعلام القرآنية من الأمور المسلم بها عند معظم المفسرين واللغويين والنحويين ومؤلفي كتب علوم القرآن، ويظهر ذلك في قول القرطبي :((لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب، وأن فيه أسماء أعلام لمن لسانه غير لسان العرب: كاسرائيل، وجبريل، وعمران، ونوح، ولوط. واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب...))[٢] وسبب تأكيدهم على أعجمية هذه الأعلام، أن وزنها "افعاليل" وهو وزن غير موجود في العربية، بالإضافة إلى أن العرب لم يستطيعوا أن يعربوا هذه الألفاظ، ويدخلوها أو يلحقوها في أوزانهم، ولإيماني بأن كل لفظة وردت في القرآن الكريم، عربية الأصل والجنس، دأبت على كشف المعاني الدلالية التي تحتويها جذور بعض الأعلام القرآنية، أمثال: إبراهيم وإسماعيل وإسرافيل، وأنا في غمرة البحث والتفتيش،وقع بين يدي بحث للدكتور أحمد نصيف الجنابي بعنوان "تأصيل عروبة لفظة ابراهيم" في مجلة الضاد[٣] الذي كفاني مؤنة البحث، فقد عمل البحث على اثبات عروبة بعض الأعلام القرآنية مستخدما الطريقة نفسها التي استخدمتها في اثبات عروبة الألفاظ القرآنية السابقة (ابلعي واستبرق)، فلمن أراد أن يرى كيف بين أحمد نصيف الجنابي أن إبراهيم وإسماعيل وإسرافيل عربية فما عليه إلا أن يقرأ بحثه.

---

(١) وأقصد بذلك القرطبي في تفسيره ٦٨/١ وأحمد محمد شاكر في مقدمة معرب الجواليقي ١١-١٢.

(٢) القرطبي في تفسيره ٦٨/١. والسيوطي، المهذب.٦٠

(٣) جزء٢ سنة ١٩٨٩م ص١٧٨-١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

موقف ابن فارس من عوامل التوسع في اللغة العربية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

موقف ابن فارس من عوامل التوسع في اللغة العربية.

أجمع علماء لغة العرب قديما وحديثا على سعتها ومن أشهر من تحدث عن هذه السمة في اللغة العربية الشافعي الذي يقول :((...ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبي...))[١] وابن فارس الذي قال :((قال بعض الفقهاء، "كلام العرب لا يحيط به الا نبي" وهذا كلام حري أن يكون صحيحا، وما بلغنا أن أحدا ممن مضى إدعى حفظ اللغة كلها...))[٢] ويقول في موضع آخر :((... فلما خص -جل ثناؤه- اللسان العربي بالبيان، علم أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه، فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين، قيل له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده، فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل باشارات وحركات له على اكثر مراده، ثم لا يسمى متكلما فضلا عن أن يسمى بينا أو بليغا، وإن أردت أن سائر اللغات تبين ابانة اللغة العربية فهذا غلط، لأنا لو احتجنا الى ان نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة وكذلك الأسد والفرس وغيرها من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة، فأين هذا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نهية))[٣].

وقد تحدث ابن فارس عن هذه السمة في أبواب أخرى، منها "لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها[٤] ومعظم أبواب "سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز"[٥].

بالإضافة إلى ما كتبه علماء اللغة، والفقهاء والمفسرون عندما كانوا يعرضون لقضية المعرب في القرآن الكريم. وقد بينت ذلك في الفصل الفائت، وضحت كيف كانوا يتكئون على سعة العربية، ويجعلونها دليلاً قوياً على عدم وجود المعرب في القرآن ولا سيما أبو عبيدة في مجاز القرآن[٦]، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن[٧]، والباقلاني في إعجاز القرآن[٨]، وغيرهم[٩].

---

(١) الشافعي، الرسالة، ٤٢. (٢) الصاحبي ٤٧. (٣) الصاحبي ٤٠-٤١. (٤) الصاحبي ٦٧.
(٥) السابق ١٩٦-٢٢١. (٦) ٨-١٩ (٧) ص ١٠ وما بعدها. (٨) ٣١-٣٢ و١١٨.
(٩) انظر الزركشي في البرهان (٢٩٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن تقسم عوامل اتساع اللغة إلى قسمين:

أ- عوامل خارجية: ويقصد بها العوامل الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، وقد كفاني مؤونة البحث فيها مؤلفون كثر(١)

وعوامل داخلية وهي القياس والاشتقاق، والقلب والإبدال والنحت والمعرب ... الخ.

العوامل الخارجية: أشيرإلى أن باحثين آخرين كفوني مؤونة البحث في أثر العوامل الخارجية. لذلك، لن أعرض هنا لعوامل التوسع الخارجية إلا من خلال ما كتبه ابن فارس في كتابه "الصاحبي" ومناقشة رأيه بالقياس إلى ما كتبه العلماء الآخرون، وبيان مدى انسجام رأي ابن فارس مع حقائق لغة العرب وتراكيبها.

أثر الإسلام:(٢)

الإسلام هو الأثر الخارجي الوحيد الذي قال عنه ابن فارس إن له أثراً في توسع لغة العرب وتنميتها، وقال إنه أحدث تغيرات جذرية في حياة العرب، سواء أكانت تلك التغيرات عقدية أم اقتصادية أم اجتماعية أم فكرية يقول: ((كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من إرث - آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله - جل ثناؤه - بالاسلام حالتْ أحوالٌ ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظاً من مواضع إلى مواضع أخر بزياداتٍ زيدت وشرائع شرعت وشرائط شُرطت، فعفى الآخر الأول، وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات وتطلب الأرباح، والكدح للمعايش في رحلة الشتاء والصيف، وبعد الاغرام بالصيد، والمعاقرة والمياسرة، بتلاوة الكتاب العزيز،

---

(١) ومن أهم هؤلاء نوري جعفر في كتابه اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط، ١٩٧١م ص ١٣٣ وما بعدها. وعلي زوين، بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م. ص ٨٧.

وجاقوب كورك، اللغة في الأدب الحديث، ترجمة ليود يوسف وعزيزي عمانوئل، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٩م، ص ١١٣. وعبد العزيز شرف، اللغة العربية والفكر المستقبلي، ط١، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٩١م، ص ٩-١١.

وكمال يوسف الحاج في فلسفة اللغة ص ٧ و٢٣ - وما بعدها. وحاتم الضامن، علم اللغة، ص ١٤٥-١٤٧.

ومحمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ط٢، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر، الاسكندرية، ١٩٦٣م. وأتوجسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، مكتبة الانجلو المصرية مصر.

وم.م لويس، اللغة في المجتمع، ترجمة: تمام حسان، وابراهيم أنيس دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٩م ونوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، ط١، مكتبة الانجلو المصرية. مصر، ١٩٧٥م.

* وحلمي خليل، المولد في العربية، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٨٥م.

ومحمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م. ص ٨-١٥.

(٢) ذكره الجاحظ، الحيوان، تحق: عبد السلام هارون، ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٦٩م، ٣٣٢/١ وأبو حاتم في الزينة ١٤١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. وبالتفقه في دين الله - عز وجل - وحفظ سنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم مع اجتهادهم في مجاهدة اعداء الإسلام فصار الذي نشأ عليه اباؤهم ونشأوا هم عليه، كأن لم يكن، وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب المواريث وغيرها. من علم الشريعة، وتأويل الوحي بما دون وحفظ حتى الان. فصاروا بعد ما ذكرناه إلى ان يسأل إمام من الأئمة وهو يخطب على منبره عن فريضة، فيفتي ويحسب بثلاث كلمات، وذلك قول أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - حين يسئل عن ابنتين وأبوين وأمرأة: "صار ثمنها تسعاً" فسميت المتبرية، وإلى أن يقول هو - رضي الله عنه - على منبره، والمهاجرين والأنصار متوافرون: "سلوني فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل"، وحتى قال - رضي الله عنه - وأشار إلى ابنيه: ((أيا قوم استنبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون"، وإلى أن يتكلم هو وغيره في دقائق العلوم بالمشهور من مسائلهم في الفرائض وحده كالمشتركة ومسألة المباهلة، والغراء وأم الفروخ، وأم الارامل، ومسألة الامتحان، ومسألة ابن مسعود، والأكدرية، ومختصرة زيد والخرقاء وغيرها مما هو أغمض وأدق. فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب - بتوفيقه - عما ألفوه، ونشأوا عليه، وغذوا به إلى مثل الذي ذكرناه، وكل ذلك دليل على حق الإيمان وصحة نبوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم))[1]. وأعتقد أن ابن فارس كان مصيبا في جعله الإسلامَ الأثرَ الخارجي الوحيد الذي أثر في سعة لغة العرب، وذلك لأن اعتناق العرب للإسلام وتطبيقهم مبادئه وتشريعاته أدى بالضرورة إلى تغير ظروفهم وأوضاعهم الإجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، لأن الإسلام دينٌ متكاملٌ[2] شمل نواحي الحياة الإنسانية بجميع مراحلها المختلفة وأبعادها المتباينة وجوانبها المتفرقة.

ويتضح من كلام ابن فارس أنه لم يجعل الإسلام عاملاً من عوامل توسع اللغة حسب بل أشار إلى أن الإسلام قد أحدث تغيراً في تراكيب لغة العرب وألفاظها، ولا يعني أن هذا التغير أدى إلى كثرة ألفاظها، وإنما أدى إلى استبدال ألفاظهم القديمة بألفاظ أخرى. أما ما قاله ابن فارس فإن الإسلام قد عمل على سعة لغة العرب فيمكن وضعه في مسارين:

---

(١) ابن فارس الصاحبي ٧٨-٧٩.

(٢) يوهان فك، العربية. ترجمة وتحقيق: عبد الحليم النجار مكتبة الخانجي، مصر-القاهرة، ١٩٥١م،١-٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١) استحداث الإسلام دلالات جديدة لألفاظ عربية كانت مستعملة في آدابهم وأشعارهم، وأحاديثهم اليومية، فنسخ معانيها القديمة، ولم تعد تعرف إلا بالمعنى الذي جاء به الإسلام، فأصبح هناك تمييزٌ بين المعنى اللغوي – المعنى الذي كان معهوداً قبل الإسلام – والمعنى الشرعي الاصطلاحي الذي أحدثه الإسلام، وهو ما يعرف عند العلماء بالألفاظ الإسلامية: ((فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الامُان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم، وإنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق[١] فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهره، وكان الأصل من نافقاء اليربوع، ولم يعرفوا من الفسق[٢] إلا قولهم: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله – عز وجل – ومما جاء في الشرع الصلاة، وأصله في لغتهم الدعاء، وقد كانوا عرفوا الركوع والجسود، وإن لم يكن على هذه الهيئة فقالوا: (كامل).

أو درةٍ صدفيةٍ غواصها بهجٌ من يراها يهل ويسجد

... وهذا وإن كان كذا فإن العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من الأعداد والمواقيت والتحريم للصلاة والتحليل منها، وكذلك الصيام، أصله عندهم الإمساك ... ثم زادت الشريعة النبية، وحظرت الأكل والمباشرة، وغير ذلك من شرائع الصوم، وكذلك الحج لم يكن عندهم فيه غير القصد وسبر الجراح ... ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره، وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره، وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من العمرة والجهاد وسائر أبواب الفقه ..))[٣]

٢) أوجد الإسلام ألفاظاً جديدة، لم تكن معروفة أو مألوفة عند العرب، ولم يذكر ابن فارس من هذا النوع سوى لفظة "مخضرم": ((... وقد كانت حدثت في صدر الإسلام أسماء وذلك قولهم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهلية "مخضرم" ... (و) المخضرمون

---

(١) عد الجاحظ في كتابه الحيوان ٣٢٢/١، وأبو حاتم في الزينة ١٤١/١ والسيوطي في المزهر ٣٠١/١ أن المنافق من الكلمات التي أحدثها الاسلام، ولم تكن هذه اللفظة موجودة عند العرب.

(٢) وقد عد ابن الأعرابي أن الفاسق كلمةً أحدثها الإسلام ولم تكن هذه اللفظة موجودة عند العرب، ذكر ذلك ابن فارس في كتابه المجمل ٩٩/٤ط هادي حسن حمودي.

(٣) الصاحبي ٧٩-٨١. هذه الألفاظ ذكرها أبو حاتم في الزينة ١٤٠/١-١٤١و ١٤٦-١٤٧ و١٣٣ والجاحظ في الحيوان ٣٣٢/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الشعراء من قال الشعر في الجاهلية ثم أدرك الإسلام، فمنهم حسان بن ثابت، ولبيد بن ربيعة، ونابغة بني جعدة ... وكعب بن زهير ...))[١] وغيرهم.

ويؤخذ عليه في هذا المسار إهماله لكلمات مهمة أحدثها الإسلام في لغة العرب، لم تكن معروفة قبل ظهوره، وهذه الألفاظ تعتبر من الألفاظ المميزة للدين الإسلامي عن غيره من الأديان، بل اقتصر ذكره على كلمة مخضرم التي لا تعد ذات أهمية إذا ما قيس بالكلمات التي لم يذكرها أمثال: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وتوكلت على الله، والسلام عليكم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وما شاء الله كان[٢]، والتيمم[٣] ومحرم[٤] والجاهلية[٥] ...الخ، ومما يؤخذ عليه كذلك اهماله لأشهر التراكيب التي سمعت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم تسمع من غيره أمثال قوله - صلى الله عليه وسلم : ((... إذاً لا ينتطح فيها عنزان))[٦]، ومات حتف أنفه"[٧] و"ياخيل الله اركبي"[٨] و"كل الصيد في جوف الفرا"[٩] و"لا يلسع المؤمن من جحر مرتين"[١٠] وقوله صلى الله عليه وسلم: "الآن حمي الوطيس"[١١] و"الحرب خدعة"[١٢] و"إياكم وخضراء الدمن"[١٣] وقوله صلى الله عليه وسلم: "بعثت في نسم الساعة"[١٤] وقوله صلى الله عليه وسلم لحادي مطية "رفقاً بالقوارير"[١٥] ومنه أيضاً: "العذرة، وإنما العذرة الفناء، والأفنية هي العذرات ولكن لما طال إلقاءهم النجو والزبل في أفنيتهم سميت تلك الأشياء التي رموا بها باسم المكان الذي رميت به، وفي الحديث: "أنقوا عذراتكم"..))[١٦]

أما ما قاله ابن فارس عما أحدثه الإسلام في تراكيب العربية وألفاظها، ولم يؤد إلى وفرة ألفاظها وتراكيبها، فيمكن وضعه كذلك في مسارين:

١) التراكيب والألفاظ المتروكة، وهي التي سقطت من الاستعمال بعد ظهور الإسلام، وحلت محلها تراكيب وألفاظ إسلامية أخرى، فقال ابن فارس: ((... ومن

---

(١) الصاحبي ٧٩-٨١، قابل بـ الجاحظ في الحيوان ١/٣٣٠-٣٣١.

(٢) هذه التراكيب والألفاظ لم يهملها أبو حاتم في الزينة، انظر ١/١٥٠-١٥٢.

(٣) ذكرها الجاحظ في الحيوان ١/٣٣٢.

(٤) ذكرها السيوطي في المزهر ١/٣٠٠.

(٥) ذكرها السيوطي، السابق ١/٣٠١.

(٦) و(٧) و(٨) و(٩) و(١٠) ذكرها الجاحظ في الحيوان ١/٣٣٥.

(١١) و(١٢) و(١٣) ذكرها السيوطي في المزهر ١/٣٠٢-٣٠٣.

(١٤) و(١٥) الشريف الرضي المجازات النبوية، تحق: محمود مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، ١٩٨٣م، ٣٦-٣٧ و٣٣.

(١٦) الجاحظ، الحيوان ١/٣٣٢-٣٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم المرباع[١]*، والنشيطة[٢]، والفضول[٣]، ولم نذكر الصيفي[٤] لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد اصطفى في بعض غزواته وخص بذلك، وزال اسم الصفي لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومما ترك أيضاً، الإتاوة[٥]، والمكس[٦] والحلوان[٧]، وكذلك قولهم: أنعم صباحاً، وأنعم ظلاماً، وقولهم للملك أبيت اللعن،[٨] وترك أيضاً قول المملوك لمالكة: ربي، وقد كانوا يخاطبون بالأرباب ... وتُرك أيضاً تسمية من لم يحج صرورة ... ومما ترك أيضاً قولهم للإبل تساق في الصداق: النوافج ... ومما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم: حجراً محجوراً، وكان هذا عندهم لمعنيين أحدهما عند الحرمان، إذا سئل الإنسان قال: حجراً محجوراً. فيعلم السامع أنه يريد أن يحرمه ... والوجه الآخر الاستعاذة. كان إذا سافر فرأى ما يخافه، قال حجراً محجوراً أي حرام عليك التعرض لي))[٩]

*) الألفاظ والتراكيب التي كُره استعمالها في الإسلام، وفي ذلك يقول ابن فارس: ((... ومما كره في الإسلام من الألفاظ قول القائل: خبثت نفسي[١٠] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، وكره أيضا أن يقال استأثر الله بفلان[١١]، ومما كرهه العلماء قول من قال سنة أبي بكر وعمر، إنما يقال فرض الله -جل وعز- وسنته وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم))[١٢] وقد ذكر الجاحظ تراكيبا وألفاظا لم يذكرها ابن فارس فقال :((...قراءة عبدالله، وقراءة سالم،وقراءة أبي وقراءة زيد... ويقال: فلان يقرأ بوجه كذا، وفلان يقرأ بوجه كذا، وكره مجاهد أن يقولوا مسيجد، ومصيحف للمسجد القليل الذرع، والمصحف القليل الورق، ويقول: هم وإن لم يريدوا التصغير فانه بذلك شبيه))[١٣].

---

(١) ربع الغنيمة الذي كان خالصاً للرئيس، وصار في الاسلام الخمس على سنة الله تعالى: الجاحظ، الحيوان ٣٣٠/١.

(٢) النشيطة: كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلاه. وبقي الصفي. وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم كالسيف اللهذم والفرس العتيق، والدرع الحصينة والشيء النادر، الجاحظ الحيوان ٣٣٠/١.

(٣) الفضول: فصول المقاسم كالشيء إذا قسم وفضلت فضلة استهلكت كاللؤلؤ والسيف والدرع، والبيضة والجارية وغير ذلك الجاحظ، الحيوان ٣٣٠/١. (٤) الصفي زال بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. الصاحبي٩٠.

(٥) الإتاوة: في الجاهلية: الخراج في الإسلام الجاحظ الحيوان ٣٢٧/١. (٦) المكس في الجاهلية ما يأخذه السلطان في الإسلام، السابق ٣٢٧/١. (٧) الحلوان (أو الحملان) في الجاهلية، الرشوة في الاسلام السابق ٣٢٧/١.

(٨) أبيت اللعن، تقال للسيد المطاع، السابق ٣٢٨/١. (٩) ابن فارس الصاحبي ٩٠-٩٣. وقد ذكر هذه الألفاظ جميعها الجاحظ في الحيوان ٣٢٧/١-٣٣٠ مضافا اليها "السدنة وهم قوام الملوك وقالو بدلا منها الحجبة، السابق ٣٢٩/١.

(١٠) بل يقول: "لقست نفسي" الجاحظ، الحيوان ٣٣٥/١. (١١) بل يقول: مات فلان، ويقال: استأثر الله بعلم الغيب، واستأثر الله بكذا، الجاحظ، الحيوان ٣٣٥/١. (١٢) ابن فارس، الصاحبي ٩٢-٩٣. (١٣) الجاحظ الحيوان ٣٣٦/١، وانظر جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الهلال، القاهرة تحت الألفاظ المهملة ٦٦-٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ترك الإسلام أثرا كبيرا في اللغة العربية، سواء أكان ذلك التأثير في النظم أم النثر، فأنت تجد ألفاظا قرآنية كثيرة استخدمها العرب في حكمهم وأمثالهم وزهدهم، وتشبيهاتهم واستعاراتهم، وأمثال ذلك ريح عاد التي ((... التي تضرب مثلا في الاهلاك والافناء...))[١] وأحمر ثمود الذي ((... يضرب به المثل في الشؤم والشقوة))[٢] وذئب يوسف الذي :((يضرب مثلا لمن يُرمى بذنب جناه غيره، وهو برئ الساحة مّنه...))[٣].

وقد أصبحوا يضيفون الى الله ألفاظ وأسماء بعينها أمثال: روح الله وهو سيدنا عيسى عليه السلام[٤]، وسيف الله وأسد الله لخالد بن الوليد وحمزة بن عبد المطلب – على التوالي –[٥] وأضافوا إلى دينهم الحنيف ألفاظاً كثيرة. كذلك منها: سهم الإسلام: وهو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٦] وحلوبه المسلمين: استعارة للفيء والخراج[٧]، وجناح المسلمين: يقال ذلك لبريد المسلمين لما كان يتطاير به من الأخبار[٨].

إذا قابلنا ما كتبه ابن فارس عن أثر الإسلام في ألفاظ اللغة العربية، بما كتبه الجاحظ وأبو حاتم في الموضوع نفسه نجد أن ابن فارس لم يضف إلى ما كتباه – ولا سيما الجاحظ – شيئاً كثيراً وإنما نقل معظم مادته – ولم يضف سوى كلمة "حجراً محجوراً.."[٩]

ومما يذكر لابن فارس تفريقه بين المصطلح الشرعي، والمصطلح اللغوي، إذا كان الموضوع متعلقاً بالفقه أو التشريعات الدينية، وما عدا المواضيع الشرعية، يقال للتفريق بينها، وبين المصطلح اللغوي، المعنى اللغوي والمعنى الصناعي. فالمقصود بالمعنى الصناعي هو المعنى الاصطلاحي لجميع العلوم – العلمية والفكرية والأدبية واللغوية – عدا العلوم الشرعية، وهذا التفريق المصطلحي ناتجٌ عن الأثر الذي أحدثه الإسلام في لغة العرب وفكرهم وألفاظهم: ((... فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول: في الصلاة اسمان: لغوي وشرعي، ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثم ما جاء الإسلام به وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالنحو والشعر، كل ذلك له اسمان: لغوي وصناعي))[١٠].

---

(١) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب تحق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة – مصر ص ٧٩.
(٢) السابق ٧٩.
(٣) السابق ٤٦.
(٤) الثعالبي، ثمار القلوب، ٢٠.
(٥) السابق ٢١.
(٦) السابق ١٦٣.
(٧) السابق ١٦٧.
(٨) السابق ١٦٨.
(٩) الصاحبي ٩٣.
(١٠) الصاحبي ٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يذكر ابن فارس الألفاظ والتراكيب التي استحدثت في العصر الراشدي والأموي والعباسي، نحو: أمير المؤمنين والحاجب والثغور والعواصم وحسبه. وولي العهد، وديوان المظالم وغيرهم وهذا عائدٌ لموقفه التوقيفي الذي ينص على أن اللغة العربية اكتمل نموها وازدهارها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم- ولم يبتكر بعده لفظة أو تركيب أو مصطلح(١).

العوامل الداخلية:

أما أشهر العوامل الداخلية التي أتفق على أن لها أثراً في سعة العربية، وذكرها ابن فارس في كتابه "الصاحبي" فهي:

١) القياس:

يعد القياس من أهم العوامل الداخلية التي لها أثر في توسع اللغة العربية، فقد عرف علماؤنا القياس بأنه: ((حمل غير المنقول على المنقول إذ كان في معناه))(٢) أو هو: ((... حمل فرع على أصل بعلة وإجراءُ حكم الأصل على الفرع))(٣) أو هو: ((... استنباط مجهول من معلوم))(٤).

والفرع هو القياس، والأصل هو السماع. وعرف السماع بأنه ((... ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى: وهو القرآن، وكلام نبيه - صلى الله عليه وسلم -، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه، وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظماً ونثراً عن مسلم أو كافر...))(٥) ولذلك قالوا إن أركان القياس هي: أصلٌ وهو المقيس عليه وفرع وهو المقيس، وعلة وهي الشروط، وحكم وهو الشيء المشترك بين الأصل والفرع(٦).

ومن أشهر من قال بأثر القياس في سعة اللغة قديماً أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني، وهذا بينٌ في الخصائص في أبواب كثيرة منها: "باب ماقيس على كلام العرب فهو

---

(١) الصاحبي، ٣٣. (٢) السيوطي، الاقتراح ٣٨.

(٣) ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري، لمع الأدلة تحت اسم الإغراب في جدل الأعراب، تحق: سعيد الأفغاني ط٢، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٧١ ص ٩٣.

(٤) ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٦م ص ٩٣.

(٥) السيوطي، الاقتراح، ص ١٤. وانظر تعريف كل من الأنباري، اللمع ص ٨١ وابن خلدون، المقدمة ١٢٦٢/٤ له.

(٦) ابن الأنباري، اللمع، ٩٣، سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ط٣ مطبعة جامعة دمشق كلية الآداب، دمشق، ١٩٦٤م ص ١٠٨-١١٧ وفؤاد حنا ترزي، في أصول اللغة والنحو. مطبعة دار الكتب، بيروت - لبنان ص ١٢٩-١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من كلام العرب"[١]، وباب "في جواز القياس على ما يقل، ورفضه فيما هو أكثر منه"[٢] وباب "في مقاييس العربية"[٣] وباب "في اللغة المأخوذة قياساً.."[٤]

وأشهر من قال بأثره حديثاً: ابراهيم أنيس في كتابيه، "من أسرار اللغة"[٥]و"تنمية الألفاظ في اللغة"[٦]. ومحمد الخضر حسين في كتابه "القياس في اللغة"[٧] وأنيس فريحة في كتابه نظريات في اللغة"[٨] وفؤاد حنا ترزي. في كتابه "في أصول اللغة والنحو"[٩]

أما ابن فارس فقد أنكر أثر القياس في توسع العربية، مع أنه قال: ((أجمع أهل اللغة – إلا من شذ عنهم – أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر، تقول العرب للدرع جنة، وأجنة الليل وهذا جنين أي هو في بطن أمه أو مقبور. وأن الإنس من الظهور، يقولون آنست الشيء ابصرته، وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم وجهله من جهل، وهذا أيضاً مبني على ما تقدم من قولنا في التوقيف، فإن الذي وقفنا على أن الاجتنان التستر، هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه، وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها، ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن))[١٠] وقد يعترض على ابن فارس فيما ذهب إليه من أن القياس الذي نقيسه نحن يؤدي إلى فساد حقائق اللغة، لأننا عندما نقيس فرعاً على أصل، فإننا نحافظ على قوام اللغة الأصلي، وقواعدها الأساسية ونسج أسلوبها العام، فنحن لا ننصب الفاعل ولا نرفع المفعول ولا نجر المبتدأ، ولا نجعل الخبر مضافاً إليه، بل نستنبط تراكيب جديدة ونولد ألفاظاً جديدة مستخدمين المجاز أو التعريب، ولكننا لا نغير نسج اللغة الأساسي. فمع أن القياس أهم العوامل في توسع اللغة العربية إلا أنه أهم عامل يحافظ على كيان اللغة، ونمطها العام، واتزان صيغها الجديدة لتماثل قواعد الصيغ المهجورة كذلك: ((... القياس قوة مجددة ومحافظة ... ولكن القياس له دور توازي هام باعتباره قوة محافظة... نقية وبسيطة، إنه لا يتدخل فقط عند اعادة توزيع المواد القديمة في وحدات جديدة، ولكنه يتدخل أيضاً عندما تبقى الصيغ بدون تغيير...))[١١].

---

(١)ابن جني الخصائص، ٣٥٨/١. (٢) السابق ١١٦/١-١١٨. (٣) السابق ١١٠/١-١١٦. (٤) السابق ٤٢/٢-٤٥. (٥) ٩-٤٥
(٦) مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة،١٩٦٦-١٩٦٧م.ص١٥-ومابعدها. (٧) ص٢٤- وفي مواضع كثيرة من كتابه (٨) ١٢٦-١٢٧.
(٩) ١١٩. (١٠) الصاحبي ٦٧. (١١) دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ص ٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن جني، فقد جعل القياس أهم عامل في توسع لغة العرب، وأتى بدلائل نقلية، وبراهين عقلية على شدة تأثر استمرار اللغة العربية بالقياس: ((... ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعولن وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره، فإذا سمعت قام زيد" أجزتَ "ظرف بشر"، و"كرم خالد."[١])) ويظهر شغف ابن جني، واستاذه أبو علي الفارسي بالقياس في المبدأين التاليين:

١) إتباعه مقولة المازني: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[٢] فأجاز أن تكون كل كلمة مبتكرة هي كلمة عربية ما دام قياسها ووزنها يماثل كلام العرب، فكلمة صعبب، ولعبب، وقتلل هي كلمات عربية؛ لأن وزنها يماثل وزن لغة العرب الرفاعي "فعلل": ((... قال أبو علي وقت القراءة عليه كتاب أبي عثمان: لو شاء شاعر أوساجع أو متسع أن يبني بإلحاق اللام اسماً وفعلاً وصفة لجاز له، ولكان ذلك من كلام العرب، وذلك نحو قولك: "خرججٌ أكرمُ مِن دخلل"، و"ضربب زيدٌ عمرا"، و"مررت برجل ضربب وكرمم"، ونحو ذلك قلت له: أفترتجل اللغة ارتجالاً؟ قال: ليس بارتجال، ولكنه مقيسٌ على كلامهم، فهو إذاً من كلامهم))[٣]، فأجازوا كلمة "اقعنسس" في بيت العجاج:

..... تقاعس العز بنا فاقعنسسا.

لأن وزنها يماثل وزن "اجرنجم" ولا يعني إنكار الخليل لكلمة "ارفنععا" في: ((".. ترافع العز بنا فارفنععا" لأنها لا تماثل الوزن العربي بل لأن فيها توالي حرفين حلقيين: ((... وقد يجوز أن يكون إنكار الخليل قوله "فارفنععا" إنما هو لتكرر الحرف الحلقي، مع استنكارهم ذلك، ألا ترى إلى قلة التضعيف في باب، المهة، والرفخ، والبعاع...))[٤]

٢) إن كل كلمة أعجمية أدخل عليها إعراب بأي وجه من الوجوه كأن ترفع أو تنصب أو تجر أو تنكر صارت أصلاً عربياً يجوز للعرب أن يشتقوا منها كلمات أخرى حسب ما تقتضيه أوزان اللغة. فاصبحت في نظر ابن جني أصولاً يقاس عليها فروع: ((قال أبو علي إذا قلت "طاب" الخُشْكُنان" فهذا من كلام العرب، لأنك بإعرابك إياه قد أخلته كلام العرب، ويؤكد هذا عندك أن ما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها، ألا تراهم يصرفون في العلم نحو: آجُر، وإبَسْرِيَسم، وفرند وفيروزج، وجميع ما تدخله لام التعريف، وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو الديباج والفرند والسهريز والآجر، أشبه أصول كلام العرب، أعني النكرات، فجرى في الصرف،

---

(١) ابن جني، الخصائص ١/٣٥٨. (٢) السابق ١/٣٥٨. (٣) السابق ١/٣٥٩-٣٦٠. (٤) السابق ١/٣٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنعه مجراها. قال أبو علي: ويؤكد ذلك أن العرب اشتقت من الأعجمي النكرة، كما تشتق من أصول كلامها قال رؤبة:

هل ينجيني حلف سختيت أو فضة أو ذهب كبريت

قال: فـ"سختيت" من السَخْت. كـ"زحليل" من الزحل))[١] ولشغف ابن جني واستاذه أبي علي الفارسي في القياس قالا: ((... وذلك أن مسألة واحدة من القياس، أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس، قال لي ابو علي – رحمه الله – ... أخطئ في خمسين مسألة في اللغة، ولا أخطئ في واحدة من القياس...))[٢] وقد كان للقياس دورٌ كبيرٌ في ايجاد مدرستي البصرة والكوفة اللتين سجل سماتهما وخلافهما أبو البركات الأنباري في كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف"[٣] فقد كان السببُ الأساسي في خلافهما مدى استخدام القياس في وضع قواعد النحو؛ إذ اعتمد البصريون في أقيستهم على أغلب ما سُمِع عن العرب، وتركوا ما عداه لقلته، وندرته، بينما احترم الكوفيون كل مسموعٍ حتى ولو كان هذا المسموع بيتاً واحداً فيه جوازُ شيء مخالف للأصول. وجعلوه أصلاً وبوبوا عليه بخلاف البصريين...))[٤] ولا أريد أن أفصل الحديث عن سمات كل مدرسةٍ على حدى لأن هنالك كتباً كفتني مؤونة التكرار[٥] نحن نقر أن السماع أولى من القياس، لكننا إذا أردنا أن نقنن لغةً فلا بد أن نضحي بنسبةٍ لا بأس بها من التراث اللغوي، ولا سيما أن اللغة العربية متعددة اللهجات أو اللغات، ولذلك فإنني أؤيد منهج البصريين الذي اعتمد على الأغلب، ولم يهمل القرآن الكريم وقرآءته والحديث النبوي، بل جعلهما المرجع الأول. وما دام كذلك فإن المنهج البصري هو أرسخ قدماً وأكثر استمراراً وأوضح طريقةً تعليمية للطلبة من المنهج الكوفي. فإذا قرأنا كتاب نهاد الموسى "في تاريخ العربية"[٦] فإننا سنجد أن اختلاف لغات العرب في إعرابها، وصرفها، يجعلنا نفضل أن يكون هنالك منهجاً علمياً يبين قواعد اللغة على الأغلب. ولا يعني هذا أننا لا ننكر استخدام أساليب لهجات العرب المختلفة التي أهملها البصريون ونقيس عليها، ولكننا نشترط أن يكون

---

(١) ابن جني، الخصائص ١/٣٥٨-٣٥٩. (٢) السابق ٢/٩٠.

(٣) محمد محي الدين عبد الحميد ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦١م. في جزئين. (٤) السيوطي، الاقتراح، ٨٤.

(٥) سعيد الأفغاني في اصول النحو ٢٠٤ وما بعدها، وابراهيم أنيس في كتابيه من أسرار اللغة، ١٠-١٣ وطرق تنمية الألفاظ ص ١٧-١٩ و٢١-٢٤ ومهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ط٢، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة – مصر ١٩٥٨ ص ٣٧٦-٣٧٨ و٣٨٤ وفؤاد حنا ترزي، في أصول اللغة ١٢١-١٢٣ وأنيس فريحة نظريات في اللغة ١٢٦-١٢٧. وتمام حسان الأصول ٣٨. (٦) ساعدت الجامعة الأردنية على نشرة، الأردن، ١٩٧٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يستخدم تلك اللهجات – النادرة أو الشاذة – ويقيس عليها عالماً بهـا، وأن يكون هذا الاستخدام على نطاق العلماء والمفكرين.

وقد بحثت هذا الموضوع كتب كثيرة لا يمكن حصرها في هذا المقام منها: المنخول للإمام الغزالي[١]، ومحمد الخضر حسين، "القياس في اللغة"[٢] وأحمد أمين في مقال مدرسة القياس في اللغة[٣] ومحمد محمود السيد حمودة رسالة دكتوراة بعنوان اللغة العربية بين القياس والسماع[٤] ومقال شاكر طوفان العيساوي بعنوان "القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة"[٥] وحسام النعيمي كتاب "الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني[٦].

٢- الاشتقاق:

من العوامل الداخلية التي تسهم في توسع اللغة العربية الاشتقاق.

عُرف الاشتقاق تعريفات مختلفة، كلها مأخوذة من تعريف ابن جني [٧](-٣٩٢هـ) والميداني(-٥١٨هـ)[٨]، وابن دحية[٩](-٦٣٣هـ)، ولعل أشمل تعريف له هو ما ذكره ابن دحية فقال: ((... الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىً ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب، وحَذِرٌ من حَذِر))[١٠].

وتعريفُ هؤلاء (ابن جني وابن دحية والميداني) للاشتقاق مستنبطٌ من شرطي الاشتقاق اللذين وضعهما ابن السراج في رسالته "الاشتقاق" وهما: ((... أن تجد حروف أحدهما التي يقدرها النحويون بالفاء والعين واللام موجودة باعيانها في الحرف الآخر إن كان أحدهما ثلاثياً كان الآخر ثلاثياً وإن كان رباعياً فمثله، وإن كان خماسياً فكذلك، ولا يقع فرق بينهما – إذا وقع – إلا باختلاف الحركات أو بالزوائد، فيكون البناء غير البناء، والأصول واحدة ... والآخر أن يشاركه في معنى دون معنى، فإن لم يجتمعا البتة فلا اشتقاق لأن كل واحد غريب من الآخر، وإن لم يختلفا فلا اشتقاق أيضاً، لأن هذا هو هذا ...))[١١].

---

(١) ٧١-٧٢. (٢) الكتاب بأكمله. (٣) مجلة مجمع اللغة العربية مجلد ٧، ١٩٥٣م ص ٣٥١-٣٥٨.

(٤) رسالة دكتوراة، عين شمس، القاهرة – مصر ١٩٩٠. (٥) مجلة اللسان العربي مجلد ١٤. ج١ سنة ١٩٧٦م. ص ٢٣-٥٢.

(٦) دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام: العراق، ١٩٨٠، ٤٦-٤٩. (٧) الخصائص ١٣٦/٢.

(٨) ذكره الفخر الرازي في المحصول ٢٣٧/١. (٩) ذكره السيوطي في المزهر ٣٤٦/١. (١٠) المزهر ٣٤٦/١.

(١١) ابن السراج ، تحق: محمد علي الدرويش ومصطفى الحدري، دمشق، ١٩٧٢م. ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثر الاشتقاق في توسع اللغة العربية وإغنائها في الألفاظ لا يخفى على ذي نُهية، فنحن إذا أخذنا جذر أي كلمة واشتققنا منها كما تسمح لنا قواعد اشتقاق اللغة العربية أن نشتق لاستخرجنا كلماتٍ عديدة، ومثال ذلك: ((س ل م" فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه، نحو: سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم اللديغ. أُطلقَ عليه تفاؤلاً بالسلامة...))[١]ولوضوحِ أثر هذا العامل في سعة العربية، ألف بْه القدماء كتباً كثيرة. كـ اشتقاق الأصمعي[٢]، واشتقاق ابن دريد[٣] واشتقاق ابن السراج[٤].

وكذلك المحدثون ومن أهم كتبهم: اشتقاق عبد الله أمين[٥] واشتقاق فؤاد حنا ترزي[٦].

وكتاب العلم الخفاق من علم الاشتقاق.. لأبي الطيب بن أبي أحمد بن أبي الحسن الحسيني البخاري القنوجي (محمد صديق خان)[٧] وغيرها.

بالإضافة إلى ما كتبه عن هذا الموضوع في ثنايا كتبٍ أخرى كثيرة..

العلاقةُ بين الاشتقاق والقياس وثيقةٌ جداً إذ أن القياس هو الحكم أو النظرية، بينما الاشتقاق هو العملية التطبيقية للقياس[٨] ولذلك جمعهما ابن فارس في باب واحدٍ وهو باب "لغة العرب هل لها قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض"[٩]

وقد كان موقفه من الاشتقاق يماثل موقفه من القياس إذ أنكر أن يكون للاشتقاق دورٌ في اثراء العربية، والذي جعله ينكر أثر هذا العامل في سعة لغة العرب الموقف التوقيفي الذي ألزم نفسه به في أول هذا الكتاب (الصاحبي)، إذ نص فيه على أن اللغة قد جفت مواردها القياسية والاشتقاقية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم-كما أشير[١٠] أما إذا قابلنا ما كتبه ابن فارس في الاشتقاق في كتابه "الصاحبي" وما كتبه ابن جني في الخصائص"، فنجدُ أن موقفهما متباينٌ، إذ اعترف ابن جني باثر الاشتقاق وقال: إنه من أهم العوامل التي تسهم في سعة لغة الغرب[١١]، وقد كان ابن جني أول من قسم الاشتقاق إلى نوعين، الاشتقاق الأصغر أو العام، وقد ذكرت تعريفه سابقاً[١٢].

---

(١) ابن جني، الخصائص ١٣٦/٢.

(٢) حققه: سليم النعيمي، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٨ ومحمد حسن آل ياسين في مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ١٦ سنة ١٩٦٨م، ٣١٧-٣٥٦. (٣) حققه عبد السلام هارون مؤسسة الخانجي مصر والمكتب التجاري بيروت، ومكتبة المثنى بغداد ١٩٥٨م.

(٤) سبق الاشارة إليه. (٥) لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦م.

(٦) جامعة بيروت الأمريكية ... منشورات كلية العلوم والآداب، بيروت ١٩٦٨.

(٧) تحق: نذير محمد مكتبي، ط١، دار البصائر، دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، ١٩٨٥م.

(٨) ابراهيم انيس في كتابيه طرق تنمية الألفاظ ص ٤١. ومن أسرار اللغة ٤٦. (٩) الصاحبي ٦٧.وانظر ص١٢٢ الرسالة

(١٠) الصاحبي ٣٣.

(١١) ابن جني، الخصائص٢٣٦ و١٦٧. (١٢) انظر١٢٥ الرسالة وابن السراج رسالة، الاشتقاق ١٩، وابن جني الخصائص١٣٦/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والآخر: الاشتقاق الأكبر (الكبير[١]): ((أما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعتمد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد ...))[٢] ومثل على ذلك بكلمات أمثال: ((ج ب ر"[٣] و"ق س و"[٤] و"س ل م"[٥]

ولابانة نهج ابن جني في هذا النوع، نذكر مثالاً على ذلك، ولتكن "ق س و" (قسو).:

((... ومن ذلك تراكيب (ق س و)، (ق و س).

(و ق س) (و س ق) (س و ق) وأهمل (س ق و) وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع، منها (القسوة) وهي شدة القلب واجتماعه ألا ترى إلى قوله:

يا ليت شعري والمُنَى لا تنفعُ . هل أغدُوَنْ يوماً وأمري مَجْمَع

أي قوي مجتمع. ومنها (القوس) لشدتها، واجتماع طرفيها، ومنها الوقس" لابتداء الجرب، وذلك لأنه يجمع الجلد ويقحله، ومنها (الوسق) للحمل وذلك لاجتماعه وشدته، ومنه (استوسق) الأمر أي اجتمع والليل وما وسق أي جمع، ومنها (السوق) وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض، وعليه قال:

مستوسقات لو يجدن سائقاً

فهذا كقولك: مجتمعاتٍ لو يجدن جامعاً. فإن شذ شيء منه شُعَب هذه الأصول عن عَقْده ظاهراً رُد بالتأويل إليه، وعُطف بالملاطفة عليه...))[٦]

وقد رد كثيرٌ من الكتاب[٧] فكرة التقاليب هذه إلى الخليل بن أحمد الذي لم يُشرْ إلى أن هذه التقاليب على اختلافها تحمل معنىً مشتركاً عاماً، وإنما كان هدفه حصر المادة اللغوية العربية، سواء أكانت تلك المادة مستعملةً أم مهملةً، وقد أنكر صنيع ابن جني هذا السيوطي الذي قال: ((... وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً، وليس مُعتَمداً في اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاقٌ في لغة العرب، وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده، ورده المختلفات إلى قدرٍ مشترك،

---

(١) أول من ابتكره ابن جني، وإن كان استاذه أبو علي الفارسي يأنس به عندما يضيق به الاستقاق الصغير. الخصائص ١٣٥/٢.

(٢) الخصائص ١٣٦/٢. (٣) السابق ١٣٧/٢. (٤) السابق ١٣٨/٢. (٥) السابق ١٣٩/٢.

(٦) ابن جني، الخصائص ١٣٨/٢-١٣٩. (٧) منهم صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ١٨٨-١٩٠، ومحمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨ ص ١١٠، وابراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٥٠، وعبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب، عنيت بنشره إدارة المطبعة العصرية، مصر ص ٢٠٥، وإميل بديع يعقوب فقه اللغة العربية ٢٠٠، ورمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ط٢، مكتبة الخانجي القاهرة، ودار الرفاعي الرياض ١٩٨٣م ص ٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ، وأن تراكيبها تفيدُ أجناساً من المعاني مغايرةً للقدر المشترك ... ولا يُنكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة معنى مشتركٌ بينها، هو جنس لأنواع موضوعاتها، ولكن التحيل على ذلك في جميع مواد التركيبات كطلبٍ لعنقاء مُغرب ...))[١] وايده في ذلك عدد من المحدثين أمثال : ابراهيم أنيس [٢] وصبحي الصالح [٣]، ومحمد المبارك[٤]، وعبد الله العلايلي [٥] وإميل بديع يعقوب[٦] ، وفؤاد حنا ترزى في كتابه "الاشتقاق" الذي دحض هذه النظرية بحجج قوية فقال: ((إن الاعتقاد بصحة هذه النظرية يترتب عليه أمران. الأول أن لكل حرف من حروف العربية قيمةدلالية خاصة لا يغيرها تغير موقع الحرف في اللفظة أو تغييره بحرف آخر من مخرجه، والثاني أن صوت الحرف هو الذي يؤدي إلى هذه القيمة الدلالية وفي كل من هذين الأمرين ما فيه من مجافاة للواقع وحد لمد لولات اللغة، ولو فرضنا جدلاً وجود دلالة معنوية خاصة للحرف العربي لاقتضى ذلك أن تلازمه هذه الدلالة في كل لفظة يوجد فيها، ومن ثم يصبح بين جميع الكلمات التي تشترك في حرف أو أكثر نوع من الاشتراك المعنوي يتناسب وعدد الحروف المشتركة بينها، ويترتب على هذا وجود قرابة معنوية بين الألفاظ التي تشترك بحرفٍ واحد، نحو (ماج ومرح. ودمج) (وعمد وعلم وسقم) وقرابة أقوى بين الألفاظ التي تشترك بحرفين نحو: سلم وسلب، وكسد وحسد .. وقرابة توجب الترادف بين الألفاظ التي تشترك بجميع الحروف مهما كان ترتيبها من نحو: لمح، وحَمَلَ، وحَلِمَ. وحمل وحلم وملح... وهذا يتنافى والواقع ويتعارض وفلسفة اشتقاق الكلم في اللغة كما نعلمه ولا يتفق بتفاصيله مع نظرية ابن جني نفسها، ولا أدري كيف يمكن تفسير الأضداد على هذا الأساس ... وقد أشرنا إلى أن في اللغة كثيراً جداً من الألفاظ التي يتعذر إيجاد أية صلة معنوية بين تقاليبها))[٧]

تحامل الكثيرين على ابن جني ووصفه أنه متعسفٌ ومبالغٌ، ومسرفٌ في نظريته تقتضي أن الحرف مقيدٌ بمعنىً واحدٍ، وأن كثيراً من تقاليبه تؤدي إلى الضدية لا إلى الاشتراك المعنوي، أقول فلماذا هذا التحامل عليه مع أنه قال: إن هذا الاشتقاق لا يمكنُ تطبيقه على مواد اللغة كلها، وأنه منهجٌ متوعرٌ صعبُ المنال: ((... واعلم أنها لا ندعي

---

(١) السيوطي، المزهر ٣٤٧/١-٣٤٨.
(٢) من أسرار اللغة ٥٢.
(٣) دراسات في فقه اللغة ١٩٤.
(٤) فقه اللغة وخصائص العربية ١٠٦-١٠٧.
(٥) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٠٦.
(٦) فقه اللغة العربية ٢٠٠
(٧) فؤاد حنا ترزي، الاشتقاق، منشورات كلية العلوم والآداب في جامعة بيروت الاميركية، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٨م ص٣٣١-٣٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذا مستمرٌ في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة، بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا، أو خمسه متعذراً صعباً، كان تطبيق هذا أو أحاطته أصعب مذهباً، وأعز ملتمساً، بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجباً، فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاريه إلى المدى الأبعد))[١]

ويعد ابن جني معتدلاً إذا ما قُورنَ بأصحاب النظرية الثنائية الذين يقولون: ((... إن المعنى العام للمادة يرتبط بأصلين اثنين فقط من أصولها...))[٢] وقد كان رائدهم في ذلك الأب انستاس ماري الكرملي في كتابه "نشوء اللغة العربية نموها واكتهالها" إذا عالج معظم مواد اللغة وردها إلى أصلٍ ثنائي، يدل هذان الأصلان الثنائيان على معنىً عامٍ بعينه، وقد تكون الزيادة على هذين الأصلين، تصديراً أو حشواً أو كسعاً، فعنده أن: ثرم وجرم وحرم وخرم، وشرم وصرم وعرم وغرم ذات أصلٍ ثنائي هو الراء والميم (رم) مصدر بحرم آخر وتدل كلها على القطع[٣].

كما أن رتم ورثم ورجم وردم ورسم ورشم ورضم ورطم ورغم ورقم وركم مشتقةٌ عنده أيضاً من هذه المادة الثنائية (رم) بعد أن حُشيت بحرفٍ آخر، وكلها تدل على القطع[٤] كذلك.

وأما إذا قابلنا عمل ابن جني في "الخصائص" بعمل ابن فارس في "المقاييس"، فإننا نجد أن بين منهجيهما اتفاقاً وافتراقاً، فقد ناقض ابن فارس نفسه إذا أنكر أثر الاشتقاق في "الصاحبي" وذكره في "المقاييس" فقد استفد معطيات الاشتقاق في اللغة العربية ومرونته، وألف كتابه "المقاييس" على أساس اشتقاقي، لذلك قيل إن "المقاييس" معجمٌ اشتقاقي أولاً، ولغوي ثانيا. فنحنُ نجدُ ابن فارس في المقاييس يستخدم الاشتقاق العام (الصغير) فيقول في مادة "بكر": ((الباء والكاف والراء أصلٌ واحدٌ يرجعُ إليه فرعان هما منه، فالأول أول الشيء وبدؤه، والثاني مشتقٌ منه، والثالث تشبيه فالأول البكرة وهي الغداة والجمع والبُكَرة والتبكير والبُكور والابتكار المضي في ذلك الوقت، والإبكار: البُكرة كما أن الإصباح اسم الصبح، وباكرتُ الشيء إذا بَكَرتَ عليه، قال أبو زيد، ابكرتُ الوِردَ إبكاراً، وأبكرتُ الغداءَ، وبَكرتُ على الحاجة، وأبكرتُ غيري، بكرت وأبكرت، ويقال رجلٌ بِكرٌ صاحب بكورٍ كما يقال حَذِر...))[٥]

---

(١) ابن جني، الخصائص ٢/١٤٠-١٤١.
(٢) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ٢٩٨.
(٣) انستاس الكرملي، نشوء اللغة العربية ص ٤.
(٤) السابق ص ٥.
(٥) المقاييس ١/٢٨٧

All Rights Reserved- Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنه استخدم فكرة الاشتقاق الأكبر الذي قال به ابن جني، وبني عليه كتابه "المقاييس"[١] فقد قسم مواد كتابه كما قلنا على أساس معناها العام المشترك بين الكلمات التي يمكن ردها إلى جذرٍ واحد، وقد عبر ابن فارس عن المعنى العام المشترك كما قلنا بالأصل، وبهذا يتساويا (ابن فارس وابن جني) إلا إن ابن فارس قد غاير ابن جني وخالفه في عدة نقاط، أهمها:

١) لم يشترط ابن فارس أن يكون للجذر الواحد معنىً عام مشترك واحد. أو أصل واحد – كما يُعبر ابن فارس – بل قد يكون للكلمات التي يمكن ردها إلى جذر ثنائي وثلاثي واحدة عدة معانٍ مشتركة أو عدة أصول مثال ذلك: ((ركز: الراء والكاف والزاء أصلان، أحدهما إثبات شيء في شيء، يذهب سفلاً، والآخر صوت ...))[٢] و((خَلَفَ الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة، أحدهما أن يجئ شيءٌ بعد شيءٍ يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغيير ...))[٣]

وبهذا يكونُ عمل ابن فارس مغايراً لعمل ابن جني، الذي اعتبر أن جميع الكلمات التي يمكنُ ردها إلى جذرٍ واحد تحملُ جميعها معنىً عاماً مشتركاً واحداً.

٢) لم يقل ابن فارس كما قال معاصره ابن جني: إن جميع الكلمات التي يمكنُ ردها إلى جذرٍ واحد تحمل معنىً عاماً على اختلاف تقلباتها، إذا اعتبر ابن فارس أن كل تقليب مستقل عن التقاليب الأخرى، ولذلك فهو أصلٌ عامٌ مغايرٌ لأصول التقليبات الأخرى. ولتوضيح الفرق بين منهجيهما في ذلك نأخذ كلمة "جبر" من "الخصائص"، و"جبر" من "المقاييس" فقد ذكر ابن جني إن جبر: ((... أين وقعت للقوة والشدة، منها: جبرتُ العظم والفقير إذا قويتهما، وشددت منهما، والجَبْر: الملك لقوته وتقويته لغيره ومنها رجلٌ مجرب إذا جرسته الأمور ونجذته، فقويت مُنته و اشتدت شكيمته، ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه ... ومنها الأبجر والبُجْرة وهو القوي السرة ... ومنه البُرْج لقوته في نفسه وقوة ما يليه به، وكذلك البَرَج لنقاء بياض العين وصفاء سوادها هو قوة أمرها ... ومنها رجبت الرجل إذا عظمته، وقويت أمره، ومنه "رجب" لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، وإذا كَرُمت النخلة على أهلها فمالت ودعموها بالرجبة و هو شيء تسند إليه لتقوى به. والراجبة أحد فصوص الأصابع، وهي مقوية لها، ومنها الرباجي وهو الرجل

---

(١) انظر ص ٢٢-٢٣ الرسالة (٢) المقاييس ٢/٤٣٣. (٣) السابق ٢/٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يفخر بأكثر من فعله...))[١]، ولم يذكر ابن جني تقلب "جَرَبَ" الذي يدل على الضعف، وذلك لأنه لا يتسم مع منهجه[٢].

أما ابن فارس فقد اعتبر أن لكل تقليب أصلاً معنوياً بعينه، وقد يكون للتقلب الواحد أكثر من أصل معنوي وبذلك يقول:

((ج ب ر" الجيم والباء والراء أصلٌ واحدٌ وهو جنسٌ من العظمة والعلو والاستقامة))[٣] و:"جـ ر ب" الجيم والراء والباء أصلان أحدهما الشيء البسيط يعلو، كالنبات من جنسه والآخر شيءُ يحوى شيئا))"[٤] و:"ب ر ج" الباء والراء والجيم أصلان أحدهما البروز والظهور، والآخر الوزر والملجأ...))[٥] و:" ب ج ر" الباء والجيم والراء أصلٌ واحد وهو تعقد الشيء وتجمعه ...))[٦]

و: ((ر ب ج" الراء والباء والجيم كلمة واحدة، وإن صحت تدل على التحير...))[٧] و((رج ب)) الراء والجيم والباء أصل يدل على دعم شيءٍ بشيءٍ و:((تقويته من ذلك، الترجيب وهو أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تتكسر أغصانها...))[٨]. فكلمة "جبر" وتقلباتها التي كان لها عند أبن جني معنىً واحداً، كان لها ثمانية معانٍ عند ابن فارس.

ويظهر إنكار ابن فارس لفكرة أن لكل تقاليب كلمات الجذر الواحد جميعها معنىً عاماً مشتركاً في كتابه "الثلاثة" الذي قال فيه إن لكل تقليب معنىً مغايراً لمعنى التقاليب الأخرى. ومثال ذلك: "السَلَع واللَعس والعَسل، فالسَلَع شجرٌ مر واللعس سوادٌ يكون في الشفة والعسل معروف[٩] والبَرْد والدَبر والبدر، فالبَرْد النوم والدبر جماعة النحل، والبدر: الهلال لرابع عشرة[١٠] وغيرها كثيراً تجدها في كتابه.

نستنتج من هذه المقابلة أن منهج ابن فارس منسجمٌ مع حقائق كلام العرب ومعانيه، أكثر من منهج ابن جني الذي يتسم إلى حد ما بالمبالغة، ولذلك يعد "المقاييس" من أفضل الكتب التي استثمرت ظاهرة الاشتقاق وأبعادها المختلفة.

وقد اضاف الخاتمي" نوعاً آخر من الاشتقاق أسماه الاشتقاق الأكبر وهو نفسه (الإبدال اللغوي) وبذلك يقول السكاكي: ((... وههنا نوعٌ ثالث من الاشتقاق كان يسميه شيخنا الحاتمي – رحمه الله – الاشتقاق الأكبر وهو أن يتجاوز إلى ما احتملته أخوات تلك الطائفة من الحروف نوعاً أو مخرجاً، وقد عرفت الأنواع والمخارج على ما نبهناك،

---

(١) الخصائص ١٣٧/٢-١٣٨. (٢) صبحي الصالح، دراسات في فقه العربية ١٩٨. (٣) ابن فارس، المقاييس ٥٠١/١.
(٤) السابق ٤٤٩/١ - ٤٥٠. (٥) السابق ٢٣٨/١. (٦) السابق ١٩٨/١. (٧) السابق ٤٧٤/٢.
(٨) السابق ٤٩٥/٢-٤٩٦. (٩) ابن فارس، الثلاثة، تحق رمضان عبد التواب ط١، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٠ ص ٣٢. (١٠) السابق ٣٤-٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنه نوعٌ لم أر أحداً من سحره هذا الفن، وقليلٌ ما هم حام حوله على وجهه إلا هو...))[١] وهذا النوع لا يمكن اعتباره اشتقاقاً لأسباب منها:

أ) أنه لا يسهم في توسع اللغة العربية وإثرائها.

ب) لم يعده علماؤنا الأسبقون اشتقاقاً، بل كانوا يصنفونه تحت موضوع الإبدال اللغوي، فلم يعده ابن السكيت صاحب الإبدال. والأصمعي وابن دريد وأبي حاتم وابن فارس وابن جني والسيوطي اشتقاقاً[٢]

ج) أن الاشتقاق لا يؤول إلى الترادف، ولا يهدف إليه، بينما الإبدال يؤدي إلى وجود هذه الظاهرة، ويؤدي إلى غنى اللغة بها[٣]

جعل عبد الله أمين النحت نوعاً من الاشتقاق، وسماه الاشتقاق الكبار،ولكني لا أميلُ إلى هذا التقسيم، لأنني لا أرجح أن يكون النحت نوعاً من الاشتقاق، فالنحت يهدف إلى غايةٍ مغايرةٍ للغاية التي يهدف إليها الاشتقاق، ولذلك وضعته في موضعٍ مستقل في هذا الفصل.

٣) القلب:

القلب من العوامل الداخلية التي أتفق على أنه يسهم في توسع العربية، وقد عرفه العلماء بأنه: تقديم حرف أو تأخير آخر في الكلمة مع احتفاظها بالمعنى نفسه، وإذا وجد على معنى تلك الكلمة تغير نتيجة القلب، يكون هذا التغير طفيفاً أمثال: اطيبه وايطبه، وربض ورضب، واضمحل وامضحل، واحجمت وأجمحت وصعق وصقع[٤] وغيرها. وهذا التعريف مجمل ما أتى في ثنايا صفحات كتب المؤلفين[٥]الذين تناولوا هذه القضية بالسرد والنقد ومن أشهر العلماء الذين ذكروا بأن للقلب أثراً في سعة اللغات قديماً هو ابن جني الذي قال: ((أما ما طريقه الإقدام من غير صنعة فنحو ما قدمناه آنفاً من قولهم: ما أطيبه وأيطبه، وأشباه في قول الخليل و(قسي) وقوله (أخو اليوم اليمى) فهذا ونحوه طريقه طريق الاتساع في اللغة من غير تأتٍ ولا صنعة، ومثله موقوفٌ على السماع ليس لنا الإقدام عليه من طريق القياس))[٦]

---

(١) السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م ص ١٥.
(٢) إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية ٢٠٧. (٣) السابق ٢٠٧. (٤) انظر هذه الأمثلة وغيرها عند ابن دريد الجمهرة ٤٣١/٣ ط مكتبة الثقافة الدينية. وابن قتيبة، أدب الكاتب ٣٨١-٣٨٣. (٥) انظر تعريفه عند ابن سيدة المخصص المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، ٢٦٧/١٣. وانستاس ماري الكرملي، نشوء اللغة العربية ص ١٦. وجورجي زيدان، الفلسفة اللغوية ٣٣. والرافعي، تاريخ آداب العرب، تحق: محمد سعيد العريان، ط٢ المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٤٠، ١٨٦/١. ورمضان عبد التواب، لحن العامة، ط١، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٤٨. - وسليمان أبو شوش، عشرة آلاف كلمة انجليزية من أصل عربي ط١، الكويت، ١٩٧٧، ٤٣. (٥) ابن جني، الخصائص ٩٠/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أشهر من قال بأثر القلب في توسيع العربية من المحدثين[١]، فهم: جورجي زيدان[٢]. والأب انستاس ماري الكرملي[٣] وابراهيم أنيس[٤] وقد عرض ابن فارس للقلب، وقال إنه يقع في الكلمة والقصة وعده سنةً من سنن العرب في كلامها، ولذا لم يجعله عاملاً من عوامل توسع اللغة، بل ذكر أنه سنة يلجأ إليها العربي في كلامه اليومي:((ومن سنن العرب القلب، وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصة فأما الكلمة فقولهم: جذب وجبذ، وبكل ولبك، وهو كثير قد صنفه علماء اللغة، وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله – جل ثناؤه – شيء، وأما الذي في غير الكلمات فقولهم: كما عُصبَ العِلباءُ بالعودِ، وكما كان الزناء فريضة الرجم، وكأن لون أرضه سماؤه، وكأن الصفا أوراكها، إنما أراد: كأن أوراكها الصفا، ويقولون: أدخلتُ الخاتم في إصبعي، (طويل):

ويشقى الرماح بالضياطرة الحُمر

الوافر:

كما بطنت بالفدن السياعا

وحسرت كفي عن السربال وإنما حسر السربال عن كفه، ومثله في كتاب الله – جل ثناؤه – ﴿**خلق الإنسان من عجل**﴾(الانبياء/٣٧) ومنه قوله جل ثناؤه ﴿**وحرمنا عليه المراضع من قبلُ**﴾(القصص/١٢). ومعلومٌ أن التحريم لا يقع إلا على من يلزمه الأمر والنهي، وإذا كان كذا فالمعنى وحرمنا على المراضع أن يُرضعنه، ووجه تحريم إرضاعه عليهن ألا يقبل رَضاعهن حتى يُرد إلى أمه، قال بعض علمائنا، ومنه قوله – جل وعز– ﴿ **فإنهم عدو لي إلا رب العالمين**﴾ (الشعراء/٧٧) والأصنام لا تعادي أحداً فكأنه قال: فإني عدو لهم، وعداوته لها بغضهُ إياها وبراءته منها))[٥]

فابن فارس في ذلك يسيرُ على نهجِ من سبقوه كـ: الأصمعي[٦] وأبي عبيد في الغريب المصنف[٧] وابن قتيبة في أدب الكاتب[٨] وابن دريد في الجمهرة[٩].

ولما كان القلب سنة من سنن كلام العرب وقابلٌ للتغيير في أي وقتٍ، لم يعتبر ابن فارس الكلمات المقلوبة في كتابه "المقاييس" أصولاً يقاس عليها، وإنما اعتبرها فروعاً

---

(١) اعتبر معظم المحدثين أن القلب من عوامل توسع العربية عدا العلايلي الذي اعتبر أن القلب من أسباب تجمد اللغة، وليس له فائدة إلا في جمع ألفاظه، مقدمة لدرس لغة العرب ص ٢١٥. (٢) الفلسفة اللغوية ٣٣. (٣) نشوء اللغة العربية ص١٤.

(٤) عد ابراهيم أنيس القلب من طرائق تنمية اللغة في كتابه من أسرار اللغة إلا أنه لم يعرضه ولم يناقشه ص ٥٣.

(٥) الصاحبي ٢٠٢-٢٠٣. (٦) ذكره السيوطي في المزهر ٤٧٨/١.

(٧) لم يطبع الجزء الثالث من الغريب المصنف لذا اعتمدت المزهر ٤٧٩/١. (٨) ٣٨١-٣٨٣.

(٩) باب الحروف التي قلبت ٤٣١/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مشتقة من أصول من ذلك قوله في مادة "قوف" ((القاف والواو والفاء)) كلمةٌ، وهي من باب القلب، وليست أصلاً...))[١] وقوله في مادة "جبذ": ((الجيم والباء والذال ليست أصلاً لأنه كلمةٌ واحدةٌ مقلوبة، يقال جبذت الشيء بمعنى جذبته))[٢].

مع أن ابن فارس اعتبر القلب سنةً من سنن العرب في كلامها إلا أنه في باب إختلاف لغات العرب" اعتبر أن القلب عائدٌ إلى اختلاف اللغات فقال: ((... ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير نحو: صاعقة وصاقعة ...))[٣]

أما ابن جني معاصر ابن فارس فقد قال إن القلب يمكن أن يؤدي إلى اتساع اللغة، لكن العربي لا يلجا إليه إلا أضطراراً: ((... والقلب في كلامهم كثير، وقد قدمنا في أول هذا الباب أنه متى أمكن تناول الكلمة على ظاهرها، لم يجز العدول عن ذلك بها، وإن دعت ضرورة إلى القول بقلبها كان ذلك مُضطراً إليه لا مختاراً))[٤]

ولم يعد ابن جني أن الكلمات المقلوبة جميعها فرعٌ من أصل، بل رجح أصلية معظمها، وذلك بوضعه مقياسين وهما: التصرف والاستعمال.

١) التصرف: فإذا وجدنا لكلا الكلمتين فعلاً ماضياً ومضارعاً واسم فاعلٍ واسم مفعول ومصدراً صريحاً. كانت كل واحدةٍ منهما أصلاً: ((... فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما، قولهم: جذب وجبذ، ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه، وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً نحو: جذب يجذبُ جذباً فهو جاذب، والمفعول مجذوب وجبذ يجبذ جبذاً فهو جابذ والمفعول مجبوذ، فإن جعلت مع هذا احدهما أصلاً لصاحبه فسد ذلك ...))[٥] ولهذا فإن "أيِسَ" فرعاً لأنها مقلوبةٌ من "يئست: ((... ومثل ذلك في القلب قولهم: "أيست من كذا" فهو مقلوب من يئستُ ... وهو ما ذهب إليه من أن "أيستُ" لا مصدر له وإنما المصدر (اليئست) وهو اليأس واليآسة...))[٦]

٢) الاستعمال: جعل ابن جني شيوع الكلمة على ألسنة الناس واستعمالهم لها دليلاً على أصليتها، فالكلمة التي تكون شائعةً هي الأصل، وأما الكلمة التي تكونُ دونها شيوعاً هي الفرع، وإذا تساويا في الاستعمال فهما أصلان: ((... ومن ذلك: هذا لحم شخِم وخِشم، وفيه تشخيم، ولم أسمع تخشيم، فهذا يدل على أن شخم أصل الخشم))[٧].

وقد رد البصريون ظاهرة القلب إلى اختلاف اللغات، ولم يؤيدوا الكوفيين بأن هذه الكلمات جميعها مقلوبة، وأنها فرعٌ عن أصل: ((... قال النحاس في شرح المعلقات:

---

(١) المقاييس ٤٢/٥. (٢) السابق ٥٠١/١. (٣) الصاحبي ٤٨-٤٩. (٤) الخصائص ٨٤/٢.
(٥) الخصائص، ٧١/٢-٧٢. (٦) السابق ٧٢/٢-٧٣. (٧) السابق ٧٦/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القلب الصحيح عند البصريين مثل شاكي السلاح وشائك، وجرفٍ هارٍ وهائر، وأما ما يسميه الكوفيون القلبَ نحو جبذ، وجذبَ فليس هذا بقلب عند البصريين، وإنما هما لغتان....))[١]

ولعل رأي ابن فارس وجمهور اللغويين أقرب إلى واقعنا اللغوي المعاصر إذ نسمع أعطى أطعى، وعربون ورعبون في البيئة اللغوية نفسها، والذي يؤيد هذا المذهب أن القرآن الكريم خالٍ تماماً من الكلمات المقلوبة، لأنها سنةٌ صوتية إنسانية يلجأ إليها الإنسان بهدف تقليل الجهد النطقي[٢] وهذا لا يعني أننا ننفي أن يكون لاختلاف اللغات دورٌ في ايجاد ألفاظٍ مقلوبة. أما رأي ابن جني فيمكن أنْ يعتبر صائباً إذا ما طبقناه على النصوص المكتوبة ولا سيما أن الكلمات التي تناقلها المؤلفون في كتبهم هي ألفاظٌ سماعية غير قياسية، وقد أنكر ابن درستوية ظاهرة القلب في كتابه "إبطال القلب"[٣].

ولايفوتنا تفرد ابن فارس في أنه لم يجعل القلب مقصوراً على الكلمات حسب بل جعله يطوق العبارات أيضاً:((فقولهم: كما عُصِبَ العِلباءُ بالعود، وكما كان الزناءُ فريضة الرجم...))[٤]

٤) الإبـــدال:

من العوامل الداخلية التي قيل إن لها أثرٌ في توسع العربية، الابدال.

وقد اتفق العلماء على أنه: وضعُ حرفٍ مكان حرفٍ آخر في الكلمة الواحدة، ويكون هذين الحرفين المبدلين متفقين في المخرج أو الصفة أو في كليهما دونما تغيير في معنى الكلمة المبدلة أو بتغير طفيف في ظل المعنى[٥] ومثال ذلك: هتنت السماءُ وهتلت، تهتنُ تهتاناً وتهتلُ تهتالاً[٦]، وكمح وكبح، وأكبحته وإكمحته[٧]، والعجم والعجب أصل الذنب[٨] وأدهقت الكأس إلى أصبارها وأصمارها أي ملأتها إلى رأسها[٩].

نحن نعلم أن الإبدال نوعان: الإبدال اللغوي الذي سبق تعريفه وهو موضوع بحثنا، والإبدال الصرفي الذي يقع في مباني الكلم المختلفة مثل: ازدهر وادعى، واصطحاب ومطلع ومصتاد، وليس هذا موضوع بحثنا لأن ابن فارس لم يعرض له.

---

(١) السيوطي، المزهر، ٤٨١/١. (٢) ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ٣٢. (٣) ذكره السيوطي في المزهر ٤٨١/١.
(٤) الصاحبي ٢٠٢-٢٠٣. وانظر ص ١٣٣الرسالة ويبدو أن ابن فارس كان متاثرا بكتاب "تاويل مشكل القرآن" لابن قتيبة في باب المقلوب، ص١٤٨-١٥٦.
(٥) انظر تعريف الإبدال عند: ابن سيدة، المخصص ٢٦٧/١٣. وحفني ناصف، مميزات لغات العرب ص ١١. وانستاس الكرملي، نشوء اللغة العربية ١٨ وجورجي زيدان، الفلسفة اللغوية ٣٤، والرافعي، تاريخ آداب العرب ١٨٤/١. وسليمان أبو غوش، عشرة الاف كلمة انجليزية من أصل عربي ص ٥٠.
(٦) ابن السكيت، الإبدال، تحق: حسين محمد محمد شرف مراجعة علي النجدي ناصف مجمع اللغة العربية، القاهرة.سنة ١٩٧٨م، ص ٦١. (٧) السابق ٧٥. (٨) السابق ٧٤. (٩) السابق ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن القدماء لم يقولوا إن الإبدال من العوامل التي تسهم في سعة العربية، مع أنهم كتبوا في موضوع الإبدال كتباً كثيرة مثل: الإبدال لابن السكيت[١]، والإبدال لأبي الطيب[٢] وما كتبه ابن جني عن هذا الموضوع في كتابه الخصائص في باب "الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه"[٣] والسيوطي في المزهر[٤]. أما المحدثون فقد قالوا بأثر الإبدال ودوره في سعة العربية وأشهر من قال بذلك . جورجي زيدان[٥]، والأب انستاس الكرملي[٦] والرافعي[٧] وابراهيم أنيس[٨]،وغيرهم.

أما ابن فارس فقد جعل الإبدال كالقلب ،سنه من سنن العربية كغيرة من اللغويين القدماء . ولم يعتبرهُ من عوامل توسع اللغة العربية فقال :((ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ،ويقولون مدحه ومدهه وفرسُ رفل ورفن ، وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء ،فأما ماجاء في كتاب الله – جل ثناؤه – فقوله ﴿ **فانفلق فكان كلُ فرقٍ ...**﴾(الشعراء/٦٣) فاللام والراء يتعاقبان، كما تقول العرب فلق الصُبح وفرقه..))[٩] ولذلك لم يعتبر الكلمات التي وقع فيها إبدال في كتابه المقاييس إصولاً تُقاس عليها بل اعتبرها فروعاً لأن أحرفها قابلة للتغيير والتبديل فقال في مادة أبش((الهمزة والباء والشين ليس بأصل ، لأن الهمزة فيه مبدلة من هاء...))[١٠] وفي مادة "أثن" : ((الهمزة والثاء والنون ليس بأصل . وإنما جاءت فيه كلمة من الإبدال ..... وقد شرطنا في أول كتابنا هذا ألا نقيس إلا الكلام الصحيح))[١١] ومادة "أجح[١٢]" ومادة "بعط"[١٣] ومادة "توس"[١٤]

أما ابن جني فإنه لم يعتبر الإبدال من عوامل توسع العربية كما أشير ، ولمعرفة الكلام المبدل من غيره وضع لذلك مقياسين ، وهما مقياسا القلب نفسهما، التصريف والاستعمال ،وبذلك يقول في التصرف :(... ومن ذلك قولهم :هتلت، السماء ، وهتنت: هما أصلان ألاترهما متساويين في التصرف ،يقولون : هتنت السماءُ تهتن تهتاناً ،وهتلت تهتالاً ،وهي سحائب هتن وهتل . قال أمرؤ القيس:

فسحت دموعي في الرداء كأنها كُلى من شعيب ذات سح وتهتان

---

(١) سبق الاشارة إليه

(٢) وهو مطبوع في جزئين بتحقيق عز الدين التنوخي: من مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠.

(٣) ٨٤/٢. (٤) المزهر ٤٦٠/١ – ٤٧٤. (٥) الفلسفة اللغوية ٣٣-٣٩.

(٦) نشوء اللغة العربية ١٤-٢٠ (٧) تاريخ آداب العرب ١٨٦/١ (٨) من اسرار اللغة ٥٣-٧٠

(٩) الصاحبي ٢٠٣-٢٠٤ (١٠) المقاييس ٣٧/١ (١١) السابق ٦١/١

(١٢) السابق ٦٢/١ (١٣) السابق ٢٧٠/١ (١٤) السابق ٣٥٨/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال العجاج:-

((عزز منه وهو مُعطي الإسهال ضربُ السوارى مَتْنَه بالتهتال))[١] وقال في الاستعمال :((... وإذا ورد في بعض حروف الكلمة لفظان مستعملان فالوجه وصحيح القضاء أن نحكم بأنهما كليهما أصلان منفردان ليس واحد منهما أولى بالأصلية من صاحبه .فلا تزال على هذا معتقداً له حتى تقوم الدلالة على إبدال أحد الحرفين من صاحبه وهذا عيار في جميع مايرد عليك من هذا فاعرفه وقسه تُصب إن شاء الله "[٢]ومن ذلك كلمة "بل" و"بن" :((... فأما قولهم : ما قام زيد بل عمرو ، وبن عمرو ، فالنون بدل من اللام . ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لأعلى الأقل...))[٣]

أسباب الابدال:-

ذكر ابن فارس وابن جني وغيرهما من العلماء أن للإبدل أسباباً أهمها:

(أ) اختلاف القبائل، فقد ذكر ابن فارس :((اختلاف لغات العرب من وجوه... ووجه آخر: هو الاختلاف في إبدال الحروف ، نحو :أولئك وألالك. أنشد الفراء :(الطويل).

ألالك قومي لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل إلا ألالكا

ومنها قولهم : أن زيداً وعن زيداً...))[٤]

وروى ابن جني عن الأصمعي فقال :((اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما : الصقر (بالصاد) ، وقال الآخر : السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليها ، فحكيا له ماهما فيه : فقال لاأقول كما قلتما ، إنما هو الزقر ، أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها...))[٥] والرويات كثيرة في هذا الشأن[٦] وقد فصلت القول في هذا السبب كتب كثيرة قديمة وحديثة منها آمالي القالي[٧] ومميزات لغات العرب لحفنى ناصف[٨] وغيرها .

(ب) التغير الصوتي: أرجع معظم المحدثين[٩] سنة الابدال إلى التغير الصوتي، وهم فى هذا يحتذون بقول ابن فارس ، إن الابدال سنة من سنن العرب ، فقد اشترط ابن فارس

---

(١) الخصائص ٢/٨٤-٨٥. (٢) ابن جني. سر صناعة الإعراب تحق : حسن هنداوي ، ط١، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٥م،١/٢١٠

(٣) ابن جني ، الخصائص ،٢/٨٦ (٤) الصاحبي٤٨-٤٩ (٥) الخصائص ١/٣٧٥

(٦) ذكرها السيوطي فى المزهر ١/٤٦٠-٤٧٥ (٧) ط٣ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٥٤، ٢/٧٥و٧٦ و٨٧و٩٤و١١٠و ١١١و١٢٢، ١٣١و ١٥٢و ١٦٢و ١٦٧ وغيرها كثير منثورة في الجزء الثاني (٨) ١١-٤٠

(٩) منهم :ابراهيم أنيس ،من اسرار اللغة. (ص٥٣-٧٠)وصبحي الصالح ،دراسات فى فقة العربية ص٢١٣ وإميل بديع يعقوب ،فقة اللغة العربية وخصائصها ٢٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لصحة الإبدال أن يكون بين الحرفين المبدلين انسجام . ويكون هذا الانسجام إما بتساوى المخارج بين المبدلين ،أو بتساوى الصفة بينهما ولذلك رفض أن تكون (جاس) مبدلة من (حاس) وذلك لأن الجيم صوت مركب (أنفجاري) لثوي حنكى مجهور[١] أما الحاء فهي صوت احتكاكي حلقي مهموس (غير مجهور)[٢] فإن هذين الحرفين لم يتماثلا في مكان المخرج ولاصفته:((.... وذكر الخليل ولم اسمعه سماعاً أنه قال في قولة - جل ثناؤة - "فجاسوا " الاسراء/٥ إنما أرادو "فحاسوا" فقامت الجيم محل الحاء ،ومأأحسب الخليل قال هذا وما أحقهُ عنه))[٣]

وقد أنكر ابن جنى[٤] للسبب نفسه قول البغداديين وابن السراج : إن الحاء في "حثحثوا" بدل من الثاء في "احثثوا" بل قال أنهما أصلان ،فحثحث" أصل رباعي ،و"حثث" أصل من ثلاثي ،لان الحاء لاتقارب الثاء في المخرج ،فالحاء تخرج من أقصى الحلق[٥] ،والثاء تخرج من بين الأسنان[٦]، مع أن الحاء والثاء كلاهما احتكاكي[٧]

فمعظم الكلمات التي يوجد بين حروفها تماثل في المخارج أو الصفات وتكون معاني تلك الكلمات متشابهة ،يُردُ ظهورها إلى الإبدال مثل : الجدث والجدف ،والرفن والرفل .وأبن وأبل. وأما الكلمات التي لاتتشابه أحرفها في المخرج أو الصفة ،وكان لها معنى واحدٌ ، فلا تعد من قبيل الإبدال وإنما تعد من قبيل الترادف أمثال: الزحاليف والزحاليق[٨]، لأن القاف صوت لهوى مطبق أو مفخم انفجاري مهموس[٩]، أما الفاء فصوت شفوي اسناني احتكاكي مهموس (غير مجهور)[١٠] ، وأشباة هذه الكلمة كثيرة في اللغة أمثال معكود ومعكول (أي محبوس)[١١] وحسيفة وحسيكة (أي غدر وعداوة)[١٢] ولاتعد الكلمات التي يوجد بين أحرفها تشابة في المخرج أو الصوت إبدالاً ، إذ لم يكن معناها متماثلاً أو متشابهاً فقطن وقتل لايعدان من قبيل الإبدال ، مع أن حرفيهما المبدلين (التاء والطاء) متماثلين في المخرج والصفة معاً [١٣] ومثلهما "السبق" و"السبك".

---

(١) انظر:ابراهيم أنيس"الأصوات اللغوية"،ط٣، دار النهضة العربية . القاهرة ١٩٦١م ص٦٥-٦٦ وكمال بشر علم اللغة العام ١٢٦

(٢) ابراهيم انيس السابق،٧١،وكمال بشر ، السابق، ١٢١ (٣) الصاحبي، ٢٠٤ (٤) سر صناعة الأعراب ١/١٨٠-١٨٢

(٥) ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية ،٧١ وكمال بشر ، علم اللغة العام١٢١ ، (٦) كمال بشر ، السابق ١١٩

(٧) كمال بشر ، السابق، ١٢١و١١٩ (٨) ابراهيم أنيس ،من اسرار اللغة٦٧

(٩) ابراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية ٦٧-٦٩ وكمال بشر . علم اللغة العام القسم الثاني الأصوات ١٠٩.

(١٠) المرجعين السابقين ٤٧و١١٨ على التوالي (١١) و(١٢) القالي ،الأمالي ١٦٧/٢

(١٣) ابراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية التاء ٥١والطاء ٥١ وكمال بشر . علم اللغة العام (الأصوات) التاء ١٠١ والطاء ١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(جـ) التصحيف والتحريف : فقد رد بعض المحدثين[١] كثيراً من الكلمات التي وقع فيها إبدال الى التصحيف والتحريف[٢]

(د) الخطأ في السمع[٣] وأثر هذا العامل طفيف ، مثل : الخطيط في القطيط ولعل المرجح ما ذهب إليه ابن فارس من أن الإبدال سنه من سنن العرب في كلامها ، فنحن نجدُ الإبدال ظاهرة واضحة في بيئاتنا المعاصرة، مثل سؤال وسُعال. وهس وَأس، وأعطى وأنطى. وأن أهم سبب لحدوثه كما قال ابن فارس وابن جني والمحدثون هو التغيير الصوتي ، وميل الانسان العام إلى تقليل الجهد النطقي[٤]

أما ما ذهب اليه بعضهم أن من أسباب الإبدال "اختلاف اللغات " فإنني أميل الى ماذهب اليه ابن فارس من أن هذه علامة من علامات اختلاف اللغات لاصلة لسنه الإبدال به فإذا وُجدت أي كلمة تُنطق في بيئة لغوية بطريقة ما ، وتنطق تلك الكلمة نفسها بطريقة أخرى في بيئة لغوية أخرى لانقول إنها مبدلة بل نقول إنهما لغتان لابدلان[٥]

أما مقياس ابن جنى في الإبدال فالقول فيهما يماثلُ القول في مقياسيه في القلب[٦]

(٥) النحت:

النحت من العوامل الداخلية التي قيل إنها تسهم في توسع العربية . وهو يقوم على أن :((العرب تنحتُ من كلمتين كلمة واحده وهو جنس من الاختصار...))[٧] .أي إنه :((أخذُ كلمة من كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى معاً .بأن تعمد إلى كلمتين أو أكثر ،فتسقط من كل منها أو من بعضها حرفاً أو أكثر ، وتضم ما بقي من أحرف كل كلمة إلى الأخرى ،وتؤلف منها جميعاً كلمة واحدة ،فيها بعض أحرف الكلمتين أو الأكثر وما تدلان عليه من معان))[٨] :((...وهنا يحسن أن نفرق بين النحت والتركيب ، فالنحت لون من ألوان التركيب، تنتقص فيه المواد المركبة وتختزل ،على حين يجمع التركيب بنيتي الكلمتين دون انتقاص...))[٩]

---

(١) منهم ابراهيم انيس ،من أسرار اللغة ٦٩-٧٠ ، وصبحي الصالح ،دراسات في فقة اللغة ٢٣٦-٢٣٨ وفواد حنا ترزى . الاشتقاق ٣٤٥- ٣٤٦. (٢) وقد ألف أبو احمد العسكري كتابا عن هذين الموضوعين اسماه " مايقع فيه التصحيف والتحريف " تحق السيد محمد يوسف : مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق . إذ بين فيه أثر هذين العاملين السيء على اللغة .وقد نسب كل تصحيف وقع أو تحريف ذكر الى صاحبه. (٣) جورجي زيدان .الفلسفة اللغوية ٣٥وصبحي الصالح ، دراسات في فقه العربية ص٢٣٧ وأميل بديع يعقوب فقة اللغة وخصائصها، ٢٠٨ (٤) ابراهيم انيس، من اسرار اللغة،٣٢ (٥) انظر فى ذلك : ابن فارس الصاجي ٤٨-٤٩ مادة "عن" و"أن" .(٦) انظر ص ١٣٤-١٣٥الرسالة (٧) الصاجبي ٢٧١ (٨) عبداللسه امين،الاشتقاق،ط١ لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦، ص٣٩١. انظر ما جاء في تعريفه الأمير آل ناصر الدين ،دقائق العربيه ط٣ ،مكتبة لبنان بيروت .١٩٨٦م. ص٢١ ،وعلى وافي،فقه اللغة ١٤٩ .وابراهيم انيس ،من اسرار اللغة ٧١، واميل بديع يعقوب .فقه اللغة العربية ٢٠٨-٢٠٩. والرافعي تاريخ اداب العرب١/١٨٧-١٨٨ . ورمضان عبد التواب .فصول في فقه العربية ٣٠١. ونهاد الموسى، النحت.ط١، دار العلوم للطباعة والنشر .الرياض المملكة العربية السعودية،١٩٨٤م،٦٥-٦٦ ومقال لـ كيفورك ميناجيان بعنوان النحت قديما وحديثا، مجلة اللسان العربي،مجلد ٩،ج١.سنه١٩٧٢ ص١٦٢. رفائيل نخلة اليسوعي،غرائب اللغة العربية ،ط٣،دار المشرق- بيروت- لبنان ،١٩٨٤م. ٥٠ (ومقال رزوق عيسى، المنحوت العامي واللفظ الدخيل. مجلة لغة العرب مجلد ١ ج٧، ١٩١٢ ص٢٥٥ (٩) نهاد الموسى ، النحت ص٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كانت أول أشارة وصلت إلينا عن النحت ما قاله الخليل في العين ، إذ قال إن النحت موجودٌ في العربية ، وأن العرب قد تستخدم الاشتقاق فيها، وهو جنس من الاختصار: ((... أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيعلة المنادى فهذه كلمة جمعت من حي ومن على: وتقول منه حيعل" يحيعل حيعلةً، وقد أكثرت من الحيعلة أي من قولك "حي على" وهذا يشبه قولهم تبعشتم الرجلُ وتبعقس، ورجلٌ عبشمي إذا كان من عبدّ شمس أو من عبد قيس فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة، واشتقوا فعلاً قال:

وتضحك مني شيخةُ عبشمية كأن لم تر قبلي أسيراً يمانيا

نسبها إلى عبد شمس، فأخذ العين والباء من (عبد) وأخذ الشين والميم من (شمس) وأسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة فهذا من النحت...))[٢].

وتبعه في ذلك سيبويه مع أنه لم يذكر لفظة النحت بعينها، بل ذكر معناه وأنه يأتي دائماً للدلالة على اختصار كلمات كثيرة التداول والاستعمال على ألسنة العرب[٣]، وتبعهم في ذلك ابن دريد في الجمهرة[٤]، والثعالبي في فقه اللغة[٥] وأبو علي الظهير بن الخطير الفارسي العماني في كتابه "تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب"[٦] لم يصل إلينا، والألوسي في كتابه (النحت[٧]، وغيرهم كثير ذكرهم السيوطي في المزهر[٨].

ومن ينعم النظر في كلام هؤلاء يدرك أن النحت موجودٌ في العربية وأنه يساعد على وفرة ألفاظ العربية وزيادة عددها، بالإضافة إلى أن النحت يدل على التطور الفكري الذي وصلت إليه الأمة العربية، لأن في النحت اختزالاً للألفاظ دونما انتقاص لمعانيها، مع أن هؤلاء لم يقولوا صراحةً إن النحت من عوامل توسع العربية، وإن كان مضمون كلامهم يدل على ذلك كما أشير.

وقد صرح المحدثون بأن النحت من عوامل توسع العربيةعدا العلايلي – الذي اعتبر النحت من مظاهر طفولية اللغة[٩]: ومن أشهر هؤلاء: جورجي زيدان[١٠]، وابراهيم أنيس[١١]، ورمضان عبد التواب[١٢] ونهاد الموسى[١٣].

---

(١) نلاحظ أن الخليل خلط بين النحت والتركيب، فقد اعتبر كلمة (جعيلة) في البيت كلمة منحوتة مع أنها كلمة مركبة إذ لم ينتقص أي حرف من بنيتها الأساسية. (٢) الخليل بن أحمد، العين، ١/٦٠-٦١.

(٣) سيبوية الكتاب تحق عبد السلام هارون، ط٣، دار الكتب، القاهرة، ١٩٨٣م ١/٣٥٤.

(٤) ابن دريد، الجمهرة، كلمة "العجمضي" ٣/٣٢٦. (٥) ٤٢١-٤٢٢

(٦) ذكره السيوطي في المزهر ١/٤٨٢. (٧) تحق وشرح محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨.

(٨) ١/٤٨٢-٤٨٥. (٩) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٣٧. (١٠) الفلسفة اللغوية، ٤٤و٧٦-٨٠.

(١١) من أسرار اللغة ٧١-٧٩. (١٢) فصول في فقه اللغة ٣٠٥.

(١٣) في كتابه النحت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن فارس فقد عرض للنحت كغيره من العلماء، وقال كما قالوا إنه سنةٌ من سنن العرب، وأنّ الغرض منه الاختصار: ((... وهو جنسٌ من الاختصار، وذلك رجلٌ عبشمي منسوب إلى اسمين وأنشد الخليل: (وافر).

أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حيعلة المنادي

من قوله: حي على ...))[١]

لكن ابن فارس تميز عن سابقيه بوضعه نظريةً في النحت تنص على: ((هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل: قول العرب للرجل الشديد ضبطر من ضبط وضبر وفي قولهم صهصلق أنه من صهلق وصلق، وفي الصلدم أنه من الصلد والصدم، وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة))[٢] ويلاحظ أن العلماء الذين سبقوا ابن فارس لم يجعلوا للنحت قواعد عامة أو شروطاً محددة بل كان عملهم محصوراً في ذكر الألفاظ المنحوتة التي وردت عن العرب الأقحاح أو الألفاظ التي استحدثها الإسلام، ويمكن تقسيم هذه الكلمات من ناحية الوزن إلى[٣]:

أ) رباعي وهو الأكثر شيوعاً مثل: القصلب القوي الصلب، والصلدم من الصلد والصدم، بمعنى الشديد الحافر.

ب) خماسي مثل: الصهصلق من صهل وصلق وكلاهما بمعنى الشديد من الأصوات.

ج) سداسي مثل: بلهجيم من بني الهجيم.

د) سباعي مثل: بلخبيثة من بني الخبيثة.

ويمكن تقسيم تلك الألفاظ المنحوتة المسموعة عن العرب الفصحاء في عصر الاحتجاج من حيث المعنى إلى:

نحت الجملة[٤]-ومعظم هذه الجمل حدثت بعد ظهور الاسلام-مثل البسملة من بسم الله، والسبحلة من سبحان الله، والهيللة من لا إله إلا الله والحوقلة من لا حول ولا قوة إلا بالله ... وغيرها كثير والنحت الوصفي - ويكون دليل على قوة وشدة هذه الصفة، ويكون غالباً منحوتاً من أصلين ثلاثيين - مثل صهصلقٌ من صهل وصلق وفي الصلدم من الصد والصدم، وكلاهما يدل على الصوت والضبطر من ضبط وضبر[٥]، والنحت

(١) الصاحبي ٢٧١. (٢) السابق ٢٧١. (٣) مقال: كيفورك ميناجيان، النحت قديما وحديثا، اللسان العربي ص١٦٩-١٧٢.
(٤) ذكره سيبوبة في الكتاب ٣٥٤/١، والسيوطي في المزهر ٤٨٢/١-٤٨٥ والألوسي في النحت ٤٦-٤٨، ونهاد الموسى، النحت، ١٤٤-١٤٦ وعودة خليل عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ط١، مكتبة المنار، الأردن - الزرقاء، ١٩٨٥م، ٦٤-٦٥. (٥) الصاحبي ٢٧١.

All Rights Reserved- Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النسبي أو الإسمي، وقد غلب نحت هذه الاسماء من أعلام القبائل أمثال: تيملي من تيم الله؛ وعبشمي من عبد شمس. وعبدري من عبد الدار، وأعلام قبائل مصدرة بلفظ بنو مثل: بلحارث من بني الحارث، وبلهجيم من بني الهجيم، وبلعجلان من بني العجلان. وبلعنبر من بني العنبر[١]، والنحت الحرفي، ويكون منحوتاً من حرفين أو أكثر، مثال ذلك: لن ولكن وهلم فقد قال الخليل "إن" (لن) منحوتة من لا وأن[٢]، "ولكن" منحوتة من لا النافية، وكاف الخطاب، وإن الخفيفة أو الثقيلة[٣] و"هلم" منحوتة من هل وأم[٤]، والقول إن هذه الكلمات منحوتة من أصلين قولٌ ظنيٌ وليس قطعياً.

أما ابن فارس، فيعد أول من قنن النحت وجعل له قواعد عامة وطرقاً واضحةً، وجعله قياسياً ولم يقصره على السماع، إذ وضع نظريةً للنحت في الصاحبي كما أشير، وطبقها عملياً في "المقاييس" ولا سيما في أبوابه المسماة "ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف" وقد وصل عدد الألفاظ المنحوتة في كتابه ما يقارب ٣٠٠ كلمة منحوتة ومثال ذلك "البحتر": ((... وهو القصير المجتمع الخلق، منحوتٌ من كلمتين من الباء والتاء والراء، وهو من بترته فبُتر، كأنه حرم الطول فبتر خلقه والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء هو من حترت، واحترتُ، وذلك ألا تفضل على أحد، يقال: أحتَرَ على نفسه وعياله، أي ضيق عليهم فقد صار هذا المعنى في القصير لأنه لم يعط ما أعطيه الطويل))[٥] والجمهور: ((... ومن ذلك قولهم للرحلة المشرفة على ما حولها جمهور، وهذا من كلمتين من جمر، وقد قلنا إن ذلك يدل على الاجتماع ... والكلمة الأخرى جهر وقد قلنا إن ذلك من العلو، فالجمهور شيءٌ مجتمعٌ عالٍ))[٦]، ومثلهما جردب[٧] وجمعرة[٨] والجحفل[٩]

فالناظر في "مقاييس" ابن فارس يلحظ أنه كان مدركاً أن النحت لا يشمل جميع الألفاظ الرباعية والخماسية بل نوه إلى أن أكثرها منحوت وأن الألفاظ الرباعية والخماسية التي لا يمكن ردها إلى النحت ردها ابن فارس إلى ضربين آخرين:

١) ضرب الوضع، وهو الكلمات التي وضعت وضعاً، وخفي قياسها علينا: ((... أما الذي هو عندنا موضوعٌ وضعاً فقد يجوز أن يكون له قياسٌ خفي علينا موضعه، والله

---

(١) انظر عبد الله أمين، الاشتقاق ٣٩٤-٣٩٥. عودة خليل عودة، التطور الدلالي ٦٤-٦٥ ونهاد الموسى، النحت ١٣٥-١٣٨.

(٢) الصاحبي ١٦٥. (٣) السابق ١٧٠. (٤) السابق ١٧٥. (٥) المقاييس ٣٧٩/١.

(٦) السابق ٥٠٦/١. (٧) السابق ٥٠٦/١. (٨) السابق ٥٠٧/١ (٩) السابق ٥٠٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعلم بذلك فمن ذلك: (الحندِيرة والحندورة) الحدقة، والحنديرة أجود كذا قال أبو عبيد والحرقفة عظم الجبهة، وهو رأس الورك...))[١].

وقال أيضاً في "الرباعي الذي وضع وضعاً": ((البهصلة المرأة القصيرة... والبخنق: البرقع القصير...البلعت: السيء الخُلُق والبهكثة، السرعة...البرزل: الضخم ...))[٢]

٢) ما كان أصله كلمة واحدة، وأدخلت عليها زيادة، وتكون هذه الزيادة تصديراً أو حشواً أو كسعاً: ((... ومنه ما أصله كلمة واحدة، وقد ألحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله...))[٣] و: ((... هذه الزيادة تقع أولاً وغير أول))[٤]، ومثال ذلك قوله: بلذم: ((... إذا فرق فسكت، والباء زائدة، وإنما هي من لذم إذا لزم بمكانه فرقاً لا يتحرك))[٥]، والبرغثة: ((... فالراء فيه زائدة، وإنما الأصل الباء والغين والثاء ... فالبرغثة لون شبيه بالطحلة، ومنه البرغوث))[٦]. ومن ذلك "بلسم" كذلك: ((بلسم الرجل كره وجهه، فالميم فيه زائدة، وإنما من المُبْلِس وهو الكئيب الحزين المتندم، قال: وفي الوجوه صفرة وإبلاس))[٧]وغيرها كثير. ولهذا فإنني لا أجد سبباً مقنعاً لاتهام ابن فارس بالمبالغة والغلو، وأن نظريته تقتضي أن جميع الألفاظ التي زيدت على الثلاثي منحوتة.

ومما يؤسف عليه أننا لا نجد أثراً واضحاً لنظرية ابن فارس في النحت في كتابات المحدثين وقرارات مجامع اللغة العربية مع أنه فتح باب استغلال النحت في كتابه "المقاييس"، إلا أن النحت ما زال يحبو على صفحات مؤلفاتنا، وقرارات مجامعنا فالألفاظ المنحوتة في عصرنا قليلةٌ جداً، أمثال: درعمي نسبة إلى دار العلوم[٨]، وأنفمي، للصوت الذي يتخذ مجراه من الأنف، والفم معاً[٩]"ولبأرز" من لبنان وأرز[١٠]، وهرول من هرب وولى[١١].

ولو تفحصنا تلك الكلمات المنحوتة فإننا نجدُ أن معظمها يمكن رده إلى التركيب المزجي، وليس للنحت مثل: برمائي من البر والماء، ومناهية من "ما هو" ولا أدرية" من لا أدري[١٢]، وتحتربة من تحت وتربة[١٣] وأن أوزان هذه الألفاظ يشابه أوزان الكلمات

---

(١) المقاييس ١٤٦/٢. (٢) السابق ٣٥٥/١-٣٥٦ وانظر ٥٠٥/١. (٣) السابق ٥٠٥/١ (٤) السابق ٣٣٢/١
(٥) السابق ٣٣٣/١. (٦) السابق ٣٣٢/١. (٧) السابق ٣٣٤/١. (٨) ابراهيم أنيس، من اسرار اللغة ٧٦.
(٩) السابق ٧٦. (١٠) و(١١) مقال كيفورك ميناجيان، النحت قديماً وحديثاً، مجلة اللسان العربي ص ١٦٧ و١٦٦ على التوالي.
(١٢) رفائيل اليسوعي، غرائب اللغة العربية، ص٥٠. (١٣) مقال كيفورك ميناجيان السابق ١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنحوتة السماعية وإن أضافوا وزناً ثمانياً مثل: شارسبية من شاردة وسلبية ووزن فعليات مثل: شبلريات من شبيه + بلوريات. ووزن لا متفاعل مثل: لا متشاجه من لا + متشابهة + جهة[١]

ولو بحثنا عن مدى تطبيق شرطي النحت على تلك الكلمات – وهما أن تماثل الكلمات المنحوتة الوزن العربي، وأن تكون حروف تلك الكلمات المنحوتة منسجمة مع بعضها في السماع[٢]– فإننا نجدُ أن معظمها تفتقد إلى أحد الشرطين، ولا سيما الشرط الثاني.

ومع أن المحدثين لم يتأثروا بنظرية ابن فارس تاثراً كبيراً، إلا أنهم توسعوا في النحت توسعاً لا ينسجم مع حقائق اللغة العربية إذ ذهبوا إلى القول بأن جميع الألفاظ المزيدة عن الثنائي منحوتة، وكان رائدهم في ذلك جورجي زيدان في كتابه الفلسفة اللغوية[٣] ومثل على ذلك بـ "قطف" فقال: ((... قطف يفيد القطع والجمع، والأصل فيه على ما أرى "قط ولف" الأولى قطع والثانية جمع وبالاستعمال أهملت اللام ونقلت حركتها إلى ما قبلها فصارت قطف))[٤]

وتبعه في ذلك، رمضان عبد التواب في كتابه "فصول في فقه اللغة"[٥] وأنا أعد هذه المقولة من الترف الفكري، لأنها تؤدي إلى متاهات لغوية، بالإضافة إلى أنها لا تخدم نمو اللغة العربية، وإنما أراد أصحابها أن يثبتوا أن اللغة نشأت تقليداً للأصوات الطبيعية وأقفُ الموقف نفسه من "الألوسي" – الذي اعتبر أن حكاية أصوات الناس في أقوالهم وأحوالهم مثل القهقهة – حكاية صوت قه قه – والنحنحة – حكاية قول الرجل نح نح عند الاستئذان – والهرهرة – حكاية زجر الغنم – والبسبسة – حكاية زجر الهرة – والولولة – حكاية قول المرأة وأويلاه –[٦] وغيرها – صورةٌ من صور النحت وقد قال ابن جني عن حكاية أصوات الناس: ((... إنما يرجعُ في اشتقاقه إلى الأصوات...))[٧]، ولم يشره إلى كونها منحوتة، ولم يشر كذلك إلى أن بسملت وهيللت وحولقت منحوتة، مع أن العلماء جميعهم مجمعون على أنها جملٌ منحوتةٌ[٨].

وقد نقد عبد الله أمين أهم أساسٍ ارتكز عليه ابن فارس في نظريته وهو إنه يكفي لصحة نظريته في النحت أن معنى الكلمة المنحوتة يماثلُ معنى الأصلين أو الكلمتين التي نحتت منهما، ومثل على ذلك بكلمة "جذمور": ((... فمن المنحوت قولهم للباقي من أصل السعفة

---

(١) صبحي الصالح، دراسات في فقه العربية ٢٧٤. (٢) ٧٢-٨٠. (٣) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية ٧٦. (٤) ٣٠٥.
(٥) النحت ٤٢-٤٥ (٦) ابن جني، الخصائص ١٦٧/٢. (٧) السابق ١٦٧/٢. (٨) مادة جذم المقاييس ٤٣٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا قطعت "جذمور" وذلك في كلمتين: إحداهما الجذم وهو الأصل، والأخرى الجذر[١] وهو الأصل، وقد مر تفسيرهما، وهذه الكلمة من أدل الدليل على صحة مذهبنا في هذا الباب"[٢]، إلا أن عبد الله أمين اعتبر أن أهم أساسٍ لصحة النحت أن يكون معنى الكلمة المنحوتة مغايراً لمعنى الكلمتين أو الأصلين اللذين نحتت منهما: ((... أما إذا كانت الكلمة المنحوتة بمعنى كل من الكلمتين المنحوت منهما، بأن كانت الكلمات الثلاثة مترادفة أي بمعنى واحد، فلا أرى ذلك نحتا))"[٣] وهو أمر يتوقف الباحث في قبوله لأننا في النحت نحاولُ اختصار كلمات كثيرة الاستخدام أو المتداولة على ألسنتنا، فإذا جعلنا النحت قياسياً فلا يعني ذلك أن نغير الأساس الذي وجد من أجله النحت (الاختصار) لذلك أرى أن اختصار كلمتين لهما نفس المعنى بكلمةٍ أخرى تماثلهما في المعنى هو القول الذي يلائم حقيقة اللغة وقوامها ويلائم طبيعة الإنسان التي تميل إلى الاختصار وتقليل الجهد النطقي.

أما إذا أردنا أن نجعل معنى الكلمة المنحوتة مغايراً لمعنى الكلمتين اللتين نحتت منهما تلك الكلمة، فيمكن تسمية هذا الموضوع باسم آخر غير النحت، لأنه في هذا الشكل لا يهدف إلى الاختصار وإنما يهدف إلى إطالة البحث عن معنى الكلمتين الأصليتين اللتين نحتت منهما الكلمة الثالثة التي تغايرهما في المعنى.

٦) المعـــرب:

اتفق العلماءُ على أن المعرب هو ما استخدمه العرب الفصحاء الذين يحتج بكلامهم من الكلام الأعجمي لمعانٍ غير موجودةٍ في لغتهم[٤] والاقتراض اللغوي سمة ملازمة للغات الحية التي تقرض وتقترض وتعطي وتأخذ دون أن يؤدي هذا الاقتراض أو الأخذ إلى النيل من مقوماتها وقواعدها وقوانين نسجها الأساسية، والعربية كغيرها من اللغات الإنسانية أقرضت اللغات، وصدرت إليها ألفاظاً ما زالت موجودةً في صفحات مؤلفات تلك الشعوب وكلامهم، بالإضافة إلى ان العربية أخذت من اللغات الإنسانية المختلفة ألفاظاً أوردتها كتبنا الأمات.

وقد بالغ بعض القدامى في أثر المعرب في اللغة العربية وجعلوه من أهم العوامل التي ساعدت على توسعها، وإن كانوا يصدرون كتبهم بعبارات لا تحتوي على هذا

---

(١) مادة جذر، المقاييس ٤٣٦/١. (٢) المقاييس ٥٠٥/١-٥٠٦. (٣) عبد الله أمين، الاشتقاق ٤٠٥.

(١) انظر تعريفه عند: الجواليقي، المعرب، ٣. السيوطي، المزهر، ٢٦٨/١ والشهاب الخفاجي، شفاء الغليل ٧٣، والزبيدي، تاج العروس، ٢٧/١ على وافي، فقه اللغة ١٧٤-١٧٥. ومقال المعرب والأعجمي قرارات مجمع اللغة العربية الملكي القاهرة مجلد١ ج١ سنة ١٩٣٤م، ١٩٩-٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المضمون، وأشهر هؤلاء: ابن دريد في الجمهرة ولا سيما باب ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي[١] والثعالبي في فقه اللغة[٢]، والجواليقي في المعرب والخفاجي في شفاء الغليل، والسيوطي في كتبه المختلفة وأشهرها المهذب وأيدهم في ذلك عددٌ من المحدثين مثل جورجي زيدان في كتابه: اللغة العربية كائن حي"[٣]، والبطريرك مارا اغناطيوس أفرام الأول في مقاله: "الألفاظ السريانية في المعاجم العربية"[٤]

وطوبيا العنسي في كتابه تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه و"عرفان أبو حمد في كتابه "ألفاظك اجنبية في اللغة العربية" وقد أنصف بعضهم اللغة العربية وقال إنها اقترضت من اللغات الأخرى كلمات محدودة لم تصل إلى القدر الذي قال به الفريق الأول أمثال ثعلب في كتابه "الفصيح"[٥] وابن قتيبة في "أدب الكاتب"[٦] وابن جني في "الخصائص"[٧].

وتبعهم من المحدثين: عبد الحق فاضل في مقاله "دخيل أم أثيل"[٨] وكتابه "مغامرات لغوية"[٩]، وابراهيم السامرائي في مقال: "التعريب بين ماضيه وحاضره"[١٠] و"مقالة الدخيل في العربية"[١١]، وسليمان أبو غوش في كتابه "عشرة آلاف كلمة انجليزية من أصل عربي".

أما ابن فارس فقد تناول المعرب وتحدث عنه بشيء من الاختصار وقد كان من أنصار الفريق الثاني الذي لم يقل إن للمعرب أثراً كبيراً في توسع العربية، وإن كانت العربية قد اقترضت من اللغات الأخرى كلماتٍ محدودةٍ، وأحدثت فيها تغيرات صرفية. وصوتية تناسب وزن ألفاظها وتتماشى مع نطق أبنائها، وقد كان ابن فارس ينكر على من يبالغ في ذلك الأثر، ويقول إن معظم الكلمات التي يردها بعض اللغويين لعامل المعرب إنما ترجع في حقيقتها إلى اختلاف اللغات، ويظهر رأيه هذا جلياً عندما أنكر قول ابن دريد بأعجمية بعض الكلمات العربية التي تنطقها القبائل بطريقة تغاير نطق قبيلة قريش وفي ذلك يقول :((...حدثني علي بن أحمد الصباحي قال: سمعت ابن دريد يقول: حروف لا تتكلم بها العرب الا ضرورة، فاذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب

---

(١) ٣/٤٩٩-٥٠٢. (٢) ٣١٤-٣١٩. (٣) ٣٣-٤٧ و١٠٧-١١٦.

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٢٣ ج١٢ ١٩٤٨ ص ١٦١

(٥) تحق: عاطف مدكور، دار المعارف - القاهرة - مصر (٦) ٣٨٣. (٧) ١/٣٦٨-٣٧٠.

(٨) أعداد مختلفة من مجلة اللسان العربي، من سنة ١٩٧٠م وما بعدها (٩) ص ٩ - وما بعدها

(١٠) مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٢٩. ج١، ١٩٧٨، ٩٤-١٠٥.

(١١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٤٠ ج٣ سنة ١٩٦٥م، ص ٦٠٨-٦١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحروف من مخارجها، فمن تلك الحروف الحرف بين الباء والفاء، مثل: بور" اذا اضطروا قالوا "فور" ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم، وهي لغة سائرة في اليمن مثل: جَمَل اذا اضطروا قالوا كمل، قال: والحرف الذي بين الشين والجيم والياء في المذكر غلامج، وفي المؤنث غلامش، فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهاة حتى تغلظ جدا، فيقول القيوم فتكون بين الكاف والقاف، وهذه لغة فيهم، قال الشاعر: (بسيط)

ولا أكول لكذر الكوم كد نضجت ولا أكول لباب الدار مكفول

وكذلك الياء التي تجعل جيما في النسب، يقولون غلامج أي غلامي، وكذلك الياء المشددة تحول جيما في النسب، يقولون بصرج، وكوفج، قال الراجز:(رجز)

خالي عويف وأبو علج المطمعان اللحم بالعشج

وبالغداة فلق البرنج

وكذلك ما أشبهه من الحروف المرغوب عنها بالكاف التي تحول شيئاً قلنا: أما الذي ذكره ابن دريد في (بورو فور) فصحيح، وذلك أن "بور" ليس من كلام العرب، فلذلك يحتاج العربي عند تعريبه إياه أن يصيره فاء، وأما سائر ما ذكره فليس من باب الضرورة في شيء، وأي ضرورة بالقائل الى أن يقلب الكاف شينا، وهي ليست في سجع ولا فاصلة؟ ولكن هذه لغات للقوم على ما ذكرناه في باب اختلاف اللغات"(١) فدقة ابن فارس على ما قاله ابن دريد ظاهرةٌ، وبطلان ما قاله ابن دريد من أن تلك الألفاظ معربة قولٌ بطلانه ظاهر.

والمفردات هي وسيلة الاقتراض بين اللغات، فقلما تقترض لغة من لغة أخرى قواعد شعرها أو نثرها أو نمط خطبها ورسائلها(٢). وقد كان العرب يحدثون تغيرات مختلفة في الكلمة الأعجمية إما بزيادة في أحرفها، أو حركتها، وإما بنقصان حرف أو حركة، وإما بكليهما معاً، وإما بإبدال حروف تلك الكلمات بأخرى تلائم النطق والوزن العربي(٣)

ويبقى المعرب عاملاً من عوامل توسع اللغة العربية، وهذا لا يعني أن نتغافل عن الحقيقة التي تفرضُ نفسها علينا أن المعرب، ولا سيما تعريف المصطلحات أصبح مشكلة

---

(١) الصاحبي، ٥٤-٥٥، باب اللغات المذمومة. (٢) عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة ٢٠٠.

(١) انظر ابن السراج، الأصول في النحو، تحق: عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ١٩٨٧م. ٢٢٣/٣. والجواليقي المعرب ص٦، والسيوطي في المزهر ٢٧٤/١ والشهاب الخفاجي، شفاء الغليل ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تواجه القائمين على العربية فقد صار الدخيل يفتح الأبواب، ويدخل الديار دونما استئذان أو ضبط ولذلك فإن على مجامعنا اللغوية تدارك هذا الخطر وتحاشيه.

وخلاص القول فيما تقدم أن ابن فارس لم يعد معظم العوامل التي قيل إنها تسهم في توسع العربية عوامل توسع عدا الإسلام الذي قال إن له دوراً في توسع العربية وتنميتها، وما عداه من العوامل فيمكن أن نصنفها عند ابن فارس قضايا لغوية في العربية لا عوامل توسع، وذلك لأن ابن فارس وضع معظمها تحت عنوان من سنن العرب في كلامها.

وأنكر ابن فارس دور بعض هذه العوامل في التوسع، ومن ذلك القياس والاشتقاق، ونحن نعلم أن السبب الأساسي الذي جعل ابن فارس ينكر دور تلك العوامل أو يجعل معظمها سنة من سنن كلام العرب هو موقفه التوقيفي كما أشير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

موقف ابن فارس من عوامل التوسع الدلالي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

موقف ابن فارس من عوامل التوسع الدلالي

(المشترك اللغوي، المجاز، الاتباع)

هذا الفصل تابع لسابقه، وذلك لأن لعوامل التوسع الدلالي دورا كبيرا في اثراء العربية وتوسعها، ولأنني سأبين كذلك كما بينت في الفصل السابق موقف ابن فارس من هذه العوامل وهل كان من القائلين بأثر عوامل التوسع الدلالي في العربية، أم كان من منكري دورها في ذلك .

إن أهم عوامل التوسع الدلالي

١) المشترك اللغوي ويقسم إلى أ) الترادف ب) المشترك اللفظي .ج) الأضداد.

٢) المجاز.

٣) الاتباع.

والسبب الذي دعاني لإفراد هذه العوامل في باب واحد هو أن بنية كلمات هذه العوامل ثابتة لا تتغير، فلا يحدث على أحرف هذه الكلمات زيادة كالاشتقاق ولا نقصانا كالنحت، ولا تتغير مواضع أحرفها كالقلب، ولا تستبدل أحرفها بأخرى من كلمات أخرى كالابدال، وانما التغير الذي يحدث عليها تغيير خارج عن بنيتها، وهذا التغيير أو التحول يحدث على معنى تلك الألفاظ ودلالتها، فالمراد هنا تبين أثر التغير المعنوي والدلالي للكلمات في توسع اللغة.

للعوامل الخارجية -الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية- دور كبير في تغيير معاني الكلم ودلالتها، فتأثيرها في عوامل التوسع الدلالي يماثل تأثيرها في عوامل توسع اللغات التي بينتها في الفصل السابق.

المشترك اللغوي:

قسم ابن فارس، كسابقيه، أجناس الكلام إلى أربعة:(١)

١) ما اختلف لفظه واختلف معناه، وذلك أكثر الكلام، مثل: رجل وامرأة وفرس وأرض وسماء واليوم والليلة ...

---

(١) ذكرها سيبويه في الكتاب ٢٤/١ وقطرب في اضداده، مجلة اسلاميكا تحق: هانس كوفلر مجلد ٥ سنة ١٩٣١ ص ٢٤٣-٢٤٤ والمبرد في ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، تحق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ص ٢-٤٠٥ وابن الأنباري، الأضداد، تحق محمد أبو الفضل ابراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت ١٩٦٠، ص١-٢ و٦، وابن فارس في الصاحبي ٩٦-٩٧ و٢٠١. وابن سيدة، المخصص ٢٥٨/١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢) ما اختلف لفظه واتفق معناه (الترادف) مثل: لا ريب فيه، ولا شك فيه، والنأي والبعد، وذئب وسيْد، وعير وحمار.

٣) ما اتفق لفظه واختلف معناه (المشترك اللفظي)، العين: الباصرة والعين: الجاسوس، والعين: عين الماء وعين الميزان...الخ.

٤) ومنه اتفاق اللفظ وتضاد المعنى (الأضداد) مثل الجون: للأبيض والأسود، والقُرء للطهر والحيض...الخ.

فالجنس الأول هو أساس اللغة أو الكلام المعتمد في اللغة، ولذلك قيل عنه إنه أكثر اللغة، وهذا النوع بيّنٌ لا يحتاج إلى تفسير أو توضيح أما الأنواع الثلاثة الباقية فقد اصطلح عن تسميتها حديثاً المشترك اللغوي.

أ) الترادف

الترادف من العوامل الداخلية التي لها أثرٌ في التوسع الدلالي، وقد أجمع العلماء على أنه: الألفاظ المفردة التي تدل على معنىً واحدٍ، أو دلالة واحدة أو هو ما اختلف لفظه واتفق معناه[١] مثل: ذئب وسيد، وسَمسَم وثعلب وأتى وجاء، وجلس وقعد[٢] ووصلته ورفدته وحبوته وأجديته وأعطيته[٣] ونَضَدَ متاعه ورثده[٤]

وقد عرض ابن فارس الترادف في غير موضع من كتابه، واختلف رأيه في وقوع الترادف في اللغة من موضع لآخر، إذ اعتبر الترادف – في باب "لغة العرب أفضل اللغات الإنسانية وأوسعها"[٥] إذ إن اللغات الأخرى لا تستطيع أن تسمى الشيء الواحد بأزيد من اسم واحد، لكن اللغة العربية تملك القدرة على ذلك فقد يصل اسم الشيء الواحد في لغة العرب إلى خمسمائة اسم أو أزيد، ويستدل لاثبات رأيه بروايات وردت عن الأصمعي وابن خالوية يقول فيها بوقوع الترادف في العربية: ((... وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأنا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة،

---

(١) عرفه الرماني، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى. تحق: فتح الله صالح المصري، ط٢، دار الوفاق للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٨م، مقدمة المحقق ٩-١٠. وابن مالك الطائي الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، تحق: محمد حسن عواد، ط١، دار الجيل – بيروت، ودار عمار – عمان ١٩٩١، مقدمة المحقق ٨٧. الفخر الرازي، المحصول ٢٥٣/١، السيوطي، المزهر ٤٠٢/١، وإميل بديع يعقوب، فقه اللغة وخصائصها ١٧٣-١٧٤. ومحمد السيد علي بلاسي، مقال: الترادف والمشترك اللفظي والتضاد. وأثر كل في نمو العربية، مجلة اللسان العربي. عدد ٣٣ سنة ١٩٨٩م ص ١٠٥، وحلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٩٣م ص ١٦٧. (٢) قطرب، الاضداد،٢٤٣.

(٣) ابن مالك، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، ١٠٩ باب الهبات. (٤) الأصمعي ،ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ،تحقيق :ماجد حسن الذهبي ط١،دار الفكر،دمشق، ١٩٨٦م،ص٦٥ (٥) الصاحبي ٤٠-٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك الأسد والفرس وغيرهما، من الأشياء المسماة بالاسماء المترادفة، فأين هذا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب، هذا ما لاخفاء به على ذي نُهية))(١)، ((...ومما لا يمكن نقله البتة أوصاف السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الاسماء المترادفة ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسماً غير واحد، أما نحن، فنخرج له خمسين ومائة اسم، وحدثني أحمد بن محمد بن بندار قال: سمعت أبا عبد الله بن خالوية الهمذاني يقول: جمعت للأسد خمسمائة اسم وللحية مائتين، وأخبرني على بن أحمد بن الصباح قال: حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه أن الرشيد سأله عن شعر لأبي حزام العكلي ففسره فقال: "يا أصمعي إن الغريب عندك لغير غريب": قال: "يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً" وهذا كما قاله الأصمعي. ولكافي الكفاءة(٢)- أدام الله أيامه، وأبقى للمسلمين فضله - في ذلك كتاب مجرد))(٣) فالترادف في رأي ابن فارس هنا من أهم أسباب سعة العربية، وأفضليتها وبهذا القول قال قطرب (ت ٢٠٦هـ): ((... والوجه الثاني اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحدٌ، وذلك مثل عير وحمار، وذهب وسيد، وسمم وثعلب وأتى وجاء، وجلس وقعد. اللفظان مختلفان والمعنى واحد، وكأنهم أرادوا باختلاف اللفظين وإن كان واحدٌ مجريا أن يوسعوا في كلامهم وألفاظهم كما زاحفوا في أشعارهم ليتوسعوا في أبنيتها، ولا يلزموا أمرا واحدا...))(٤).

وبهذا قال أبو علي الفارسي :((...واختلاف اللفظين والمعاني بعد واحدة للحاجة الى التوسع بالألفاظ، وبين أن هذا القسم لو لم يوجد من الاتساع ما يوجد بوجوده ألا ترى أنه اذا سجع في خطبة أو قفي في شعر، فركب السين قال فجاء به ما يشاكله ولو لم يقل في هذا المعنى الا بعد أن ضاق المذهب فيه، ومن هنا جاءت الزيادات فيه لغير المعاني في كلامهم نحو حباب وعجوز، وقضيب فيما حكي لنا عن محمد بن يزيد، وأيضا فاذا أراد التأكيد قال قعد وجلس فتكون المخالفة بين الألفاظ أسهل، من إعادتها أنفسها وتكريرها، ألا ترى أن في التنزيل ﴿**وغرابيب سود**﴾ والغرابيب هي السود عند أهل اللغة، فحسن التكرير لاختلاف اللفظين، ولو كان غرابيب السود عند أهل اللغة، فحسن التكرير لاختلاف اللفظين، ولو كان غرابيب لم يكن سهلا))(٥) وهذا رأي جمهور

---

(١) الصاحبي ٤٠-٤١

(٢) والمقصود هنا الصاحب بن عباد المتوفي ٣٨٥هـ. (٣) ابن فارس، الصاحبي، ٤٣-٤٤.

(٤) قطرب، الأضداد ص٢٤٣. (٥) ابن سيدة، المخصص ١٣/٢٥٨-٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغويين ، وبعض الفقهاء الذين أيدوا وقوع الترادف في اللغات أمثال: سيبويه(١) والشافعي(٢) وقطرب(٣). والأصمعي(٤) في كتابه الألفاظ ، وأبو زيد الأنصاري(٥)، وابن مالك في كتابه " الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة"، والرماني في كتابه"الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى"وابن خالويه(٦) والآمدي في الاحكام(٧)، والفخر الرازي في المحصول(٨) والسيوطي في المزهر(٩)، والفيروز أبادي في كتابيه "الروضّ المسلوف فيما له أسمان الى ألوف" و "ترقيق الأسل لتصفيق العسل"(١٠)، واليازجي في كتابه "نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد"(١١).

وقد قالوا إن الترادف ظاهرة جلية في اللغة العربية، فقد وقع في القرآن الكريم في كلمات كثيرة منها (أقسم وحلف) ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم**﴾(الأنعام/١٠٩) وقوله:﴿**ويحلفون بالله ما قالوا...**﴾(التوبة/٧٤) (وبعث وأرسل) ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾(الاسراء/١٥) وقوله ﴿**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**﴾(الأنبياء/١٠٧) ولولا وقوع الترادف لما استطعنا تفسير القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر الجاهلي فبفضله أمكن تفسير القرآن الكريم، وشرح الحديث الشريف، وحل اشعار العرب، وكشف الغطاء عن مأثور الفصحاء، وضبط مواد اللغة بوجه تام(١٢) للعرب والعجم عن اختلاف منازلهم ومساكنهم، مثال ذلك :((ذكر المفسرون في قوله تعالى﴿ **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**﴾(الأعراف/٨٩) ان الفاتح في لغة اليمن القاضي))(١٣)، وأمثلة الأحاديث النبوية في هذا الباب كثيرة(١٤)، فمثلا :((كان عليه الصلاة والسلام يخاطب كل قوم بلغتهم، فكتب في صدر كتاب لوائل بن حجر أحد ملوك حمير (الى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب)القيل في لغة اليمن الذي يقول ما شاء فينفد، أو هو دون الملك الأعلى، فيكون كالوزير في الاسلام، كما في فقه اللغة، ومثله "بهمن" عند الفرس، والعباهلة هم الذين استقر ملكهم، والأرواع السادات، والمشابيب الأذكياء))(١٥).

---

(١) الكتاب ٢٤/١. (٢) الرسالة ٥٢. (٣) الأضداد ٢٤٣. (٤) ذكره ابن سيدة في المخصص ٢٥٩/١٣-٢٦٠.

(٥) :((...قال أبو زيد: قلت لأعرابي ما المحبنطئ قال: المتكأكئ قلت ما المتكأكئ قال: المتأزف، قلت ما المتأزف قال: أنت أحمق، ومعنى الجميع القصير المتداني)) السيوطي، المزهر ٤١٣/١.

(٦) ذكره ابن فارس، الصاحبي ٤٣-٤٤، والسيوطي في المزهر ٤٠٧/١. (٧) ٢٣/١-٢٥. (٨) ٢٥٣/١-٢٦٠.

(٩) ٤٠٢/١-٤١٣. (١٠) ذكرهما السيوطي في المزهر ٤٠٧/١وحفني ناصف، مميزات لغات العرب ٤٤.

(١١) ط٣،مكتبة لبنان. لبنان (١٢) انظر حفني ناصف، مميزات لغات العرب،٤٣. (١٣) السابق ٤٦.

(١٤) السابق ٤٦-٤٨. (١٥) السابق ٤٦ وهي مقدمة رسالة يطول ذكرها في هذا المقام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبوساطته تمكن الأذكياء من ستر عيوبهم النطقية، فقد قيل إن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة كان يلثغ بحرف الراء، ولذلك كان يبتعد عن الكلمات الموجود فيها ذلك الحرف، ويستبدلها بمرادفاتها من الكلمات التي تخلوا من هذا الحرف في حديثه :((...واتفق أن بعض الناس أراد تعجيزه فدفع اليه ورقة ليقرأها مكتوبا فيها (أمر أمير الأمراء أن تحفر بئر في الصحراء ليشرب منها الشارد والوارد) فقرأ في الحال (حكم حاكم الحكام أن تبحث عين في البادية ليستقي منها الحادي والبادي). فعُلم أن يمه لا يعبر وغوره لا يسبر))[١]. وللترادف فوائد أخرى ذكرها: الفخر الرازي في المحصول[٢]، والسيوطي في المزهر[٣]وحفنى ناصف مميزات لغات العرب[٤]وعلى الجارم في مقال الترادف[٥].

ثم نجد ابن فارس في باب "اختلاف لغات العرب"يرد ظاهرة الترادف ووقوعها في العربية الى اختلاف لغات القبائل، وبذلك يقول:((...فحدثنا علي بن ابراهيم القطان عن المفسر عن القتيبي عن ابراهيم بن مسلم عن الزبيري عن ظمياء بنت عبد العزيز بن مؤالة قالت: حدثني أبي عن جدي موألة أن عامر بن الطفيل قدم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فوثبه وسادة يريد فرشه إياها وأجلسه عليها، والوثاب الفراش بلغة حمير قال: وهم يسمون الملك اذا كان لا يغزو موثبان يريد أنه يطيل الجلوس ولا يغزو...))[٦]

أما أهم أسباب ظهور الترادف كما نص عليه العلماء هي:

١) اختلاف اللغات العربية، فقد نص ابن فارس عليه كما اشير وقد اعتبره العلماء أهم سبب أدى الى ظهور الترادف في البيئة العربية القديمة، وبذلك قال الآمدي:((...أو أن تضع احدى القبيلتين أحد الاسمين على مسمى، وتضع الأخرى له اسما آخر من غير شعور كل قبيلة بوضع الاخرى، ثم يشيع الوضعان بعد ذلك. أن وكيف وذلك جائز بل واقع بالنظر الى لغتين ضرورة، فكان جائزا بالنظر إلى قبيلتين))[٧]. وقال مثل قوله: أبو هلال العسكري الذي أنكر وجود الترادف في لغة القبيلة الواحدة :((...إلا إنا نذهب الى قولنا اللب وإن كان هو العقل فانه يفيد خلاف ما يفيد قولنا العقل، ومثل ذلك القول وإن كان هو الكلام، والكلام هو القول فإن كل واحد منها يفيد بخلاف ما يفيد الآخر...فاذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين، ولم يتبين لك الفرق بين معنييهما باعلم أنها

---

(١) حفني ناصف،مميزات لغات العرب ص (٤٣) (٢) ١/٢٥٥. (٣) ١/٤٠٦. (٤) ٤٣-٤٨.

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي مجلدا الجزء ١، ١٩٣٤،٣١١-٣١٣. (٦) الصاحبي ٥١. (٧) الآمدي، الاحكام، ١/٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من لغتين مثل القدر بالبصرية، والبرمة بالمكية...))[١] والفخر الرازي في المحصول وحفني ناصف في مميزات لغات العرب[٢]، وابراهيم أنيس "في اللهجات العربية"[٣] ...وصبحي الصالح في دراسات في فقه اللغة[٤]...ومثال ذلك: الحنطة الحجازية، فهي في لغة أهل مصر قمحا، وفي لغة العراق برا[٥]، والسكين الحجازية فهي في لغة اليمن مدية[٦]، وزوج المرأة نفاح عند أهل اليمن[٧]، والسيف شلحاء عند أهل الشحر[٨].

وقد جوز بعضهم أن يقع الترادف من واضع واحد في البيئة الواحدة على أيدي الشعراء والأدباء :((...فان كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال كثرتهما واحدة، فان أخلق الأمر به أن تكون قبيلة تواضعت في ذلك المعنى على ذنيك اللفظين، لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة اليه في أوزان اشعارها وسعة تصرف أقوالها...))[٩] :((...فانه لا يمتنع عقلا أن يضع واحد لفظين على مسمى واحد، ثم يتفق الكل عليه...[١٠] :((الاسماء المترادفة، اما أن تحصل من واضع أو من واضعين، أما الأول: فيشبه أن يكون هو السبب الأقل...))[١١]

٢) محاولة أصحاب المعاجم حصر ألفاظ اللغة العربية الأصلية وتمييزها عن الألفاظ الأعجمية أو المولدة خوفا عليها من الأندثار أو الانصهار في اللغات الأعجمية، فيصبح التفريق بينها وبين الكلمات المولدة صعب المنال، ولذلك جمعوا معظم الألفاظ التي تكلمتها العرب دون أن ينسبوها الى حيها أو قبيلتها، ولا سيما الألفاظ المتشابهة[١٢]، ومثال ذلك "حيث" فهي :((...موزعة على تسع قبائل، والأوجه الست في نحو يارب مجتمعة في ستة أحياء...))[١٣]، فإنهم لم ينسبوا الى كل قبيلة أوحى لفظها المميز لها.

٣) المجاز: فقد كان المجاز وما زال وسيظل من أهم العوامل التي لها دور كبير في ظهور الترادف، فقد كان اختلاف القبائل أو عامل المعاجم أو تأليف المعاجم من أهم العوامل التي اسهمت في ظهور الترادف سابقا، فبوساطته تستخدم الألفاظ المهجورة،

---

(١) الفروق في اللغة. تحق: لجنة احياء التراث العربي ط٥، دار الآفاق بيروت-لبنان. ١٩٨١م، ١٦و١٩.
(٢) ٢٥٦/١. (٣) ٤١. (٤) ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٨١-١٨٢.
(٥) ٢٩٩-٣٠١. (٦) توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠ ص٢١٧.
(٧) ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية ١٨١. (٨) السابق ١٨١.
(٩) ابن جني، الخصائص ٣٧٣/١-٣٧٤. (١٠) الآمدي، الاحكام ٢٤/١. (١١) الفخر الرازي، المحصول ٢٥٥/١.
(١٢) ذكرها حفني ناصف، مميزات لغات العرب ٤٢، وعلي وافي فقه اللغة ١١٠-١١١ وفتح الله صالح علي المصري محقق كتاب الرماني، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ص ٣٠. (١٣) حفني ناصف، مميزات لغات العرب ٤٢.

Atl Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبوساطته أيضا تبتكر الألفاظ المحدثة، ويظهر أثر المجاز جليا في الترادف على ألسنة الشعراء وحذاق اللغويين مثل كتاب المقامات[١]، مثال ذلك يقال: أشرقت الشمس وبدأت من حجابها ورفرفها[٢]، وقالوا في الطول: طويل النجاد وفلان كأنه الرمح، وكأن قده قد القناة، وأطول من شهر الصوم وكأنه عيدانة النخل، وكأن ثيابه في سرحة[٣].

٤) أن كثيرا :((...من الأسماء المترادفة كانت في الأصل نعوتا لأحوال المسمى الواحد، ثم تنوسيت هذه الأحوال بالتدريج، وتجردت مدلولات هذه النعوت مما كان بينها من فوارق، وغلبت عليها الأسمية، فالخطار والحطام والباسل والأصيد ...من أسماء الأسد، يدل كل منها في الأصل على وصف خاص مغاير لما يدل عليه الآخر، وكذلك ما يعد من أسماء السيف، كالمصمصم والهندي والحسام والعضب والقاطع...وهلم جرا))[٤]

٥) كان للتغير الصوتي أثر في ظهور الترادف، فكثير من الكلمات التي يظن أنها من الكلمات المترادفة، هي من قبيل التغير الصوتي، وأمثلة ذلك كثير منها، ألبت السماء وهلبت، وأزوهز وفلح الأرض وفلع وكبح الدابة وكمحها[٥].

ويمكن أن نضيف الى العامل الصوتي الابدال الذي سلمنا كما اشير أن ظهور معظم كلماته عائدٌ الى التغير الصوتي، وميل الانسان العام لتخفيف الجهد النطقي مثل: هتلت السماء، وهتنت[٦]، وأصبار وأصمار[٧] وفرس، رفل ورفن[٨]، وفلق الصبح وفرقه[٩].

وللقلب أثرٌ في ظهور الترادف كذلك، ولكنه أقل من الإبدال وأمثاله: اضمحل وامضحل[١٠]، وصقع وصعق[١١] وأحجمت عن الأمر وأجمحت[١٢].

وإذا أنعمنا النظر في أسباب ظهور الترادف، فإننا نجد أن أثر تلك الأسباب بين في ظهور الترادف، ولكن أثرها قليل اذا ما قورن بالأسباب الخارجية -من سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية...الخ- في ظهوره. فنحن لا نسلم أن معظم الترادف ناتج عن اختلاف اللغات العربية، لأن القبائل العربية لا يمكن أن يصل عددها الى أربعمائة قبيلة أو خمسمائة قبيلة. فقد قالوا إن للدواهي أربعمائة اسم وأن للأسد خمسمائة اسم.

---

(١) علي وافي فقه اللغة ١١١.

(٢) ذكرها الرماني في الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ص٧٣ والهمذاني الألفاظ الكتابية الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠، ص٢٨٥.

(٣) ذكر هذه المجازات، ابراهيم اليازجي نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ص١٥-١٨.

(٤) على وافي فقه اللغة،١١١. وانظر ابراهيم انيس في اللهجات العربية ١٨٢-١٨٣، ومحمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة،٤٠٣

(٥) ذكر هذا السبب ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية ص١٨٤-١٩٠، وفتح الله صالح علي المصري محقق كتاب الرماني، الألفاظ المترادفة ص٣١. (٦) ابن السكيت، الابدال ٦١ وابن جني، الخصائص ٨٤/٢-٨٥. وانظرص١٣٧ الرسالة

(٧) ابن السكيت الابدال ٧٤. (٨) الصاحبي ٢٠٣. (٩) السابق ٢٠٤.

(١٠)و(١١) و(١٢) ابن قتيبة، ادب الكاتب ٣٨١-٣٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك أميل الى أن اهم عامل ساعد في نشوء الترادف هو تغير الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية فالبدوي الذي يتعامل مع الجمل مثلا يعرف له أسماء كثيرة لا يمكن أن يعرفها الحضري الذي لا يعرف من الجمل سوى اسمه فقط. وهذا القول ينطبق على غيره من الأدوات التي يقل استخدامها مع الزمن مثل: السيف والحصان والخيام ...

أما اذا نظرنا في باب " كيف تقع الأسماء على المسميات"[1] فإننا نجد أن ابن فارس قد أنكر وجود الترادف في اللغة العربية، ودوره في توسع دلالتها واثرائها بالألفاظ، وهوفي هذا القول يقتدي بشيخه ثعلب، وبذلك يقول :((...ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا إن الأسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير الأخرى وقد خالف في ذلك قوم، فزعموا أنها –وان اختلفت ألفاظها– فانها ترجع الى معنى واحد، وذلك قولنا سيف وعضب وحسام. وقال آخرون ليس منها اسم ولا صفة ألا ومعناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال نحو مضى، وذهب وانطلق وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع، قالوا ففي قعد معنى ليس في جلس، وكذلك القول فيما سواه، وبهذا نقول، هذا مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب، واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى، لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته، وذلك أنا نقول في لا ريب فيه: لا شك فيه فلو كان الريب غير الشك، لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ فلما عبر عن هذا بهذا، علم ان المعنى واحد، قالوا: وإنما يأتي الشعر بالإسمين المختلفين للمعنى الواحد، في مكان واحد، تأكيدا ومبالغة كقولهم: (طويل).

وهند أتى من دونها النأي والبعدُ

قالوا: فالنأي هو البعد، قالوا وكذلك قول الآخر: عام الحبس والأصر، فان الحبس هوالأصر، ونحن نقول إن في قعد معنى ليس في جلس، ألا ترى أنا نقول: قام ثم قعد، وأخذه المقيم والمقعد، وقعدت المرأة عن الحيض، ونقول لناس من الخوارج قعد، ثم نقول كان مضجعا فجلس، فيكون القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس، لأن الجلس المرتفع، فالجلوس ارتفاع عما دونه، وعلى هذا يجري الباب كله. وأما قولهم إن

(١) الصاحبي ٩٦.

All Rights Reserved -Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء، فإنا نقول: إنما عُبر عنه من طريق المشاكلة. ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه، وإنما نقول إن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى))[١]. وعزز رأيه بأمثلة نبه فيها على الفروق الدقيقة بين الكلمات، فالمائدة تسمى مائدة إذا مد عليها الطعام، واذا لم يكن عليها طعام فهي خوان، والكأس لا يسمى كأسا إلا إذا كان فيه شراب، فان كان فارغا كان قدحا أو كوبا، والقلم لا يسمى قلما إلا إذا بري وأصلح. وإذا لم يبرَ كان انبوبة، والكوب لا يكون كوبا الا اذا لم يكن له عروة فان كان له عروة فهو كوز...[٢]

ويمكن أن يقاس على قوله في الصفات التي يقال إنها أسماء مترادفة مثل أسماء الأسد والرمح والسيف...الخ، لأن المهند أو الهندي كانتا صفتين للسيوف التي تصنع في الهند، والسيف اليماني للسيف الذي كان يصنع في اليمن، ولكن كلمة سيف مع كثرة الاستخدام سقطت وحل محلها الصفات (هندي ويماني) للدلالة على مكان صنع ذلك السيف دون استخدام كلمة سيف، لأن هذه الكلمات أصبحت ألفاظا متعارفة في البيئة العربية الواحدة، وقد عززت شيوع هذه الظاهرة الأسواق الأدبية، كسوق عكاظ، والمربد، وذي المجاز، ولذلك قال أبو علي الفارسي :((كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي، وقال: ما أحفظ الا اسما واحدا وهو السيف، قال ابن خالويه، فأين المهند والصارم وكذا وكذا، فقال أبو علي: هذه صفات، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة))[٣]؟؟

وقد يعترض على ابن فارس لانكاره الترادف فيما عدا الصفات، ولا سيما اذا كانت هذه الأفعال المترادفة موجودة في اللغة الأدبية التي أصبحت لغة واحدة مستخلصة من لغات القبائل المختلفة.

وممن أنكر الترادف من علماء العربية عدا ثعلب وابن فارس: ابن الأعرابي(-٢٣١هـ) الذي يقول :((كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنىً ليس في صاحبه، وربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله))[٤]. والمبرد (-٢٨٥هـ) الذي يقول ان هنالك فرقا بين شرعة ومنهاجا في قوله

---

(١) الصاحبي ٩٦-٩٧. (٢) السابق ٩٨-٩٩. وانظر رأيه ص٢٠١-٢٠٢ "باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق".

(٣) ذكرها السيوطي، المزهر، ٤٠٥/١، وأظن أن أبا علي أنكر ان يكون الترادف بين الاسم وصفاته وأيده فيما عدا ذلك كما بينا في صدر هذا الموضوع.

(٤) ذكر هذه المقولة ابن الأنباري في الأضداد ص٧ والسيوطي في المزهر ٣٩٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾(المائدة/٤٨) وانهما لفظان غير مترادفين فقال :((...فعطف شرعة على منهاج لأن الشرعة لأول الشيء، والمنهاج لمعظمه، ومتسعه...))(١).

وابن درستويه(-٣٤٧هـ) في تصحيح الفصيح الذي ينكر وجود الترادف في البيئة اللغوية الواحدة، ويؤيد وجوده في اللغتين المختلفتين(٢).

وأبو هلال العسكري في "الفروق في اللغة" (-٣٩٥هـ). وان كان يؤمن بوقوعه نتيجة اختلاف اللغات(٣).

ومن المحدثين حفني ناصف "مميزات لغات العرب". وإنْ كان يؤمن بوقوعه في اللغات المختلفة(٤) وشفيق جبري في مقاله "المترادف"(٥) وحجتهم في إنكاره: ((... أن الأصل عند تعدد الاسماء تعدد المسميات واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمى الآخر وبيانه ... أنه يلزم في اتحاد المسمى تعطيل فائدة أحد اللفظين لحصولها باللفظ الآخر ... أن المؤونة في حفظ الاسم الواحد أخف من حفظ الاسمين، والأصل إنما هو التزام أعظم المشتقين لتحصيل أعظم الفائدتين...))(٦)

وقد ناقض ابن فارس نفسه، إذ إنه أنكر وقوع الترادف في كتابه "الصاحبي" وأيد وقوعه في "المقاييس" ويظهر ذلك في أفعال كثيرة وأسماء كثيرة، فهو يفسر معنى الفعل ذهب بمضى(٧) ورقد بنام(٨) والريب بالشك، والنأي بالبعد(٩).

ويمكن أن يقول البعض إن ابن فارس في رأيه هذا كان مقتدياً بشيخه ثعلب، ولكني أميل إلى القول إن ابن فارس يؤمن بالترادف وأثره في اللغة، وأدلتي على ذلك كثيرة منها:

١) إنه عد الترادف من خصائص اللغة العربية ومن أهم أسباب أفضليتها وسعتها(١٠).

٢) عد الترادف ناتجاً عن اختلاف لغات العرب(١١)

---

(١) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة ص١٣.

(٢)ابن درستويه، تصحيح الفصيح، تحق: عبد الله الجبوري،ط١ مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٥م ١/١٦٥-١٦٦ ويعني باللغات هنا اللهجات.

(٣) قصد باللغات هنا اللغات المختلفة ص١٦-١٩.

(٤) ٤٠-٤١.

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق مجلد ١٧ ج٩ و١٠ سنة ١٩٤٢م ص ٤١١.

(٦) الآمدي، الاحكام، ١/٢٣

(٧) المقاييس ٢/ ٣٦٢.

(٨) السابق ٢/٤٢٨.

(٨) السابق ٢/٤٦٣.

(٩) السابق ٥/٣٧٨.

(١٠) الصاحبي "باب القول على إن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها" ص ٤١ و٤٣-٤٤.

(١١) السابق "باب اختلاف لغات العرب" ٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣) تفسيره المترادفات بعضها ببعض في كتابه "المقاييس" في كثير من الأمثلة كما أشير[١].

٤) تأليفه في موضوع الترادف كتباً منها "الحجر" الذي أهداه للصاحب بن عباد، فقد ذكره ياقوت بقوله: ((كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين بن فارس لانتسابه إلى خدمة آل العميد تعصباً لهم، فأنفذ إليه من همذان كتاب "الحجر" من تأليفه، فقال الصاحب: "رد الحجر من حيث جاءك، ثم لم تطب نفسه بتركه وأمر له بصلة))[٢]، وكتاب "متخير الألفاظ" الذي ذكر فيه أبواباً كثيرة ذكر في كل باب الألفاظ المترادفة التي تنضوي تحت هذا الباب، فيقول في باب "الجبن"[٣] رجل جبان ورعيدٌ ومنخوبٌ والكفل الذي يكون في مؤخر الحرب واليراعة وهيبان.

ولعل السبب الرئيسي الذي دعا ابن فارس إلى إنكار الترادف هو موقفه التوقيفي في نشأة اللغات الإنسانية، لأن القول بالترادف يقتضي أن تكون نشأة اللغات الإنسانية اصطلاحية لا توقيفية وهذا يناقض رأيه التوقيفي الذي صدر به كتاب "الصاحبي".

أما ابن جني معاصر ابن فارس، فقد شدد النكير على من أنكر الترادف فقال: ((... وفيه أيضاً موضعٌ يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد، حتى تكلف لذلك أن يوجد فرقاً بين قعد وجلس، وبين دراع وساعد...))[٤]

وقد أشير سابقاً[٥] أن ابن جني كان يقول بوجوده في القبيلة اللغوية الواحدة، إما للحاجة إليه، وإما للتوسع اللغوي.

وقد وقف البعض موقفاً وسطاً بين الفريقين، وذلك بوضعهم شروطاً[٦] للترادف، يستطيعون إذا ما طبقوها تقليل أعداد الكلمات المترادفة وهي:

١) اتحاد المعنى بين الكلمتين أو اللفظتين في البيئة اللغوية الواحدة لدى أغلب سكانها: ((فإذا تبين لنا بدليل قوي أن العربي كان حقاً يفهم من كلمة "جلس" شيئاً لا يستفيده من كلمة "قعد" حينئذ ليس بينهما ترادف))[٧].

٢) ظهور اللفظين المترادفين في بيئة لغوية واحدة، دون استعارته من بيئة لغوية أخرى، قال الأصفهاني: ((... وينبغي أن يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة، فأما في لغتين، فلا ينكره عاقل))[٨].

---

(١) ص ١٥٦ الرسالة (٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ٤١٣/١. (٣) ابن فارس، متخير الألفاظ ١٦٨-١٦٩.
(٤) ابن جني، الخصائص ٣١٢/٢. (٥) انظر أسباب الترادف ص ١٥٦-١٥٨الرسالة
(٦) ذكر هذه الشروط: ابراهيم أنيس، في اللجهات العربية، ١٧٨-١٨٠، ورمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ٣٢٢-٣٢٣.
(٧) ابراهيم أنيس، السابق ١٧٨-١٨٠. (٨) ذكره السيوطي في المزهر، ٤٠٥/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣) اتحاد العصر زمنياً، فلا يجوز أن نقول بوجود الترادف بين الألفاظ الجاهلية والألفاظ الحديثة مثلاً، فكلمة الإتاوة في الجاهلية لا يجوز أن نقول إنها مرادفة لكلمة الخراج الإسلامية، وكذلك المكس الجاهلية لا تكون مرادفة للضريبة الإسلامية أو الضريبة الجمركية الحالية(١)

٤) ألا يكون أحد اللفظين نتيجة التغير الصوتي للفظ الآخر، وأقصدُ بذلك الإبدال اللغوي مثل: الجثل، والجفل بمعنى النمل.

ب) المشترك اللفظي:

المشترك اللفظي من العوامل الداخلية التي لها أثرٌ في التوسع الدلالي وقد عرفه العلماء(٢) بأنه: ما اتفق لفظه واختلف معناه، أو هو الصورة اللفظية الواحدة التي لها أكثر من معنى أو دلالة. أو هو المعاني الكثيرة التي تنطوي تحت لفظة واحدة وهو نقيض الترادف.

مثل "وجد": ((... فقلنا في المال وجداً وفي الضالة وجداناً، وفي الغضب موجدة، وفي الحزن وجداً...))(٣).

ولكلمة الضرب مثلاً خمسة أوجه: ((الضرب بالسوط والعصا، والضرب من المتاع، والضرب من الرجال: وهو الخفيف اللحم قال طرفه:"

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

والضرب من المطر، وهو المطر الضعيف، يقال أصابنا ضربٌ من المطر، وضربتنا السماءُ"(٤).

عرض ابن فارس للمشترك اللفظي في غير موضع من كتابه، وقد كان موقفه من هذا العامل يماثل موقف جمهور اللغويين، وبعض الفقهاء، إذ اعترف بوقوعه في اللغة، وأكد أنه سمةٌ من سمات اللغة العربية، فقال: ((... وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ٣٢٧/١.

(٢) ابن فارس، الصاحبي ٩٦و٢٠١.

وقطرب، الاضداد، ٢٤٣. والآمدي، الإحكام ١٩/١، وابن سيدة، المخصص ٢٥٨/١٣-٢٥٩. والفخر الرازي، المحصول ٢٦١/١.

(٣) الصاحبي١٩١ وانظر: سيبوبة، الكتاب ٢٤/١.

(٤) أبو العميثل الأعرابي، ما اتفق لفظه واختلف معناه، تحق: محمود شاكر سعيد، ط١، نادي جازان الأدبي جدة - السعودية، ١٩٩١م، ص ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحو عين الماء وعين المال وعين السحاب...))[١]، وقد احتج على وقوعه في اللغة بآيات قرآنية فقال: ((... ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى كقولنا: عين الماء وعين المال وعين الركبة وعين الميزان، ومنه في كتاب الله – جل ثناؤه – قضى بمعنى حتم، كقوله – جل ثناؤه ﴿**قضى عليها الموت**﴾(الزمر/٤٢)، وقضى بمعنى أمر، ويكون قضى بمعنى أعلم كقوله – جل ثناؤه ﴿**وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب**﴾(الاسراء/٤) أي أعلمناهم، وقضى بمعنى "صنع" كقوله – جل ثناؤه ﴿**فاقض ما أنت قاض**﴾(طه/٧٣) وكقوله – جل ثناؤه – ﴿**ثم اقضوا إلي**﴾(يونس/٧١). أي اعملوا ما أنتم عاملون، وقضى بمعنى فرغ، ويقال للميت: قضى أي فرغ، وهذه وإن اختلفت ألفاظها فالأصل واحد))[٢].

فقول ابن فارس هذا يرينا أنه كان يؤيد وقوع المشترك اللفظي في اللغة والقرآن، سواء أكان ذلك المشترك اسماً أم فعلاً. وقد ذكر ابن فارس على أثر المشترك اللفظي في تغير معنى الجملة، وما يفهم المتلقي منها نتيجة وقوع المشترك اللفظي فيها. وفي ذلك يقول في باب "الاشتراك" :((... معنى الاشتراك أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر كقوله – جل ثناؤه– ﴿**فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل**﴾(طه/٣٩) فقوله فليلقه مشترك بين الخبر والأمر، كأنه قال فاقذفيه في اليم يلقه اليم، ومحتملٌ أن يكون اليم أمر بإلقائه، ومنه قولهم: أرأيت! فهو مرة للاستفتاء والسؤال كقولك: أرأيت إن صلى الإمام قاعداً كيف يصل من خلفه؟...))[٣].

وقد قلت إن موقف ابن فارس في المشترك يماثل موقف جمهور اللغويين وبعض الفقهاء الذين قالوا بأثر المشترك في سعة اللغة العربية، وأشهر هؤلاء أبو العميثل الأعرابي (-٢٤٠هـ) في كتابه "ما اتفق لفظة واختلف معناه" واليزيدي المعاصر لأبي العميثل وهو "ما اتفق لفظه واختلف معناه"[٤] والمبرد في كتابه "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، وأظن أن هؤلاء المؤلفين هم الذين أفردوا للمشترك اللفظي مؤلفاً بعينه.

والشافعي[٥]، والخليل بن أحمد[٦] وسيبوية[٧]. والأصمعي[٨] وأبو زيد الأنصاري[٩]والآمدي[١٠]، والفخر الرازي[١١].

---

(١) الصاحبي، ٩٦. (٢) السابق ٢٠١. (٣) السابق ٢٦٩.

(٤) هو ابراهيم بن أبي محمد يحيى اليزيدي، تحق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين سنة ١٩٨٧م. (٥) الرسالة، ٥٢.

(٦) ذكره السيوطي في المزهر ٣٧٦/١. (٧) الكتاب ٢٤/١. (٨) و(٩) ذكرها السيوطي، المزهر ٣٨١/١ و٣٨٢.

(١٠) الإحكام ١٩/١-٢٣. (١١) المحصول ٢٦١/١-٢٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كانت حجتهم في وقوعه: ((... أن الألفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية والمتناهي إذا وزع على غير المتناهي لزم الاشتراك، وإنما قلنا:"إن الألفاظ متناهية" لأنها مركبة من الحروف المتناهية، والمركب من المتناهي متناهي، وإنما قلنا: "إن المعاني غير متناهية، لأن الأعداد أحد أنواع المعاني، وهي غير متناهية، أما المتناهي إذا وزع على غير المتناهي حصل الاشتراك – فهو معلوم بالضرورة))[١]

ومن أشهر من أنكر المشترك اللفظي من العلماء ابن درستوية الذي قال إن الاشتراك يؤدي إلى الإلباس والتعمية في الكلام[٢]

أما أشهر من بالغ في وقوع المشترك اللفظي في العربية، وقال إنه لا يقتصر وقوعه في الكلمات بل يقع في الحروف والحركات هو ابن جني معاصر ابن فارس في كتابه "الخصائص" فإذا وجدت كلمة ما يماثل بنائها وأحرفها وهي مفردة جمعها، فإن الاشتراك بين حروفها واقع ولا سيما أحرف المد: ((... قد يتفق (لفظ الحروف ويختلف معناها) وذلك نحو قولهم درع دلاص، وأدرع دلاص، وناقة هجان، ونوق هجان، فالألف في دلاص في الواحد بمنزلة الألف في ناقة كناز، وأمرأة ضناك، والألف في دلاص في الجمع بمنزلة ألف ظراف، وشراف، وذلك لأن العرب كسرت فعالاً على فعال...))[٣].

وكذلك الحركات، فقد قال ابن جني بالاشتراك في الحركة نفسها: إذا كانت الحركة علامة للبناء، وعلامة للإعراب في الوقت نفسه، فإنها حركة فيها اشتراك لفظي لأنها علامة للبناء وعلامة للإعراب:.((... هذه الحال موجودةٌ في الحركات وجدانها في الحروف، وذلك كامرأة سميتها بحيث وقبل وبعد فإنك قائلٌ في دفعها هذه حيث، وجاءتني قبل، وعندي بعد فالضمة الآن إعراب، وقد كانت في هذه الأسماء قبل التسمية بها بناء، وكذلك لو سميتها بأين وكيف فقلت: رأيت أين، وكلمت كيف لكانت هذه الفتحة إعراباً، بعدما كانت قبل التسمية في أين وكيف بناءً، وكذلك لو سميت رجلاً بأمس وجير لقلت مررت بأمس وجير، فكانت هذه الكسرة إعراباً، بعدما كانت قبل التسمية بناءً وهذا واضح...))[٤].

ذكر علماؤنا السابقون لوجود ظاهرة المشترك اللفظي في العربية أسباباً تماثل أسباب نشوء الترادف سردتها كتبٌ عديدة أهمها:

---

(١) الفخر الرازي، المحصول، ٢٦٢/١.
(٢) ابن درستوية، تصحيح الفصيح ١٦٦/١-١٦٧.
(٣) الخصائص ٩٦/٢.
(٤) السابق ١٠١/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضداد ابن الأنباري[١] والإحكام للآمدي[٢] والمخصص لابن سيدة[٣] والمحصول للفخر الرازي[٤] والمزهر للسيوطي[٥] ومن المحدثين: في اللهجات العربية، ابراهيم أنيس[٦] وفقه اللغة. على وافي[٧]، وفصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب[٨] الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي[٩].

ويظهر أثر المشترك اللفظي في توسع دلالة الألفاظ في أمور كثيرة أهمها:

١) أنه ساعد الشعراء على إنشاء قوافٍ جديدة ذات حرف روى واحد.

٢) أنه أفاد الشعراء والسجاع في ظهور الفن البديعي المعروف بالتورية[١٠] مثال ذلك: هل يجوز للصائم أن يأكل نهاراً، نهاراً تعني نوعاً من الطيور.

٣) أن ساعد المجير المضطهد: ((... على اليمين المكره عليها فيعارض بما رسمناه، ويضمر خلاف ما يظهر ... وتقول والله ما رأيت فلاناً قط ولا كلمته، وتقصد ما ضربت رئته ولا جرحته، وتقول والله ما كنت ساعياً قط وتقصد جباية الأموال ...))[١١]

٤) أنه ساعد في ظهور علوم لغوية جديدة هي:

أ) المداخل: وأول من ألف فيه أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز غلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ)كتاب "المداخلات"[١٢].

ب) المشجر: وهو مبني كذلك على فكرة المداخل وأول من ألف فيه أبو الطيب اللغوي كتاب "شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة"[١٣].

ج) المسلسل وهو مبني كذلك على فكرة المداخل وأول من ألف فيه محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المازني (ت ٥٣٨هـ) كتاب "المسلسل في غريب لغة العرب"[١٤].

إذا انعمنا النظر في موقف ابن فارس، فإننا نجده غريباً علينا ، إذ اعترف بوقوع المشترك اللفظي في اللغة، وهذا يتنافى مع موقفه التوقيفي الذي صدر به كتابه، والذي

---

(١) ٤-٦. (٢) ١/١٩. (٣) ١٣/٢٥٩. (٤) ١/٢٦٧

(٥) ١/٣٨١. (٦) ١٩٣-٢٠٣. (٧) ١٦٠. (٨) ٣٢٦-٣٣٤.

(٩) ٣٨٩. (١٠) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ٣٠٤.

(١١) ابن دريد، الملاحن صححه وعلق عليه أبو اسحاق اطفيس الجزائري، المطبعة السلفية، القاهرة - مصر، ١٣٤٧هـ ص٣. انظر النقطة عند توفيق شاهين المشترك اللغوي، ٣١-٣٢.

(١٢) مجلة المجمع العلمي العربي دمشق مجلد٩ جزء ٨ سنة ١٩٢٩م ص ٤٤٩.

(١٣) تحق: محمد عبد الجواد، دار المعارف مصر.

(١٤) تحق: محمد عبد الجواد، مكتبة الخانجي، مصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي بسببه أنكر وقوع الترادف في اللغة العربية، وسبب الغرابة والدهشة من موقف ابن فارس هذا، أن القول بالمشترك يؤدي إلى القول إن اللغات الإنسانية اصطلاحية النشأة لا توقيفية، وقد يكون موقفه هذا عائداً إما لوقوع المشترك اللفظي في القرآن الكريم كما أسلفنا، وإما لأن ابن فارس نظم قصيدةً استغل فيها المشترك اللفظي استغلالاً كبيراً. وذلك في قصيدته العينية* التي جعل - جميع قوافيها كلمة "العين" بمعانيها المختلفة فقال:

يا دارُ سُعدى بذات الضال من اضم ... سقاك صَوْبٌ حياً من واكف العين(١)
وإنـي لأذكـر أيامـاً بهـا ولنـا ... فـي كـل إصبـاح يـومٍ قـرةُ العين(٢)
تدنـي مُعَشـقةٌ منـا معتقـةً ... تشـجها عذبـةٌ مـن نابـعِ العينِ(٣)
إذا تمـززها شـيحٌ بـه طـرقٌ ... سـرت بقوتهـا فـي الساق والعين(٤)
والـزق ملآن مـن مـاء السرور فلا ... نَخَـش قولـه مـا فيـه مـن العين(٥)
وغـاب عـذالنـا عنا فـلا كـدرٌ ... فـي عيشنا من رقيب السوء والعين(٦)
يقسـم الـود فيمـا بيننـا قسـماً ... ميـزان صـدق بـلا بخسٍ ولا عين(٧)
وفائـض المـال يفنينـا بحاضـره ... فتكتفـي مـن تقيـل الديـن بالعين(٨)
والمجمـل المجتبـي تغنـي فوائده ... حفاظـة عـن كتـاب الجيم والعين(٩)

ج) الأضداد:

الأضداد من عوامل التوسع التي قيل إن لها أثراً في التوسع الدلالي. والأضداد كما عرفها العلماء هي: ما اتفق لفظه وتضاد معناه، أو هو اللفظ الواحد ذو المعاني المتضادة، أو ما تضاد معناه واتفق لفظه(١٠) مثل: شعب: شعبت الشيء جمعته وأصلحته أو مزقته وشققته(١١) وعسعس الليل إذا أقبل وإذا أدبر(١٢).

---

* ذكرها ياقوت الحموي، معجم الأدباء ٤١٥/١.

(١) العين: سحاب ينشأ من قبل القبلة. (٢) العين: عين الإنسان وغيره.
(٣) العين: ما ينبع منه الماء. (٤) العين: عين الركبة، والطرق: ضعف الركبتين.
(٥) العين: ثقب في المزادة، تولد الماء إن تسرب. (٦) العين: الرقيب. (٧) العين: العين في الميزان.
(٨) العين هنا: المال الناض. (٩) الجيم والعين: كتابان العين للخليل بن أحمد الفراهيدي والجيم لأبي عمرو الشيباني والمجمل لابن فارس. (١٠) الصاحبي ٢٠١. (١١) ذكره أوغست هافز، ثلاثة كتب في الأضداد، للأصمعي والسجستاني وابن السكيت، ويليها ذيل في الأضداد للصغاني، دار المشرق، بيروت - لبنان، ١٩١٣. اضداد الأصمعي ٧، أضداد أبي حاتم ١٠٨. اضداد ابن السكيت ١٦٦، أضداد الصغاني ٢٣٤. وابن الانباري الأضداد ٥٣-٥٤ والمنشي الأضداد. تحق: محمد حسين آل ياسين، ط١، مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع، بغداد ١٩٨٥، ص ٣٤.
(١٢) ذكره قطرب، الاضداد ٢٦٦ ثلاث كتب في الأضداد ص (٧-٨ و٩٧-٩٨ و١٦٧ و٢٣٩) وابن الانباري الاضداد (٣٢-٣٤. والمنشي الأضداد ٤٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خصص ابن فارس للحديث عن الأضداد ثلاثة مواضع في كتابه "الصاحبي وهي "باب القول في اختلاف اللغات"[١] و"باب الاسماء كيف تقع على المسميات"[٢] و"باب أجناس الكلام في الإتفاق والإفتراق"[٣]. وقد اعتبر ابن فارس في باب "اختلاف اللغات" أن ظهور الأضداد في اللغة عائد لاختلاف لغات العرب: ((... ومن الاختلاف، اختلاف التضاد، وذلك قول حمير للقائم ثب، أي اقعد، ويقولون للرجل ثب أ اجلس، وروى أن زيد بن عبد الله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير، فألفاه في متصيدٍ له، على جبل مشرف، فسلم عليه وانتسب، فقال له الملك: ثب أي اجلس، وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال: "لتجدني أيها الملك مطواعاً ثم وثب من الجبل فهلك، فقال الملك: "ما شأنه" فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة، فقال: "إما إنه ليس عندنا عربيت، من دخل ظفار حمر" وظفار المدينة التي كان بها وإليها ينسب الجزع الظفاري، أراد من دخل ظفار فليتعلم الحميرية))[٤].

وإذا بحثنا في أسباب ظهور الأضداد في اللغة العربية، وأردنا أن نعرف هل أيد جمهور اللغويين ابن فارس في جعله اختلاف اللغات من أهم أسباب ظهور الأضداد، فإننا نجد أن أهم تلك الأسباب هي:

١) اختلاف اللغات، فقد قال معظم اللغويين كما قال ابن فارس إن أهم سببٍ كان له أثرٌ في وجود الأضداد في العربية هو اختلاف لغات القبائل: ((إذا وقع الحرفُ على معنيين متضادين، فمحالٌ أن يكون العربي أو قعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره. ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء قالوا: فالجون الأبيض في لغة حي من العرب والجون الأسود في لغة حي آخر ثم أخذ أحد الفريقين عن الآخر، كما قالت قريش "حَسِبَ يحسب"[٥] مثال ذلك: كلمة السامد بمعنى الحزين في لغة طئ واللاهي عند أهل اليمن[٦] و"لمقت" الشيء كتبته في لغة بني عقيل ولمقته محوته عن سائر قيس[٧].

---

(١) الصاحبي ٤٨-٥١.

(٢) السابق ٩٦-٩٨.

(٣) السابق ٢٠١-٢٠٢.

(٤) السابق ٥١.

(٥) ابن الأنباري، الأضداد ص ١١-١٢.

(٦) قطرب الأضداد ٢٤٥.

(٧) أبو عبيد القاسم بن سلام الغريب المصنف تحق: محمد مختا العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، تونس ٦٢٣/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢) تخصيص المعنى العام بغرض التوسيع في اللفظ: ((إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ثم تداخل الإثنان على جهة الإتساع. فمن ذلك الصريم يقال لليل صريم، وللنهار صريم، لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من بابٍ واحد وهو القطع وكذلك الصارخ المغيث، والصارخ المستغيث، سُمياً* بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخ بالاستغاثة، فأصلهما من بابٍ واحد...))[١].

٣) المجاز: يعتبر المجاز من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور الأضداد في اللغة العربية، وبذلك قال أبو علي الفارسي: ((... أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنىً ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل ...))[٢] وخيرُ مثال يبين أثر المجاز في ظهور الأضداد كلمة الأمة التي تطلق على الفرد والجماعة وفي اطلاقها على الفرد مبالغةً وتشبيهاً وهم لا يطلقونها إلا على الفرد الذي يتسم بالذكاء والعبقرية، وهو في قوة تفكيره ودقته يساوي قوة تفكير جماعةٍ بأسرها[٣].

٤) احتمال الصيغ الصرفية للمعنيين المتضادين، وقد ركز ابن فارس على إدراك علم الصرف إدراكاً تاماً، لأن كثيراً من معاني الأضداد عائدٌ إلى احتمال الصيغ الصرفية للمعنيين المتضادين كليهما وإن لم يُشر صراحة الى إنها تؤدي إلى الأضداد، بل أسماه "تقارب اللفظين واختلاف المعنيين" فقال في صيغتي فعل وتفعل: ((... وذلك قولنا: حرج إذا وقع في الحرج، وتحرج إذا تباعد من الحرج، وكذلك أثم وتأثم...))[٤] وقال في صيغتي فَعِل وفُعل: ((... وفزع إذا أتاه الفزع، وفزع عن قلبه إذا أنحى عنه الفزع، قال الله – جل ثناؤه ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم**﴾(سبا/٢٣) أراد والله أعلم– أخرج منها الفزع))[٥]

وقال في صيغتي فعل وأفعل: إنهما يؤديان إلى الأضداد كذلك: ((... وقال الله – جل ثناؤه – ﴿**وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**﴾(الجن/١٥). وقال : ﴿**وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**﴾(الحجرات/٩) كيف تحول المعنى بالتصريف من العدل إلى الجور))[٦] وهذا القول ينسحب على عددٍ من الصيغ الصرفية: كصيغة فاعل التي تستخدم للفاعل والمفعول مثل: "دافق"﴿ **من ماء دافق**﴾(الطارق/٦)، مدفوق. ﴿**وفي عيشة راضية**﴾(الحاقة/٢١) مرضية.

---

(١) ابن الانباري، الضداد، ٨-٩.
(٢) ابن سيدة، المخصص ١٣/٢٥٩.
(٣) ابن الانباري الأضداد ٦.
(٤) ابن فارس الصاحبي ٢٠٢.
(٥) السابق ٢٠٢.
(٦) السابق ١٩١-١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥) التغير الصوتي، ومثال ذلك: ((... والمنين" بمعنى القوي، والضعيف، فمعنى المنة في الأصل هو الضعف، ويبدو أنه صادف اتحادها بكلمة "متين" التي تعني القوي، فصار لها معنيان متضادان، وأسر" بمعنى كتم وأعلن، فالفعل يدل في الأصل على المعنى الأول وهو كتم واتحد مع الفعل "أشر" بالشين المعجمة الذي يعني أظهر" بعد أن تطور صوت الشين إلى السين، فصارت اللفظة من الأضداد))[١].

٦) الدوافع النفسية والاجتماعية ومنها:

أ) التفاؤل فقد قال العرب للديغ سليماً[٢]، وللصحراء مفازة[٣] وللعطشان ناهل[٤].

ب) التهكم كقولهم للجاهل عاقلاً[٥]، وللثوب الخلق قشيباً[٦] أي جديداً.

ج) الخوف من الحسد كقولهم للفرس الجميلة والفرس القبيحة شوهاء[٧]، وللمرأة العاقلة "بلهاء" وهو نقصان العقل[٨].

لكننا إذا قرأنا باب "الأسماء كيف تقع على المسميات" وباب "أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق" في كتابه "الصاحبي" نجد أن ابن فارس لم يعزُ ظهور الأضداد إلى اختلاف اللغات بل اعتبرها سنةً من سنن العرب تلجأ إليها العرب دون قيد أو شرط: ((... ومن سنن العرب في الاسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو: الجون للأسود والجون للأبيض، وأنكر ناسٌ هذا المذهب، وأن العرب تأتي باسم واحدٍ لشيء وضده، وهذا ليس بشيء، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهنداً والفرس طرفاً هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد، وقد جردنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا رد ذلك ونقضه، فلذلك لم نكرره))[٩].

وموقف ابن فارس هذا يماثل موقف جمهور اللغويين الذين أيدوا وقوع الأضداد في اللغة أمثال: "الأصمعي في أضداده وقطرب في أضداده وأبي حاتم السجستاني في أضداده).[١٠] وابن الأنباري في اضداده والصاغاني في أضداده وأبي عبيد في الغريب المصنف[١١] في باب الأضداد.

---

(١) المنشي، رسالة الأضداد، مقدمة المحقق ١٤. انظر النقطة عند رمضان عبد التواب فصول في فقه العربية ٣٥١-٣٥٢.
(٢) قطرب الأضداد، ٢٤٨ (الأصمعي الأضداد ٣٨، أبو حاتم الأضداد ١١٤. ابن السكيت الأضداد ١٤٧ الصغاني ٢٣٣) ثلاث كتب في الأضداد، وابن الانباري، الاضداد، ١٠٥.
(٣) قطرب، السابق ٢٥٨ و(الأصمعي ٣٨ ابو حاتم ٩٩ ابن السكيت ١٩٢، الصغاني ٢٤١). ابن الأنباري السابق ١٠٤.
(٤) السابق جميعة ٢٥٣، (٣٧، ٩٩، ١٩١، ٢٤٦) و١٠٦. (٥) ابن الانباري، الأضداد ٢٥٨.
(٦) قطرب، الأضداد ٢٥٣ وابن الأنباري، الأضداد ٣٦٣. (٧) ابن الانباري، الأضداد ٢٨٤.
(٨) السابق ٣٣٣. ذكر هذه النقطة رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ٣٤٥-٣٥١ وابراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ١٠٧-١٠٨. (٩) الصاحبي ٩٧-٩٨. (١٠) جمعها أوغست هافنر في كتاب واحد بعنوان ثلاثة كتب في الأضداد.
(١١) ٢/٦٢٢-٦٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومقولة ابن فارس تلك تبين لنا إنكاره لحجج منكري التضاد: كابن درستوية الذي أنكر الأضداد، وقال: إنها تؤدي إلى الالتباس والغموض: ((... وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو احدهما ضد الآخر. لما كان في ذلك إبانة، بل كان تعمية وتغطية...))[١] وكتب في ذلك كتاباً سماه "إبطال الأضداد"[٢].

وقد وجدنا في "المقاييس" تطبيقاً عملياً لمقولته في الأضداد، فهو يقول في باب "شعب": "الشين والعين والباء أصلان مختلفان أحدهما يدل على الافتراق: "والآخر على الاجتماع...))[٣].

وقال في مادة "خفي": ((الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادان فالأول الستر والثاني الإظهار...))[٤] ويقول في مادة "فوز": ((الفاء والواو والزاء كلمتان متضادتان، فالأولى النجاة، والأخرى الهلكة))[٥].

أما موقف ابن فارس من الأضداد في كتابه "الصاحبي" يدعو إلى النظر، والتأمل، فنحن نؤيد ما ذهب إليه إن نشأة الأضداد عائدٌ إلى اختلاف اللغات، أو احتمالات الصيغ الصرفية، ولكننا لا نؤيده عندما قال إن الأضداد سنةٌ من سنن لغة العرب، لأن الأضداد سمةٌ محدثةٌ في اللغات؟ وليست أصلية، لأن الأصل في اللغات هو أن يكون لكل لفظ معناه المميز له عن معاني الألفاظ الأخرى. ولعل السبب الذي جعل ابن فارس يقول إن الأضداد سنةٌ من سنن العرب في كلامها وروده في القرآن الكريم، ومثال ذلك: كلمة ظن التي تدل على العلم أو اليقين والشك: ((... قال الله - عز وجل - وهو أصدق قيل: ﴿**الذين يظنون أنهم ملاقوا الله**﴾ (البقرة/٢٤٩). أراد الذين يتيقنون ذلك فلم يذهب وهم وعاقل إلى أن الله عز وجل يمدح قوماً بالشك في لقائه ...))[٦] وأتت بمعنى الشك في قوله تعالى: ﴿**واجتنبوا كثيراً من الظن**﴾ (الحجرات/١٢) لأنه لا يمكن أن يكون معناه "اجتنبوا كثيراً من اليقين أو العلم وقوله تعالى: ﴿**وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله**﴾(الحشر/٢) أي توهموا ذلك[٧]

---

(١) ابن درستوية، تصحيح الفصيح ١٦٦/١.
(٢) السيوطي، المزهر ٣٩٦/١.
(٣) ابن فارس، المقاييس ١٩٠/٣.
(٤) السابق ٢٠٢/٢.
(٥) السابق ٤٥٩/٤
(٦) ابن الأنباري، الأضداد، ص ٣.
(٧) انظر معاني الظن: قطرب، الأضداد ٢٤٤، ثلاث كتب من الأضداد (٣٤-٣٥، ٧٦، ١٨٨-١٨٩، ٢٣٨)، وابن الأنباري، الأضداد ١٤-١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنقول: إن القرآن نزل على أساليب العرب في كلامها، ولكن معظم آيات القرآن الكريم نزلت باللغة الموحدة، أو اللغة الأدبية أو بلغة قريش التي هي خليط من اللهجات العربية الأخرى، وبما أنها خليطٌ من لهجات العرب، فإنها بالضرورة ستحمل بين ألفاظها ألفاظاً متضادة المعنى لأن أهم سببٍ لظهور الأضداد كما نرى هو اختلاف اللهجات العربية.

وقد دهشت عندما قرأت أن ابن فارس يؤيد وجود الأضداد في اللغآت، وذلك لأن تأييده هذا يتنافى مع موقفه التوقيفي الذي صدر به كتابه، ولا أعرف ما معنى التوقيف عند ابن فارس، فهل يعني به عدم قدرة الإنسان على ابتكار ألفاظٍ جديدة، أم أنه يعني به أن الإنسان يستطيع أن يصير الألفاظ الموقف عليها لمعان ابتكرها هو؟؟!! فإيمان ابن فارس بوجود الأضداد والمشترك اللفظي في اللغة يقتضي القول باصطلاحية اللغات، ولكنه قد يقال إن الألفاظ هي الموقف عليها لا المعاني، وبالتالي يصح للإنسان أن يستخدم الألفاظ الموقف عليها لمعانٍ لم يُوقف عليها.

وأميل إلى القول: إن الألفاظ المتضادة في اللغة قليلةٌ[١] في اللغة العربية وأن الألفاظ القليلة تلك عائدةٌ في الظهور لاختلاف اللغات، والمجاز والعوامل التي ذكرتها سابقاً لا لأنها سنةٌ من سنن العرب في كلامها. وتظهر قلة الألفاظ المتضادة إذا ما طبقنا الشروط التالية لصحتها وهي:

١) استخدام اللفظ في معنييه المتضادين في بيئة لغوية واحدة.

٢) اتحادُ العصر في استخدام هاتين الكلمتين.

٣) ألا يكون المعنى الآخر ناتجاً عن المجاز أو التغير الصوتي أو العامل التصريفي أو الدوافع النفسية والاجتماعية.

ولا يفوتنا أن ننوه أن الأضداد هو نوعٌ من الاشتراك كما قال الأقدمون[٢]، وذلك أن الأساس الذي بُنى عليه تعريف الاشتراك هو الأساس نفسه الذي بُني عليه تعريف الأضداد "ما اتفق لفظه واختلف معناه" ولكن الأضداد تباينُ الإشتراك في أنها تشترط الضدية أي أن يكون المعنى الذي تحتويه اللفظة مضاداً للمعنى الآخر الذي تحتويه نفس اللفظة.

---

(١) ابن الانباري، الاضداد، ٦.

(٢) قطرب، الاضداد ٢٤٣ أوغست هافز ثلاثة كتب في الاضداد. (٢٤-٢٧ و١٣٩-١٤٠ و١٨٠-١٨٢) وابن الانباري، الأضداد ٤٦-٥٠ والمقدمة ٤-٦ والآمدي، الاحكام ١/١٩-٢٣. والفخر الرازي في المحصول ١/٢٦٦-٢٨٤ - وابو علي الفارسي. وابن سيدة في المخصص ١٣/٢٥٩-٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاشتراك والأضداد ظاهرة لغوية عامة تكاد لا تخلو منها أي لغة من لغات العالم والإشتراك والأضداد هي ظاهرٌ لفظية أي توجد في الألفاظ المفردة، لكنها في الجمل والتراكيب تفقد صفة الإشتراك أو الضدية. فللسياق دورٌ كبيرٌ في تحديد معنى كل لفظةٍ بعينها، فلا يمكن أن يكون للفظة ما في سياق ما أكثر من معنى واحد، وهذه الحجة رد بها ابن الأنباري على من أنكر الأضداد، وقال إنها تؤدي إلى الإلتباس والتعمية: ((... فيسألون عن ذلك، ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته، ودال عليه، وموضح تأويله، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى، فأجيبوا عن هذا الذي ظنوه، وسألوا عنه بضروب من الأجوبة: أحدهن أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه. واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها، ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد، فمن ذلك قول الشاعر:

كل شيء ما خلا الموت جلل والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فدل ما تقدم قبل "جلل" وتأخر بعده على أن معناه، كل شيء ما خلا الموت يسيرٌ، ولا يقوهم ذو عقل وتمييز أن "الجلل" هاهنا معناه "عظيم ... وقال الآخر:

فلئن عفوت لأعفون جللاً ولئن سطوت لأوهنن عظمي

قومي همُ قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي

فدل الكلام على أنه أراد: فلئن عفوت لأعفون عفواً عظيماً، لأن الإنسان لا يفخر بصفحة عن ذنبٍ حقير يسير، فلما كان اللبس في هذين زائلاً عن جميع السامعين لم ينكره وقوع الكلمة على معنيين مختلفين في كلامين مختلفي اللفظين))[١]

وقد قال مثل قوله العالم الفرنسي لارو[٢]

هذا مجمل ما كتب عن المشترك اللغوي، فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكتب التالية: مقال الأضداد في اللغة للاستاذ حسين محمد[٣] ومقال الأضداد للاستاذ منصور فهمي[٤] وكتاب الألفاظ الكتابية، الهمذاني[٥]

---

(١) ابن الانباري، الأضداد ١-٣.

(٢) ذكره جوزيف فندريس، اللغة، ٢٢٨ وصبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ٣٠٦ وتوفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي ٦١-٦٢، ومحمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللغة ٣٩٣.

(٣) مجلة اللسان العربي، مجلد ٩، ج١، ١٩٧٢، ١٠٠-١١٧.

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي مجلد٢ ج٢ سنة ١٩٣٥، ٢٢٨-٢٤٤. (٥) ٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢) المجاز:

هو العامل الثاني في التوسع الدلالي. ويعد المجاز من أهم العوامل المعنوية التي كان وما زال وسيظل له أثرٌ في تطور اللغات الإنسانية ولا سيما اللغة العربية.

تعريف الحقيقة[١] والمجاز:

ذكر اللغويون والبلاغيون والفقهاء تعريفات كثيرةً للمجاز، إلا أنها مع كثرتها تدورُ حول فكرةٍ رئيسية هي أن المجاز هو استخدام اللفظ لغير ما وضعت له في الأصل، كتخصيص العام أو تعميم الخاص ... ، وقد اشترطوا لصحته أن يكون محتوياً على قرينة تدل على المعنى الأصلي أو الوضعي للكلمة في اللغة. ويمكن إجمال هذه التعريفات من قولي ابن فارس والجرجاني: ((تقول في معنى الحقيقة والمجاز أن الحقيقة من قولنا حق الشيء إذا وجب، واشتقاقه من الشيء المحقق وهو المحكم، تقول: ثوب محقق النسج أي محكمة ... فالحقيقة الكلام الموضوع موضعه، الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير، كقول القائل: "أحمد الله على نعمة وإحسانه" وهذا أكثر الكلام. قال – جل ثناؤه ﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون**﴾(البقرة/٤) ... وأما المجاز فمأخوذٌ من جاز يجوز إذا أستن ماضياً، تقول جاز بنا فلان، وجاز علينا فارس، هذا هو الأصل ... فهذا تأويل قولنا مجاز، أي أن الكلام الحقيقي يمضي لسننه لا يتعرض عليه، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه، إلا أن فيه تشبيه واستعارة وكف ما ليس في الأول وذلك كقولك: "عطاء فلان مزنٌ وأكفٌ" فهذا تشبيه وقد جاز مجاز قوله: عطاؤه كثيرٌ وافٍ، ومن هذا في كتاب الله – جل ثناؤه ﴿**سنسمه على الخرطوم**﴾(القلم/١٦) فهذا استعارة: وقال ﴿**وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام**﴾(الرحمن/٢٤) فهذا تشبيه...))[٢]

وعرفه الجرجاني بقوله: ((... ثم أعلم أن في إطلاق المجاز على اللفظ المنقول

---

(١) قسم العلماء الحقيقة إلى ثلاثة أقسام. ١) الحقيقة اللغوية وهي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة.
٢) الحقيقة العرفية وهي اللفظ المستعمل فيما وضع له بعرف الاستعمال اللغوي.
٣) الحقيقة الشرعية فهي استعمال الاسم الشرعي. فيما كان موضوعاً له أولاً في الشرع سواء عرف هذا اللفظ أم لم يعرف عند أهل اللغة ... انظر هذه التقسيمات عند الآمدي، الإحكام ١/٢٧-٢٨. والسكاكي في مفتاح العلوم، ٣٥٩، ابن الأثير، المثل السائر، تحق: أنور أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط١، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة ١٩٥٩م. ص ١٠٦- وما بعدها. وابن تيمية، الإيمان، ٧٠-٧٢.

(٢) الصاحبي ١٩٦-١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أصله شرطاً، وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الأصل، ومعنى الملاحظة أن الاسم يقع لما تقول إنه مجاز فيه بسبب بينه وبين الذي تجعله حقيقية فيه...))[١]

وقد عَرَضَ ابن فارس للمجاز - في مواضع متعددة من كتابه، وأول موضع تحدث فيه ابن فارس عن المجاز هو باب "القول إن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها"[٢]، فقد ركز ابن فارس فيه على أثر المجاز وأهميته في سعة لغة العرب، وجعلها أفضل اللغات الإنسانية وقد اعتبر ابن فارس أن المجاز السبب الأهم الذي جعل القرآن معجزةً فبفضله ألجمت أفواه أفصح العرب على أن يأتوا بآية من مثله وبفضله كذلك أصبحت ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى من المُحال فقال: ((... وقد قال بعض علمائنا"[٣] حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن، فقال: ولذلك لا يقدرُ أحدٌ من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله- عز وجل - بالعربية لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله - جل ثناؤه - ﴿**وإما تخافن من قوم خيانةً فانبذ إليهم على سواء**﴾(الأنفال/٥٨) لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتُظهر مستورها، فنقول: "إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهدٌ فخفت منهم خيانة ونقضاً فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء...))[٤]، ففكرة ابن فارس هذه تماثل فكرة ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن"[٥] فقد كان ابن فارس مطلعاً ومتأثراً بكتاب ابن قتيبة، لأن عبارتهما تكاد تكون متماثلة ولم يقصر ابن فارس أثر المجاز على إعجاز القرآن، بل ركز على أثره في لغة العرب أيضاً، وقال إن هنالك

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحق: السيد محمد رشيد رضا، ط٦ مكتبة القاهرة - مصر، سنة ١٩٥٩م ص ٣١٦. وانظر في تعريف الحقيقة والمجاز، الجرجاني، دلائل الاعجاز، السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة مصر، ١٩٦١ ص ٤٥. وابن جني، الخصائص، ٤٤٤/٢، والآمدي الإحكام، ٢٦/١-٢٨، والسكاكي، مفتاح العلوم ٣٥٨-٣٦٢. والفخر الرازي، المحصول ٢٨٥/١-٢٨٧، وابن الأثير، المثل السائر: ١٠٥-١٠٦، رسالة الرماني، الحدود في النحو، مجموعة في كتاب رسائل في النحو واللغة: تحق: مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني: دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩م ص.٤٠.

(٢) الصاحبي ٤٠-٤٧.

(٣) "يقصد ببعض علمائنا" ابن قتيبة

(٤) السابق ٤١.

(٥) ص ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبارات عربية لا يمكنُ نقلها إلى اللغات الأخرى، بالإضافة إلى أن اللغة العربية بفضل المجاز أصبحت "أفضل اللغات وأوسعها" :((... فأين لسائر الأمم ما للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم:" ذات الزمين، وكثرة ذات اليد، ويد الدهر، وتخاوصت النجوم ومجت الشمس ريقها، وذر الفيء، مفاصل القول. وأتى الأمر من فصه وهو رحب العطن ... وللعرب بعد ذلك كلمٌ تلوح في أثناء كلامهم كالمصابيح في الدجى، كقولهم للجموع للخير قثوم، وهذا أمرٌ قاتم الأعماق أسود النواحي واقتحف الشراب كله، وفي هذا الأمر مصاعب وقُحم. وامرأة حيية قدعة وقد تقادعوا تقادع الفراش في النار...))[١]

فموقف ابن فارس من المجاز في هذا الباب يماثل موقف جمهور اللغويين والفقهاء والبلاغيين ومنهم الجاحظ(ت(٢٥٥)هـ) الذي قال: ((... ومن حمل اللغة على هذا المركب (المجاز) لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً، وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم، وبه وبأشباهه اتسعت...))[٢]

وابن قتيبة الذي قال: ((... وإنما يعرفُ فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجاز، وما أوتيته العرب خصيصي من الله لما أرهصه في الرسول وأرداه من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب فجعله علمه كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه))[٣].

وعبد القاهر الجرجاني الذي قال: ((اعلم أن لهذا الضرب اتساعاً وتفنناً لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين، الكناية والمجاز...))[٤]، والشافعي[٥]، وأحمد بن حنبل[٦]، وسيبويه[٧]، وأبو عبيد[٨] والباقلاني[٩]، والثعالبي[١٠] وابن حزم في الإحكام[١١]، والغزالي في المنخول[١٢]

---

(١) الصاحبي ٤٤-٤٦.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ٤٢٦/٥ وانظر بابي (المجاز والتشبيه بالأكل) ٢٥/٥-٢٨ و"مجاز الذوق" ٢٨/٥-٣٤.

(٣) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ١٠.

(٤) دلائل الاعجاز ص ٤٥.

(٥) الرسالة، ٥٢.

(٦) ذكره ابن تيمية الإيمان، ٦٥.

(٧) الكتاب ٢١٢/١.

(٨) مجاز القرآن ٨-١٦.

(٩) اعجاز القرآن ٣١.

(١٠) فقه اللغة ٣٩٧-٣٩٩.

(١١) ٤٨/١ و ٢٨/٤.

(١٢) ٧٤-٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما إذا انتقلنا إلى ابن جني معاصر ابن فارس، فإننا نجدُ أنه أكثر عالم أقر بـأثر المجـاز، وبالغ فيه، فقد ذهب إلى أن معظم اللغة إذا تأملناها مجازٌ لا حقيقة فقـال: ((أعلـم أن أكـثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة وذلك عامة الأفعال، نحـو قـام زيـد، وقعـد عمـرو، وانطلـق بشر، وجاء الصيف وانهـزم الشـتاء.؟..))[١]، وقـال إن معظـم التركيبـات أو الجمـل التـي نستخدمها يوميـاً هـي فـي حقيقـة أمرهـا مجـازاً لا حقيقـة وضـرب علـى ذلـك أمثلـة منهـا "ضربتُ عمراً" فقال: ((.. ضربت عمراً مجاز أيضاً من غير جهة التجـوز فـي الفعـل – وذلك إنك إنما فعلت بعض الضرب لا جميعه – ولكن من جهة ولعلك إنما ضربت يده أو إصبعه أو ناحية من نواحي جسده، ولهذا إذا احتاط الإنسان واسـتظهر جـاء ببـدل البعـض فقال ضربتُ زيداً وجهه أو رأسه، نعم ثم إنه مع ذلك متجوزٌ، ألا تراه قـد يقـول ضربـت زيداً رأسه، فيبدل للاحتياط، وهو إنما ضـرب ناحيـة مـن رأسـه لا رأسـه كلـه، وبهـذا مـا يحتاط بعضهم في نحو هذا، فيقول ضربتُ زيداً جـانب وجهـه الأيمـن أو ضربتـه أعلـى رأسه الأسمق، لأن أعلى رأسه قد تختلف أحواله، فيكون بعضه أرفع من بعض))[٢]

والاتساع شرطٌ من شروط وقوع المجاز في اللغة عند ابن جني، فهو يرى أنـه إذا وقع المجاز في الكلام، فلا بد أن يفيد الأمور الثلاثـة التاليـة: الإتسـاع والتشـبيه والتوكيـد: ((... وإنما قد يقع المجاز ويعدل إليه عن الأوصاف كانت الحقيقـة البتـة، فمـن ذلـك قـول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الفرس "هوبحر" فالمعـاني الثلاثـة موجـودةٌ فيـه. أمـا الاتساع فلأنه زاد في أسماء الفرس التي هي فرس وطرف وجواد ونحوها "البحـر" حتـى إنه إن احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتساع استعمل استعمال بقية تلك الاسماء، ولكـن لا يفضي إلى ذلك إلا بقرينة تسقط الشبهة وذلك كأن يقول الشاعر:

علوت مطا جوادك يوم يوم وقد ثمد الجيادُ فكان بحرا

... وأما التشـبيه فـلأن جريـه يجـري فـي الكثـرة مجـرى مائـه، وأمـا التوكيـد فلأنـه شـبه العرض بالجوهر، وهو أثبت في النفوس منه ...))[٣]

ومع أن ابن فارس أكد أهمية المجـاز فـي توسـع اللغـة العربيـة وأفضليتهـا فإنـه فـي بـاب "القول في أصول أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها".

---

(١) ابن جني، الخصائص ٤٤٩/٢.

(٢) السابق ٤٥٢/٢. وقد ذكر ابن جني كثيراً من الأمثلة من هذا في باب: "إن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة" ٤٤٩/٢-٤٥٩.

(٣) السابق ٤٤٤/٢-٤٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أنكر أثر المجاز في توسع اللغات لأن الأصل والفرع في رأيه توقيفيان والمجاز فرعٌ على الحقيقة التي هي الأصل، فقول ابن فارس هذا يقتضي كما أشير إلى ذلك[١] أن المجاز ليس له أثرٌ في توسع اللغات، وإنما هو موقف عليه، ولا يمكن استغلاله في توسع اللغة العربية، وفي ذلك يقول: ((كان الأصمعي يقول: أصل الورد إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيءٍ وردا والقرب طلب الماء، ثم صار يقال ذلك لكل طَلب؛ فيقال هو يقرب كذا أي يطلبه، ولا تقرب كذا ... ويقولون:" بينهما مسافةٌ، وأصله من السوف وهو الشم، ومثل هذا كثير، قلنا وهو الذي ذكرناه عن الأصمعي وسائر ما تركنا ذكره لشهرته فهو راجعٌ إلى الأبواب الأول، وكل ذلك عندنا توقيفٌ على ما احتججنا له، وقول هؤلاء: "إنه كثر حتى صار كذا" فعلى ما فسرنا من أن الفرع موقف عليه كما أن الأصل موقفٌ عليه))[٢] وبذا يعد ابن فارس من منكري أثر المجاز في توسع اللغة العربية، وقد أنكر بعضهم وجود المجاز في اللغة وفي القرآن، وقالوا إن لغة العرب والقرآن يخلوان من المجاز، وإن ألفاظهما جميعها حقيقيةٌ لا مجازية، ومن أشهر من أنكر وجود المجاز في اللغة أبو اسحاق الاسفرائيني الذي قال: ((لا مجاز في لغة العرب))[٣] وذهب الغزالي في "المنخول" إلى إنكار هذه المقولة عن أبي اسحاق بقوله: ((... ولا نظن بالاستاذ[٤] إنكاره الاستعارات مع كثرتها في النظم والنثر، وتسويته بين تسمية الشجاع والأسد أسدا))"[٥] وأنكر هذه المقولة أيضاً إمام الحرمين في التلخيص[٦] وقد علق السيوطي على عبارة الاسفرائيني السابقة أن المجاز واقعٌ في اللغة كوقوع الحقيقة، وإن كان وقعها في اللغة أكثر: "... وعمدتنا في ذلك النقل المتواتر عن العرب، لأنهم يقولون استوى فلان على متن الطريق ولا متن لها، وفلان على جناح السفر ولا جناح للسفر وشابت لمةُ الليل، وقامت الحرب على ساق، وهذه كلها مجازات ومنكر المجاز في اللغة جاحدٌ للضرورة، ومبطلٌ محاسن لغة العرب.

قال امرؤ القيس:

فقلتُ له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازاً وناءَ بكلكلِ

---

(١) ص ٥٠ الرسالة.

(٢) الصاحبي ٩٥-٩٦.

(٣) ذكره السيوطي في المزهر ٣٦٤/١

(٤) يعني الاسفرائيني

(٥) ٧٥.

(٦) ذكره السيوطي في المزهر ٣٦٦/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس لليل صلبٌ ولا أرداف...))[١]

أما منكرو المجاز[٢] في القرآن، فقد كانوا أسبق ظهوراً، وأكثر عدداً وأشهرهم: أبو داوود الظاهري (٢٧٠هـ) وابنه أبو بكر محمد الظاهري (٣٠٥هـ) وأبو الحسن الجزري، وأبو عبد الله بن حامد وأبو الفضل التميمي من الحنابلة ... [٣].

وقد كان أكثر المتشددين إنكاراً للمجاز في اللغة والقرآن، ابنُ تيمية في كتابه "الإيمان"[٤].

وقد شدد النكير على من أنكر المجاز في اللغة والقرآن بعض العلماء أمثال ابن قتيبة الذي قال: ((... وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذبٌ، لأن الجدار لا يريدُ والقرية لا تسأل، وهذا من أشنع جهالاتهم وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم، ولو كان المجاز كذباً، وكل فعلٍ ينسب إلى غير الحيوان باطلاً – كان أكثر كلامنا فاسداً لأنا نقول: نبث البقلُ، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الحبل، ورخص السعر...))[٥] والجرجاني الذي اعتبر أن الذين ينكرون المجاز جهلاء باللغة بشكلٍ عام وبالدين بشكل خاص، لأن الذين لا يفهمون المجاز يسهلُ على الشيطان أن يسرق منهم دينهم، ويضلهم من حيث لا يحتسبون[٦].

أما إذا انتقلنا إلى باب "سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز" فإننا نجدُ ابن فارس يقولُ بأثر المجاز في سعة اللغات، ويقول أيضاً إنه سنةٌ من سنن العرب في كلامها: ((... فهذا تأويل قولنا مجاز، أي إن الكلام الحقيقي يمضي لسننه لا يعترض عليه، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه، إلا أن فيه من تشبيهٍ واستعارةٍ وكفٍ ما ليس في الأول

---

(١) السيوطي، المزهر ٣٦٤/١-٣٦٥.

(٢) ذكر بعضهم أن أبا علي الفارسي كان من منكري المجاز، ولكن هذا القول لا يدعمه أي دليل، ولا سيما أن ابن جني، وهو تلميذ الفارسي كان من مؤيدي المجاز ومن الذين قالوا إن معظم اللغة مجاز، بالإضافة إلى أن ابن جني لم يذكر في كتابه الخصائص أن استاذه كان من منكري المجاز، انظر الشنيقيطي في رسالته منع جواز المجاز، الناشر حسن محمد عمود العلوي الشنوقيطي، الرياض، ١٣٧٦هـ ص٥، والمزهر ٣٦٦/١.

(٣) انظر منكرو المجاز عند: ابن تيمية، الإيمان، ٦٥ والسيوطي، المزهر ٣٦٦/١ والشنيقيطي في رسالته منع جواز المجاز ص ٥. والمطعني في المجاز في اللغة والقرآن، ط١، مطبعة حسان، القاهرة، ٦٢٢/٢-٦٢٣، وحميد آدم ثويني مقال مع مؤيدي المجاز ومنكريه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني [مجلد ٩ العدد ٢٧-٢٨، ١٩٨٥م ص ٨٧-٨٨.

(٤) ٦٣-٨٦.

(٥) تأويل مشكل القرآن، ٩٩.

(٦) أسرار البلاغة ٣١٢ وانظر دلائل الاعجاز ٤٥-٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك كقولك: عطاءُ فلانٍ مزنٌ وأكفٌ "فهذا تشبيه، وقد جاز مجاز قوله "عطاؤه كثيرٌ وافٍ، ومن هذا في كتاب الله – جل ثناؤه – ﴿**سنسمه على الخرطوم**﴾(القلم/١٦)، فهذا استعارة، وقال ﴿**وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام**﴾(الرحمن/٢٤) فهذا تشبيه ... فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، كقولهم عند المدح "قاتله الله ما أشعره" فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه، ومنه قول امرئ القيس يصف رامياً: (مديد)

فهو لا تنمي رميته ما له عد من نفره

يقول إذا عد نفره لم يعد معهم كأنه قال: قتله الله! أماته الله! حتى لا يُعد، ومنه قولهم: هوت أمه، وهبلته وثكلته، قال كعب بن سعد يرثي أخاه: (طويل)

هوت أمه ما يبعث الصبح غادياً وماذا يؤدي الليلُ حين يؤوبُ

وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرجل في رميه أو في فعل يفعله...))[١]. وموقفه هذا يناقض موقفه في باب "القول في أصول اسماءٍ قيس عليها وألحق بها غيرها"[٢] الذي نفى فيه أن يكونَ للمجاز أثرٌ في توسع اللغة أو تطورها، وإنما هو موقفٌ من الله لا يستطيع بني البشر أن يستخدموه إلا كما استخدمه القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم – ولكن موقفه في هذا الباب يماثل موقفه في باب "لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها" إذا أقر فيهما بأثر المجاز، وأن المجاز أهم سببٍ في توسع اللغة العربية وأفضليتها، وهو أهم سببٍ جعل القرآن معجزاً[٣].

وأميلُ إلى ما قاله ابن فارس في باب الأفضلية، وباب الحقيقة والمجاز ولكنني لا أؤيد قوله في باب "القول في أصول اسماءٍ قيس عليها وألحق بها غيرها"[٤] لأن قوله في هذا الباب يتنافى مع حقيقة اللغة وتطورها، ولم يكن مفهوم المجاز عند ابن فارس واضحاً بل عد التشبيه والكناية مجازاً، كما أنه خلط بين الاستعارة والكناية والتشبيه، وقال إن كل هذه الأنواع جميعها استعارة فقد اعتبر التشبيه المفرد (مرسل مجمل) في الآية القرآنية ﴿**وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام**﴾(الرحمن/٢٤)[٥] مجازاً. واعتبر التشبيه المفرد البليغ في قول الشاعر:"

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ[٦]

---

(١) الصاحبي ١٩٧-١٩٩.
(٢) السابق ٩٥.
(٣) السابق ٤٠ و٤٥ و٤٦ و١٩٨
(٤) الصاحبي ٩٥.
(٥) الصاحبي ١٩٨
(٦) السابق ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجازاً كذلك، وعدم وضوح مفهوم الاستعارة عنده يظهر في أمثلة كثيرة، ومثال ذلك اعتباره الكناية في المثل العربي: "انشقت عصاهم[١] استعارة، والتشبيه المفرد (مفصل مجمل) في قوله تعالى ﴿كأنهم حمرٌ مستنفرة﴾(المدثر/٥٠)[٢] استعارة كذلك.

فنلاحظ أنه عد الاستعارة والكناية والتشبيه بأنواعه المختلفة مجازاً، وبهذا يكون المجاز قد اشتمل على علم البيان بأكمله، واتساع المجاز بهذا الشكل لم يكن عند ابن فارس فقط بل كان عند من سبقه كأبي عبيدة في "مجاز القرآن" والجاحظ في كتابه "الحيوان"[٣]، وابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن"[٤] ومعاصره ابن جني[٥].

وقد بقي توسع مفهوم المجاز على حاله، إلى أن جاء القرن الخامس الهجري الذي بينت فيه علوم البيان[٦]، ووضحت فيه أنواع المجاز المختلفة، وهي الاستعارة بأنواعها المكنية والتصريحية والتمثيلية) والمجاز المرسل والمجاز العقلي[٧]على يد عبد القاهر الجرجاني، وذلك في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الاعجاز" مما لا مجال لتفصيله هنا لئلا يخرج البحث عن غرضه، والقول في المجاز ما قاله ابن الأثير في المثل السائر: إن لكل مجازٍ حقيقة، وليس لكل حقيقة مجاز[٨].

٣) الإتبـــاع:

الإتباع من عوامل التوسع الدلالي في اللغة العربية والإتباع كما يراه ابن فارس واللغويين[٩]: ((... هو أن تُتْبَعَ الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيداً...))[١٠] وقد تكون هاتان الكلمتان متماثلتين في المعنى، وقد تكونان مختلفتين فيه، والغالبُ في الإتباع أن يكون كلمةٌ واحدة مثل: ساغبٌ لاغب، وعطشان نطشان، وحارٌ يارٌ ... . إلا إنه قد يتعدد ويكون أزيد من كلمة مثل: كثير بثيرٌ بذيرٌ بجير[١١]، وهو يشاره، ويماره، ويزاره[١٢]، وخاسرٌ دامرٌ دابرٌ[١٣].

وقد اعتبرتُ الاتباع من عوامل التوسع الدلالي لأن لكثيرٍ من كلماته معنى يغايرُ معناها عندما تنفردُ في الكلام، وأمثلة ذلك كثيرة "فأتوان في أسوان أتوان" تعني الحزين

---

(١) الصاحبي ٢٠٤. (٢) السابق ٢٠٤. (٣) ٥/٤٢٥-٤٢٦ و٢٥-٣٤. (٤) ٧٦-١٠١ ط أحمد صقر (٥) ٢/٤٤٤-٤٥٩.
(٦) وتقسم إلى ثلاثة أقسام: ١) التشبيه بأنواعه (المفرد بانواعه التشبيه التمثيلي والتشبيه الضمني).
٢) المجاز بانواعه أ) اللغوي (الاستعارة المكنية والتصريحية والتمثيلية. ب) المجاز المرسل. ج) المجاز العقلي
٣) الكناية. (٧) انظر التقسيمات هذه عند علي وافي، فقه اللغة ١٦٥-١٦٨. (٨) ١١٠.
(٩) في تعريف الإتباع انظر الصاحبي ٢٧٠. والثعالبي، فقه اللغة ٣٧٢ الذي نقل كلام ابن فارس نقلا حرفيا ولم يضف سوى كلمة اتساعا، وأبو علي القالي، الأمالي، ٢/٢٠٥-٢٠٨، وأحمد محمد نيب أبو دلو، الإتباع في العربية ظواهره وعلله، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد ١٩٩٢م ص ٦. (١٠) الصاحبي ٢٧٠.
(١١) ابن فارس الاتباع والمزاوجة ص ٩. وأبو الطيب اللغوي، الإتباع تحق: عز الدين التنوخي مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١ ص١٣. (١٢) ابن فارس، الإتباع والمزاوجة ص ١٠. (١٣) السابق ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع أن معناها الأصلية آتيتة آتية[١]، وكلمة "أريض" في "عريض أريض" تعني الخليق بالخير مع أن أصله النبات الجيد[٢]، و"نبيثُ" في "خبيثٌ نبيث" هو الذي ينبث شره وينثره، وإن كان معناها الأصلي مأخوذُ من نبثت البئر أي أخرجتُ ترابها[٣]، ولذا فقد كان الاتباعُ وسيلةُ من وسائل توسع اللغة العربية من حيث أساليبها ومعانيها. فنقلُ معنى الكلمة الأصلي إلى معنىً آخر، ثم وضع هذا المعنى في تركيبٍ جديدٍ يُسْتهم في تكثير أساليب اللغة أولاً، وتزيين ألفاظها ثانياً، وتنسيق إيقاعها ثالثاً.

إن أول من أشار إلى أن الاتباع يسهم في توسع العربية من الأقدمين الثعالبي الذي قال: ((هو من سنن العرب، وذلك أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورويها إشباعاً وتوكيداً اتساعاً، كقولهم: جائعٌ نائع، وساغب لاغب...))[٤]

وقد كان اهتمام اللغويين في هذه الظاهرة بالغاً جداً، فمنهم من أفرد له باباً في كتابه، ومنهم من خصص له كتاباً بعينه، فمن الذين أفردوا له باباً في كتبهم: ثعلب في مجالسه[٥] وأبو عبيد[٦]، وابن قتيبة، أدب الكاتب[٧]، وأبو علي القالي في أماليه[٨] وابن دريد في جمهرته[٩] وابن فارس في كتابه الصاحبي[١٠] وابن الدهان في الغرة[١١] والبلوي في ألف باء[١٢] وابن سيدة في المخصص[١٣]، والهمذاني في الألفاظ الكتابية[١٤].

أما أشهر من خصص للحديث عنه مؤلفٌ بعينه أبو الطيب اللغوي في كتابه الاتباع، وابن فارس في كتابه الاتباع والمزاوجة، والسيوطي في كتابه الإلماع في الاتباع. وإذا أردنا أن نبحث عن أسباب الاتباع كما يراها ابن فارس واللغويون فإننا نجدُ أن سبب نشوئه مماثلٌ لفائدته، ففائدة الإتباع في رأيه ورأى اللغويين هي تقوية الكلام وتأكيده في ذهن السامع ولذلك قال ابن فارس إن الكلمة التابعة تماثلُ الكلمة المتبوعة في الروي والوزن بهدف الإشباع والتأكيد[١٥]. واللغويون وابن فارس استنتجوا سبب ظهور الاتباع من الرواية التي رويت عن ابن الأعرابي ذكرها ثعلب في مجالسه فقال: ((أخبرنا محمد، ثنا أبو العباس قال: قال ابن الأعرابي سألتُ العرب أي شيءٍ معنى شيطان ليطان، قالوا: "شيءٌ نتدُ به كلامنا" نشده))[١٦] وذكرها ابن فارس في كتابيه الصاحبي[١٧] والاتباع والمزاوجة[١٨]، ولذلك عده معظم اللغويين[١٩] من قبيل التوكيد اللغوي، ولا سيما إذا كانت

(١) القالي، الأمالي، ٢٠٥/٢. (٢) ابن دريد: الجمهرة، ٤٣٠/٣، والقالي، الأمالي ٢٠٥/٢. (٣) ابن دريد الجمهرة ٤٣٠/٣، والقالي، الأمالي ٢٠٦/٢. (٤) الثعالبي، فقه اللغة ٣٧٢. (٥) تحق: عبد السلام هارون، ط٢، دار المعارف القاهرة، ١٩٤٩م ٧/١ و٢٠٥ و٢٠٦. (٦) ذكره السيوطي في المزهر ٤١٤/١-٤١٥. (٧) باب المستعمل من مزدوج الكلام ٤٣-٤٨.
(٨) ٢٠٤/٢-٢١٥. (٩) ٤٢٩/٣-٤٣١. (١٠) ٢٧٠. (١١) ذكره السيوطي في الزهر ٤٢٤/١-٤٢٥.
(١٢) عالم الكتب، بيروت، توزيع مكتبة المثنى، القاهرة، مكتبة سعد الدين دمشق، ٣٣٣/١. (١٣) ٢٨/١٤- وما بعدها.
(١٤) ٣٢١-٣٢٢. (١٥) الصاحبي ٢٧٠. (١٦) ثعلب، مجالس ثعلب ٧/١. (١٧) ٢٧٠. (١٨) ص ٢
(١٩) الكساني، ذكره السيوطي في المزهر ٤١٥/١. وثعلب في مجالسه ٧/١ و٢٠٥-٢٠٦ من خلال أمثلته وابن دريد في جمهرته من خلال اشتقاقه المتكلف للكلمات ٤٢٩/٣-٤٣١. وابن فارس في الصاحبي ٢٧٠ والاتباع والمزاوجة ٢-٣. وأبو علي القالي في أماليه ٢٠٤/٢-٢١٥، والفخر الرازي في المحصول ٢٥٤/١ وغيرهم كثير ذكرهم السيوطي في المزهر ٤١٥/١- وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلمة التابعة مماثلة للكلمة الأولى في المعنى، عدا أبي الطيب الذي فرق بين الاتباع والتوكيد، ومقياسه في ذلك جواز التكلم بالكلمة التابعة مفردةً أم لا، فإذا لم يجز إفرادُ الكلمة التابعة في الكلم كانت من قبيل الاتباع، أمثال حسنٌ بسنٌ[١] وجميلٌ بكيلٌ[٢]

أما إذا جاز التكلم بها مفردة فهي توكيدٌ لا إتباعٌ، وبذلك تكون الأمثلة التالية توكيداً مثل[٣] ولعُ ترعٌ، عفواً سهواً، ومضيعٌ مشيعٌ وخرابٌ يباب. وخاسر دامر.

أما ابن جني معاصر ابن فارس، فقد قال مثل قولهم إن الغرض من الاتباع التوكيد، إلا إن ابن جني أدخل الاتباع في ميدان التوكيد اللفظي وقال إن الاتباع هو توكيدٌ لفظي، وبذلك اعتبر ابن جني الاتباع باباً من أبواب النحو، لا باباً من أبواب اللغة فقال: ((... مع أنهم في بعض الأحوال قد يمكنون ويحتاطون ويخطون في الشق الذي يؤمون، وذلك في التوكيد نحو: جاء القوم أجمعون أكتعون أبصعون، أبتعون، لم يعيدوا أجمعون البتة، فيكرروها فيقولوا: أجمعون، أجمعون، أجمعون، أجمعون فعدلوا عند اعادة جميع الحروف إلى البعض تحامياً – مع الإطالة – لتكرير الحروف كلها))[٤] وتبعه في ذلك أبو هلال العسكري في الصناعتين[٥] والرضي الأستراباذي في شرح الكافية في النحو لابن الحاجب[٦].

وقد شرط العلماء[٧] للاتباع شروطاً يمكن استنتاجها من عباراتهم التي كانوا يعقبون بها على أمثلة الاتباع المختلفة، ويمكن إجمال هذه الشروط فيما يلي:

١) أن يكون معنى الكلمة التابعة مماثلاً لمعنى الكلمة السابقة.

٢) ألا يُتكلم بالكلمة التابعة مفردةً بل يجبُ أن تكون متصلة بالكلمة السابقة دائماً.

٣) ألا يفصل بين الكلمتين اللتين فيهما اتباع فاصل، كواو العطف مثلاً.

---

(١) و(٢) أبو الطيب اللغوي، الاتباع ص ١٢.

(٣) السابق ٣١ و٥٥ و٦٠ و١١١-١١٢ و٤٤.

(٤) الخصائص ١/٨٣-٨٤ وقابل بـ المنصف، تحق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط١ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر-القاهرة ١٩٥٤م. ٢/٣٢٥-٣٢٦

(٥) تحق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٥٢م ص ١٩٤.

(٦) ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م، ١/٣٣٣.

(٧) أمثال: أبي عبيد المزهر ١/٤١٥ والبلوي، ألف باء، ١/٣٣٣. والهمذاني، الألفاظ الكتابية ٣٢١-٣٢٢. وابن بري ذكره ابن منظور لسان العرب مادة "توح".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن فارس لم يلزم نفسه بأي شرط من تلك الشروط، فقد أيد أن يكون للكلمة التابعة معنىً سواء أكان ذلك المعنى مماثلاً للكلمة السابقة (خالد تالد، حارّ يار)[١] أم مغاير لها فيه أمثال (السامة والعامة)[٢] ولم ينكره كذلك أن تأتي الكلمة التابعة مفردةً في الكلام، فقد اعتبر "يباب" في خراب يباب"[٣] ووسيم في "قسيم وسيم"[٤] و"ذفيف" في "خفيف ذفيف"[٥] اتباعاً مع أن تلك الكلمات أتت منفردة في الكلام دون أن تتصل بخراب وقسيم وخفيف، أما بالنسبة للشرط الثالث فلم يأبه به، إذ أتى بأمثلةٍ كثيرةٍ من الاتباع يوجد بينهما فاصلٌ كواو العطف، مثل هشاش وأشاش[٦] وحلّ وبل[٧] وحظيت وبظيت[٨] والضلال والتلال[٩].

وبذلك يكون موقفه مماثلاً لموقف ابن دريد في الجمهرة[١٠] وأبي علي القالي[١١] ومغايرٌ لموقف الأصمعي[١٢]، وأبي عبيد[١٣] والهمذاني[١٤] والبلوي[١٥] وابن بري [١٦].

أما إذا بحثنا عما أضافه ابن فارس إلى من سبقه في كتابيه (الصاحبي والاتباع والمزاوجة) فإننا نجد أنه كان مقلداً لهم في بعض الأمور، وموضحاً لبعضها الآخر، ومجدداً في مواضيع أخرى، فقد كرر ما قاله الأسبقون: "إن الاتباع نوعٌ من التوكيد فقال: ((للعرب الاتباع وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها اشباعاً وتأكيداً...))[١٧] وأنه يمكن أن يكون للكلمة التابعة معنىً معروفاً، وقد لا يكون لها معنى ولكنه تميز عن من سبقه في تقسيمه "اتباع، فقد قسمه وفقاً لمقياسين رئيسيين هما: مقياس الوزن والروي، ومقياس المعنى:

١) مقياس الوزن والروي: ركز ابن فارس على هذا المقياس الذي أغفله من سبقه، ولم يشر إليه إلا أبو علي القالي اشارةً خفيفةً طفيفةً[١٨] ويتضح مقياس ابن فارس في كتابه (الصاحبي) عندما عرف الاتباع وأخضع المزاوجة لمقياسه هذا في كتابه (الاتباع والمزاوجة) ويرى أن وزن الكلمة التابعة يماثل وزن الكلمة الأولى غالباً، وإن

---

(١) الاتباع والمزاوجة ص ٨.
(٢) السابق ص ٢٢.
(٣) السابق ص ٣.
(٤) السابق ٢١.
(٥) السابق ص ١٣.
(٦) السابق ١٧.
(٧) السابق ٢٠.
(٨) ص ١٥.
(٩) ٢٠.
(١٠) ٣/٤٣٠-وما بعدها.
(١١) الأمالي ٢/٢٠٥-٢٠٦.
(١٢) المزهر ١/٤١٥.
(١٣) السابق ١/٣١٥.
(١٤) الألفاظ الكتابية ٣٢١-٣٢٢.
(١٥) ألف باء ١/٣٣٣.
(١٦) ابن منظور لسان العرب مادة "توح"
(١٧) الصاحبي ٢٧٠.
(١٨) الأمالي ٢/٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجدت كلمات قليلةٌ لا يتماثلُ فيها وزنُ الكلمتين المتتاليتين أو رويهما – وجديرٌ بالذكر أن ابن فارس هو أول من فرق بين الاتباع والمزاوجة، وجعلها كالاتباع على ضربين فيما يتصل بالوزن والروي. وهي على ضربين كذلك فيما يتصل بالمعنى الذي سأتحدث عنه فيما بعد–: ((هذا كتاب الاتباع والمزاوجة وكلاهما على وجهين، أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على روى واحدٍ والوجه الآخر أن يختلف الرويان...))[١].

وأمثلة الاتباع التي يتساوى فيها الوزن والروى كثيرة منها ساغبٌ لاغبٌ[٢] وخراب يباب[٣] وحوثاً بوثاً[٤]

ومن المزاوجة التي يتساوى فيها الوزن والروي قوله:

لا أهاتيك ولا أواتيك[٥]، ولم يبق منهم ثبيتٌ ولا هبيتُ أي جبانٌ ولا شجاع[٦] ولا بارك الله فيه ولا تارك ولا دارك[٧].

أما أمثلة الاتباع التي لم يتساوَ فيها حرف الروى فقد أورد ابن فارس مثالاً واحداً على ذلك فقط وهو جوعاً له وجوداً وجوساً فقال: ((... ومما لم يجيء على روي الأول جوعاً له وجوداً وجوساً))[٨].

وأما أشهر أمثلة الاتباع القليلة التي لم يتساو فيها الوزن منها: تعس وانتكس[٩] (بمعنى السقوط) وحضجرٌ حجرٌ (أي ضخم) وأحمقٌ أخرقُ زبعبقٌ[١١] (فالاخرق الذي لا يعتمل بيديه. والزبعبق الجديد الغلق).

ومن مختلف الوزن في المزاوجة:

لافي العير ولافي النفير ، أي لافي السواد ولافي المقاتلة[١٢] وماله دارٌ ولا عقارٌ، العقار النخل والضياع[١٣].

وبذلك يكون ابن فارس أشهر من تنبه إلى أن الاتباع سمةٌ صوتيةٌ يستلزم فيها تساوى الوزن وحرف الروى غالباً، لأن تساوى الوزن وحرف الروى يزيد الكلمة أشباعاً وتوكيدا[١٤]، وقد قال حسن نصار

---

(١) ابن فارس، الاتباع والمزاوجة، ٢.
(٢) السابق ٢.
(٣) السابق ص ٣.
(٤) السابق ٤.
(٥) السابق ٤
(٦) السابق ٤.
(٧) السابق ١٩.
(٨) السابق ١٦
(٩) السابق ١٣.
(١٠) السابق ٩
(١١) السابق ١٨.
(١٢) السابق ٩.
(١٣) السابق ص ١٠.
(١٤) الصاحبي ٢٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن: "... اللغة العربية تلجأ إلى اتباع كلمة ما بصوت مماثل لنهايتها، دلالة على ما يختلج في وجدان المتكلم من مشاعر ... فمهما اختلف الشعور فالاتباع رمزٌ له..))[١] فالاتباع في حُسن بسن رمزٌ يدل على التعجب[٢]

٢) أما مقياسه الثاني في تقسيم الاتباع والمزاوجة إلى ضربين فهو المقياس المعنوي: ((... ثم تكون بعد ذلك على وجهين، أحدهما أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف، والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولابينة الاشتقاق، إلا أنها كالاتباع لما قبلها))[٣]

والضرب الأول من الاتباع – أي أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف – يمكن تقسيمه إلى نوعين:

أ) النوع الذي تكون فيه معنى الكلمة الثانية مماثلاً لمعنى الكلمة السابقة عليها، مثل: حوثاً بوثاً أي أثارت[٤]، وخراب يباب[٥]، وقبيحٌ شقيحٌ[٦].

ب) أن يكون معنى الكلمة اللاحقة أو التابعة مخالفاً لمعنى الكلمة السابقة مثل: الأملح الأقلح (الملحة بياض الشيب، والقلح صفرة الأسنان)[٧]، والضيح والريح (الضيح ضوء الشمس، والريح معروفة)[٨] وينسحب هذا التقسيم على الضرب الأول من المزاوجة مثل:

لا افلح ولا أنجح، النجح أن يبلغ ما طلب، والفلاح البقاء[٩].

أما أمثلة المزاوجة من النوع الثاني، وهو الصفة الغالبة على المزاوجة فهو أن تكون الكلمة الثانية مخالفةً للكلمة الأولى في المعنى مثل:

ماله حلوبةٌ ولا ركوبة (الحلوبة ما تُحلب والركوبة ما تركب)[١٠] وماله هارب ولا قارب (أي ما له صادرٌ عن الماء ولا واردٌ)[١١]، ونعوذُ بالله من الترح بعد الفرح[١٢].

وأما أشهر أمثلة الضرب الثاني من الاتباع – وهو الذي تكون معنى الكلمة التابعة واشتقاقها مجهولين غير معروفين – فمثل قوله:

كثيرٌ بثيرٌ بجبيرٌ[١٣]، لم يبين معناها ولا اشتقاقها، واشران أفران[١٤]

---

(١) حسن نصار، مقال الاتباع في العربية، مجلة اللسان العربي، مجلد ٧،ج١. ١٩٧٠ ص١٤٧.

(٢) السابق ١٤٧.
(٣) ابن فارس، الاتباع والمزاوجة ٢.
(٤) السابق ٤.
(٥) السابق ٣.
(٦) السابق ص ٥.
(٧) السابق ٥-٦.
(٨) السابق ٧.
(٩) السابق ٦.
(١٠) السابق ٣.
(١١) السابق ٣.
(١٢) السابق ٦.
(١٣) السابق ٩.
(١٤) السابق ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفلانٌ ذو هشاشٍ وأشاشٍ ((ويقولون، وما سَمِعتُهَا سماعاً، وكذا وجدتُها))[١]

ويندرُ هذا الضرب في المزاوجة، لأن عباراتها تأتي دائماً في القصة[٢] أو المحاورة، ولذلك يكونُ معنى الكلمة الثانية، وأشتقاقها معروفين لأن الإفهام هو أساس التخاطب والتحاور، ولذلك فإن وجود الفاصل بين جزئيها أمرٌ ضروري، ولا سيما أن جزئي المزاوجة يتسمان بالضدية المعنوية غالباً، مثل: نعوذ بالله من الترخ بعد الفرح[٣] وقوله صلى الله عليه وسلم "إرجعن مأزورات غير مأجورات"[٤] وقوله وإنه ليأتينا بالغدايا والعشايا"[٥].

وعد ابن فارس كغيره من اللغويين الإتباع سنةً من سنن العرب في كلامها، ولم يقل عنه إنه يسهم في التوسع الدلالي في العربية. فموقفه من الاتباع يماثل موقفه من القلب والإبدال والنحت. ولكنه أضاف إلى ما قالوه أن جعل الاتباع سمة لغوية عامة لا تخص العرب بعينهم بل شاركتهم العجم في ذلك[٦]. وقد حاول بعضُ العلماء[٧] ايجاد فروق بين التوكيد والإتباع، وبين الترادف والاتباع، ولا أعتقدُ أن هذا التفريق يفيد في نمو لغتنا، لأن الاتباع مغايرٌ للتوكيد النحوي (المعنوي واللفظي). وإن كان مماثلاً له في معناه اللغوي، وإما الترادف فلا أجدُ صلةً بينهما إلا إذا كان التابع يماثل المتبوع في معناه، مع أن الترادف لا يجتمع في كلمتين متتاليتين، ولا سيما إذا لم تكونا متساويتين في الوزن والقافية، لأن في ذلك مضيعةً لدقة العربية ونسقها ونسجها المعروف والمعلوم لدينا. ولمن أراد أن يطلع على ما قاله العلماء في الاختلاف بين الإتباع والتوكيد والاتباع والترادف فعليه أن يقرأ الكتب التالية: المحصول للفخر الرازي[٨] والمزهر للسيوطي[٩] ورسالة ماجستير بعنوان "الإتباع في العربية ظواهره وعلله" لأحمد محمد ذيب أبو دلو[١٠].

---

(١) الاتباع والمزاوجة، ص ١٣.

(٢) عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب ٢٢١.

(٣) الاتباع والمزاوجة ص ٦.

(٤) ابن جني المنصف ٣٢٦/٢.

(٥) السابق ٣٢٦/٢.

(٦) الصاحبي ٢٧٠.

(٧) التاج السبكي وابن الدهان، ذكرهم السيوطي في المزهر ٤١٦/١ و٤٢٤-٤٢٥.

(٨) ٢٥٤/١.

(٩) ٤١٦/١ و٤٢٤-٤٢٥.

(١٠) ٨٨-١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الآمدي، سيف الدين أبي الحسن علي بن أبـي علـي بـن محمـد، الإحكـام فـي أصـول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، تصحيح عبد الله غديان، وعلي الحمد الصالحي ط١، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ١٣٨٧هـ.

إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية مصر- القاهرة، ١٩٨٧م. طبعة ثانية: ط٣، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١م.

إبراهيم أنيس، تنمية الألفاظ في اللغة، مطبعـة النهضـة الجديـدة، القـاهرة، ١٩٦٦م-١٩٦٧م.

إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٣م.

إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

إبراهيـم السـامرائي، التطـور اللغـوي التـاريخي، ط٣، دار الأندلـس بـيروت-لبنـان، ١٩٨٣م.

إبراهيم السامرائي، التعريب بين ماضيه وحاضره، مجلة المجمع العلمي العراقـي، مجلد ٢٩، جزء١، ١٩٧٨م.

إبراهيم السامرائي، الدخيل في العربية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلد ٤٠، جزء٣، ١٩٦٥م.

إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٦٨م.

إبراهيم اليازجي، أصل اللغات السامية، مجلة المقتطف، مجلد٦، عدد٦، ١٨٨١م.

إبراهيم اليازجي، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ط٣، مكتبة لبنان، لبنان-بيروت. ١٩٨٥م.

ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري، المثل السائر، تحقيق: أبو أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، ط١ مكتبة نهضـة مصـر ومطبعتهـا، القـاهرة، ١٩٥٩م.

ابن الأثير، عز الدين أبـي الحسـن علـي بـن أبـي الكـرم محمـد بـن محمـد الشـيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر ودار بيروت، بيروت - لبنان، ١٩٦٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحمد أمين، مدرسة القياس في اللغة، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد ٧، ١٩٥٣م.

أبو أحمد العسكري، الحسن بن عبد الله بن سعيد، شرح ما يقع فيه الصحيف والتحريف، تحقيق: السيد محمد يوسف مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

أحمد محمد ذيب أبو دلو، الاتباع في العربية ظواهره وعلله، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد، ١٩٩٢م.

أحمد مطلوب، مسالك الدس الشعوبي في اللغة العربية، مجلة الضاد/ العراق، ج٢، كانون الثاني ١٩٨٩م.

أحمد نصيف الجنابي، حديث مفترى، "إنا أنزلناه قرآناً عربياً" مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م.

أحمد نصيف الجنابي، تأصيل عروبة لفظة ابراهيم" مجلة الضاد جزء ٢ سنة ١٩٨٩م.

آرنست كسيرر، فلسفة الحضارة الإنسانية، ترجمة: إحسان عباس، دار الأندلس، ومؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت-نيورك، ١٩٦١م.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون وأكمل تحقيقه عبد الله درويش، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٤م.

إسماعيل بن محمد الباباني البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين في كشف الظنون، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.

الأصمعي، عبد الملك بن قُريب، الاشتقاق، تحقيق: سليم النعيمي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٨م.

الأصمعي، عبد الملك بن قُريب، الأضداد، تحقيق: أوغست هافنز وقد جمعه مع كتابي الأضداد للسجستاني والأضداد لابن السكيت. وعنونه بثلاثة كتب في الأضداد، دار المشرق، بيروت-لبنان ١٩١٣م.

الأصمعي، عبد الملك بن قُريب، ما أختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٨٦م.

الألوسي، السيد محمود شكري، النحت، تحقيق وشرح: محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط١، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.

الأمير أمين آل ناصر الدين، دقائق العربية، ط٣، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م.

ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، الأضداد تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر في الكويت، الكويت، ١٩٦٠م.

ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، لمع الأدلة وضعت تحت عنوان "الإغراب في جدل الإعراب" تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٧١م.

ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة.

أنستاس ماري الكرملي، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها المطبعة العصرية بالفجالة، مصر-القاهرة، ١٩٣٨م.

أنيس فريحة، نظريات في اللغة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ١٩٧٣م.

آوتوجسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة وتعليق: عبد الرحمن محمد، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر-القاهرة.

الباخرزي، نور الدين أبو الحسن على بن الحسن، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق: سامي مكي العاني، ط١، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

الباقلاني، أبو البكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف، مصر-القاهرة، ١٩٧١م.

البغدادي، الحافظ محب الدين بن النجار، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق وتعليق محمد مولود خلف، اشراف ومراجعة: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان،١٩٨٦م.

البلوي، أبو الحجاج يوسف محمد، ألف باء، عالم الكتب، بيروت، توزيع، مكتبة المثنى، القاهرة، ومكتبة سعد الدين، دمشق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة، ط١، دار الكتب المصرية، مصر-القاهرة، ١٩٣٢م.

تمام حسان، الأصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.

توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، الإيمان، تحقيق ومراجعة: هاشم محمد الشاذلي دار الحديث، القاهرة.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٥م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، فقه اللغة وسر العربية، الطبعة الأخيرة، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٢م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، يتيمة الدهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية، لصاحبها محمود توفيق، مطبعة حجازي، القاهرة.

ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، الفصيح، تحقيق ودراسة: عاطف مدكور، دار المعارف، مصر-القاهرة.

ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، مجالس ثعلب،تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار المعارف، القاهرة-مصر، ١٩٤٩م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٤، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٦٨م.

الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٩٦٩م.

جاقوب كورك، اللغة في الأدب الحديث، ترجمة: ليوذ يوسف وعزيز عمانوئيل، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، المحتسب في شواذ القراءات، تحقيق: على النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح اسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٩٦٦م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط١، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٤م.

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضير، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، أعيد طبعه بالأوفست في طهران، طهران، ١٩٦٦م.

جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ط١، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.

جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الهلال، القاهرة.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن على، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، ط١، دار البشائر الاسلامية، بيروت-لبنان، ١٩٨٧م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن على، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.

جوزيف فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي -القاهرة، ١٩٥٠م.

أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان، الزينة في الكلمات الاسلامية العربية، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري الحرازي، ط٢، دار الكتاب العربي، مصر-القاهرة، ١٩٥٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان، الأضداد، تحقيق أوغست هافز، نشره في كتاب ثلاثة كتب في الأضداد، دار المشرق، بيروت – لبنان، ١٩١٣.

حاتم الضامن، علم اللغة، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، طبع بمطبعة التعليم العالي الموصل.

الحريري، أبو محمد القاسم بن على، مقامات الحريري، بشرح أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريش، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام، مراجعة وتحقيق لجنة باشراف الناشر، ط٢، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.

حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراق-بغداد، ١٩٨٠م.

حسين محمد، الأضداد في اللغة، مجلة اللسان العربي، مجلد٩، جزء ١، ١٩٧٢م.

حسين يوسف موسى، وعبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، ط٢، دار الفكر العربي، بيروت.

حفني ناصف، مميزات لغات العرب، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٠٤هـ.

حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

حلمي خليل، المولد في العربية، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٩٨٥م.

حميد آدم تويني، مع مؤيدي المجاز ومنكريه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مجلد٩، عدد ٢٧-٢٨، ١٩٨٥م.

أبو حيان الأندلسي، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد بن عبد الموجود، وعلى محمد معوض وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق: على عبد الواحد وافي، ط١، لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٦٢م.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان ١٩٧٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط٢، دار ومكتبة الهلال، ودار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م.

الخوانساري، أحمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات. تحقيق: أسد الله اسماعيلين، مكتبة اسماعيليان، تهران، يطلب من دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

دافيد كريستل، التعريف بعلم اللغة، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، ط٢، دار نشر الثقافة، ودار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

الداوودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، تحقيق: لجنة من العلماء باشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

ابن دستوريه، أبو محمد عبد الله بن جعفر المرزبان، تصحيح الفصيح، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٥م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، مصر، والمكتب التجاري، بيروت ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٨م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، الجمهرة، طبعة جديدة بالأوفست، ط١، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٤٥هـ.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، الملاحن، صححه وعلق عليه، أبو اسحاق اطفيس الجزائري، المطبعة السلفية، القاهرة-مصر، ١٣٤٧هـ.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوس، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٨٣م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبرمن غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٥م.

رزوق عيسى، المنحوت العامي واللفظ الدخيل، مجلة لغة العرب، مجلد١، ج٧، ١٩١٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرضي الاستراباذي، محمد رضي الدين بن الحسن، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.

رفائيل نخلة اليسوعي، غرائب اللغة العربية، ط٣، دار المشرق، بيروت-لبنان، ١٩٨٤م.

الرماني، أبو الحسن على بن عيسى، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، تحقيق: فتح الله صالح المصري، ط٢، دار الوفاق للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٨م.

الرماني، أبو الحسن على بن عيسى، الحدود في النحو، تحت عنوان رسائل في النحو واللغة، تحقيق: مصطفى جواد، ويوسف يعقوب مسكوني، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩م.

رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٣م.

رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، ط١، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٧م.

الزبيدي، للسيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وزارة الارشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٥م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر-القاهرة، ١٩٥٧م.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط٩، دار العلم للملايين بيروت-لبنان، ١٩٩٠م.

زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الجيل، بيروت-لبنان، ١٩٧٥م.

الزمخشري، الامام محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، ط٣، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

طبعة ثانية: دار المعرفة، بيروت-لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ط١، مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان، ١٩٨٧م.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي، رسالة الاشتقاق، تحقيق: محمد على الدرويش ومصطفى الحدري، دمشق.

سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ط٣، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٤م.

سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط١، دار السلام ١٩٨٥م.

ابن سلام الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن على، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٩٨٣م.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق، الإبدال، تقديم وتحقيق: حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق، الأضداد، تحقيق: أوغست هافز نشره تحت عنوان، ثلاثة كتب في الأضداد، دار المشرق، بيروت-لبنان ١٩١٣م.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق، تهذيب الألفاظ، طبع وضبط وجمع الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت-لبنان، ١٨٩٥م.

سليمان أبو غوش، عشرة آلاف كلمة انجليزية من أصل عربي، ط١، حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف، الكويت، ١٩٧٧م.

ابن سنان الخفاجي، عبد الله بن محمد بن سعيد، سر الفصاحة، تحقيق: سليم سليمان الأنصاري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٥م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، عالم الكتب، مصر، ١٩٨٣م.

سيد قطب، في ظلال القرآن، ط٩، دار الشروق، بيروت-لبنان، ١٩٨٠م.

السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ط٢، مطبعة الإنصاف، بيروت-لبنان، ١٩٦٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن سيده، أبو الحسن على بن اسماعيل الأندلسي، المحكم، تحقيق: مصطفى السقا، وحسين نصار، ط١، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٨م.

ابن سيده، أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسي، المخصص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت-لبنان.

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط١، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥م.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت-لبنان.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، صححه: عبد الرحمن بن يحيى اليماني وسعيد بن عبد الله العمودي وأحمد بن محمد اليمني، ط٢، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٩هـ.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٧٩م.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر: محمد أمين دحج وشركاه، بيروت-لبنان.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، طبقات الحفاظ، تحقيق: على محمد عمر، ط١، مكتبة وهبة، مصر-القاهرة، ١٩٧٣م.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، طبقات المفسرين، تحقيق وضبط لجنة من العلماء باشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٣م.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت-لبنان.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق: التهامي الراجي الهاشمي، طبع تحت أشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارت العربية المتحدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشافعي، محمد بن ادريس، الرسالة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٤٠.

شاكر طوفان الغيساوي، القياس اللغوي وأهميته في تطوير اللغة، مجلة اللسان العربي، مجلد١٤، ج١، ١٩٧٦م.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين، المجازات النبوية، تحقيق: محمود مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٨م.

شفيق جبري، المترادف، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق مجلد١٧، ج٩و١٠، ١٩٤٢م.

الشنيقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الحكبي، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، الناشر: حسن محمد محمود العلوي الشنيقيطي، الرياض، ١٣٧٦هـ.

شهاب الدين الخفاجي، محمود أو أحمد المصري، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر، ١٩٥٢م.

طبعة ثانية: تحقيق: السيد محمد بدر النعساني، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٠٧.

الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن، الأضداد، تحقيق: أوغست هافز، ذيل به كتاب ثلاثة كتب في الأضداد، دار المشرق، بيروت-لبنان ١٩١٣.

صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط١٢، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٩م.

الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، اعتناء: إحسان عباس، ط٣، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.

طاش كبرى زادة، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة، تحقيق: كامل كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، طبعة ثانية: طبعة دار الفكر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طوبيا العنسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٦٥م.

أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن على الحلبي، الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠م.

أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن على الحلبي، الاتباع، تحقيق: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م.

أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن على الحلبي، شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، تحقيق: محمد عبد الجواد، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧م.

ابن عباس، عبد الله بن عبد المطلب، اللغات في القرآن/ رواية ابن حسنون باسناده الى ابن عباس، تحقيق:صلاح الدين المنجد، ط١، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٤٦م.

وط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان، ١٩٧٢م.

عبد الحق فاضل، دخيل أم أثيل، مجلة اللسان العربي، مجلد٧، ج١، ١٩٧٠م. وما بعدها.

عبد الحق فاضل، مغامرات لغوية، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.

عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف، ساعدت جامعة بغداد في نشره، بغداد، ١٩٦٦م.

عبد الصبور شاهين، علم اللغة العام، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٨٠م.

عبد العزيز شرف، اللغة العربية والفكر المستقبلي، ط١، دار الجيل، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.

عبد العظيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن، ط١، مطبعة حسان، القاهرة.

عبد الغني النابلسي، تشريف التغريب في تنزيه القرآن عن التعريب، تحقيق: عبد الله الجبوري، مجلة آداب المستنصرية عدد ١٣، ١٩٨٦م.

عبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، ط٢، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان.

عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، ط٦، مكتبة القاهرة مصر، ١٩٥٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح الأصل: محمد عبده ومحمد محمود التركزي الشنيقطي تعليق وتصحيح الطبع، السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦١م.

عبد الله أمين، الاشتقاق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب، إدراة المطبعة العصرية -مصر.

عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ١٩٨٨م.

أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الحميد السيد طلب، الكويت، ١٩٨٤م.

أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، الغريب المصنف، تحقيق: محمد مختار العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة - تونس.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي، مجاز القرآن، تعليق ومعارضة: محمد فؤاد سزكين، ط١، محمد سامي أمين الخانجي الكتبي، مصر، ١٩٥٤م.

عرفان أبو حمد، ألفاظ أجنبية في اللغة العربية، ط١، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، شفا عمرو، ١٩٨٣م.

على الجارم، الترادف، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، مجلد١ جزء١، ١٩٣٤م.

على زوين، بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

على عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط٥، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر، ١٩٦٢م.

على عبد الواحد واقي، فقه اللغة، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، مصر-القاهرة، ١٩٤٤م.

على عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مطبعة العالم العربي، القاهرة، ١٩٧١م.

أبو على القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي، الأمالي، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر-القاهرة، ١٩٥٤م.

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ١٩٨٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو عمر المطرز، محمد بن عبد الواحد الزاهد، غلام ثعلب، المداخل مجلة المجمع العلمي العربي دمشق، مجلد٩، جزء٨، ١٩٢٩م.

أبو العميثل الأعرابي، عبد الله بن خليد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، تحقيق: محمود شاكر سعيد، ط١، نادي جازان الأدبي، جدة – السعودية، ١٩٩١م.

عودة خليل عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن، ط١، مكتبة المنار، الأردن – الزرقاء، ١٩٨٥م.

الغزالي، حجة الإسلام الإمام أبي حامد محمد بن محمد، المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.

الفارابي، أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان، الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت–لبنان، ١٩٦٩م.

الفارابي، أبو إبراهيم اسحق بن إبراهيم، ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر وإبراهيم أنيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٤م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، الاتباع والمزاوجة، تحقيق: رودلف برونو.

VERLAG VON ALFRED TOPELMANN VORMALS J.RICKER *GIESZEN* 1906.

طبعة ثانية: بتحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤٧م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، أوجز السير لخير البشر، تحقيق: هلال ناجي، مستلة من مجلة المورد بغداد، مجلد٢، عدد٤، ١٩٧٣م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، تمام فصيح الكلام، جمعت في كتاب رسائل في النحو واللغة، مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩م طبعة ثانية: بتحقيق ابراهيم السامرائي، مستل من مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٢١ سنة ١٩٧١.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، الثلاثة تحقيق: رمضان عبد التواب، ط١، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، حلية الفقهاء تحقيق: عبد المحسن التركي، ط١، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت-لبنان، ١٩٨٣م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، ذم الخطأ في الشعر، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٩٦٣م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، فتيا فقيه العرب، تحقيق: حسين على محفوظ، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلد٣٣ جزء ٣و٤، ١٩٥٨م.

ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، اللامات، تحقيق: برجستراسر، مجلة إسلاميكا، ج١، سنة ١٩٢٥م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، متخير الألفاظ، تحقيق: هلال ناجي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط - المملكة المغربية.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، المجمل، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٨٤م.

طبعة ثانية: بتحقيق: هادي حسن حمودة، ط١، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الصفاة - الكويت، ١٩٨٥م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، تحقيق: فيصل دبدوب، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلد ٤٢، ج٢، ١٩٦٧م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، مقالة "كلا" تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط١، مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق، ١٩٨٢م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي القزويني، المقاييس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت-لبنان ١٩٩١م.

الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.

ابن فرحون، إبراهيم بن على بن محمد اليعمري، الديباج المذهب، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ.

فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة: أحمد نعيّم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

فريد محمد بدوي النكلاوي، المسائل البلاغية في كتاب الصاحبي لابن فارس، ط١، مطبعة الأمانة، مصر، ١٩٨٦م.

فؤاد حنا ترزي، الاشتقاق، منشورات كلية العلوم والآداب في جامعة بيروت الأميركية، دار الكتب، بيروت - لبنان، ١٩٦٨م.

فؤاد حنا ترزي، في أصول اللغة والنحو، دار الكتب، بيروت - لبنان.

الفيروز أبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢م.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، أدب الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٣م.

طبعة ثانية بتحقيق: محمد الدالي، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

القرطبي، أبو عبد الله محمد ، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٥٢م.

طبعة ثانية مؤسسة مناهل العرفان، بيروت - لبنان.

قطرب، أبو علي محمد بن المستنير، الأضداد، تحقيق: هانس كوفلر، مجلة اسلاميكا، مجلد٥ سنة ١٩٣١م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف، إنباه الرواة على إنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الكتب المصرية، مصر - القاهرة، ١٩٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كامل حسن البصير، البحث اللغوي من رحاب العلم الى نافقاء التعصب، "إنا أنزلناه قرآناً عربياً"، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م.

الكتاب المقدس، مكتبة شكري شعشاعة، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، بيروت، ١٩٥٠.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، وعلى بخيت عطوي وآخرون، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد على الصابوني، ط٧، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ١٩٨١م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، مصر.

كرامت حسين، مقدمة فقه اللسان، نولكشوربريس لكنهود، ١٩١٥م.

كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، ط٥، دار المعارف، مصر – القاهرة، ١٩٧٩م.

كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت – لبنان، ١٩٦٧م.

كيفورك ميناجيان، النحت قديماً وحديثاً، مجلة اللسان العربي، مجلد٩، جزء١ سنة ١٩٧٢م.

م.م. لويس، اللغة في المجتمع، ترجمة: تمام حسان وابراهيم أنيس، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٩م.

البطريرك مارا اغناطيوس أفرام الأول، الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد ٢٣، ج٢، ١٩٤٨م.

ماريوباي، اسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، طرابلس، ١٩٧٣م.

ابن مالك الطائي، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، تحقيق: محمد حسن عواد، ط١، دار الجيل، بيروت – لبنان ودار عمار، عمان – الأردن ١٩٩١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

محمد أحمد مظهر،

Muhamad A. Mazhar, Arabic the Source of all the Langages, Nendeln / Liechtenstein 1972.

محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ط٣، دار الشروق، ١٩٦٩م.

محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية، ط٢، دار الحداثة، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.

محمد السيد علي بلاسي، الترادف والمشترك اللفظي والتضاد وأثر كل في نمو العربية، مجلة اللسان العربي، عدد ٣٣ سنة ١٩٨٩م.

محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة، الناشر: عالم الكتبي وعبد الخالق ثروت، القاهرة، ١٩٧٦م.

محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ط٣، دار الفكر بيروت - لبنان، ١٩٦٨م.

محمد محمود السيد حمودة، اللغة العربية بين القياس والسماع، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، ١٩٩٠م.

محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المازني، المسلسل في غريب لغة العرب، تحقيق: محمد عبد الجواد، مكتبة الخانجي بمصر، دار الجيل، جهورية مصر.

محمود الجفال، الدراسات اللغوية العربية وتطور استخدام مصطلحي فقه اللغة وعلم اللغة، بحث ألقي في ندوة اللغة العربية المنعقدة في ١٧-١٨ نيسان ١٩٨٢م، اتصالات خاصة.

M.A. Jaffal, Arabic philological Studies in the 4th Century A.H / 10th century A. D. Their Origin and Devolopment University of Cambridge .U.k.1981.

اتصالات خاصة.

محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار الكاتب العربي القاهرة، ١٩٦٨م.

محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ط٢، دار الشرق الأوسط، الاسكندرية، ١٩٦٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٤٠م.

المنشي، محمد جمال الدين بن بدر الدين، رسالة الأضداد، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، ط١، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥م.

منصور فهمي، الأضداد، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، مجلد٢ جزء٢ سنة ١٩٣٥م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، بيروت – لبنان، ١٩٥٥م، ١٩٥٦م،١٩٦٨م.

مهدي محقق، أثر الفارسية في اللغة العربية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٦٢ جزء٢، سنة ١٩٨٧م.

مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط٢، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر – القاهرة، ١٩٥٨م.

ابن النديم، محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحق، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٧٨م.

طبعة ثانية، ط١، مطبعة الأمانة، مصر، ١٩٨٦م.

نهاد الموسى، في تاريخ العربية، ساعدت الجامعة الأردنية على نشره، الأردن، ١٩٧٦م.

نهاد الموسى، النحت، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٩٨٤م.

نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٥م.

نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة النومي، الرباط ١٩٧١م.

نوري حمودة القيسي، هكذا يتجنى الفرس على لغة القرآن، "إنا أنزلناه قرآناً عربياً"، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الصناعتين تحقيق: على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٥٢م.

أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط٥، دار الآفاق، بيروت – لبنان، ١٩٨١م.

الهمذاني، عبد الرحمن بن عيسى بن حماد، الألفاظ الكتابية، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٠م.

طبعة ثانية: دار المسلم، القاهرة.

اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٣٣٨هـ.

ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.

يوهان فك، العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ترجمة وتحقيق: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر – القاهرة، ١٩٥١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحـــــق

هذا الثبت خصص لأهم المصادر والمراجع التي كتبت عن حياة ابن فارس في جوانبها المختلفة قديما وحديثا، وهذه المؤلفات مرتبة ترتيبا زمنيا حسب سنة وفاة مؤلفيها.

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية، القاهرة، ٣/٣٩٧-٤٠٤.

الفهرست، لابن النديم (٤٣٨هـ)، تحقيق: ناهد عباس عثمان، ط١، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥، ١٥٨-١٥٩.

دمية القصر، الباخرزي (٤٦٧هـ)، تحقيق: سامي مكي العاني ط١، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧١م، ٢/٤٨٥.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين الأنباري (٤٧٧هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ص٣٢٠-٣٢٢.

المنتظم، ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م، ١٤/٢٧٤.

معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، تحقيق: احسان عباس ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٩٣م، ١/٤١٠-٤١٨.

الكامل في التاريخ، ابن الأثير: علي بن محمد (٦٣٠هـ)، دار صادر ودار بيروت، بيروت-لبنان، ١٩٦٦م، ٨/٧١١.

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، البغدادي (٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد مولود خلف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م ص١٦٧-١٦٩.

إنباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي (٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠، ١/٩٢-٩٥.

وفيات الأعيان، ابن خلكان (٦٨١هـ)، تحقيق: احسان عباس دار صادر، بيروت-لبنان، ١٩٧٠م، ١/١١٨-١٢٠.

نهاية الأرب، النويري، أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، ٢٦٢/٧-٢٦٥.

١- سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوس، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان، ١٩٨٣م، ١٠٣/١٧-١٠٧،

٢- العبر في خبر من غبر، الذهبي، تحقيق: أبو هاجرمحمد السعيّد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٩٨٥م، ١٨٦/٢.

الوافي بالوفيات، الصفدي (٧٦٤هـ)، احسان عباس، ط٣ دار النشر: فرانز شتايز شتو تغارت، مطابع دار صادر، بيروت-لبنان، بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الاستشراقية ٢٧٨/٧-٢٨٠.

مرآة الجنان، اليافعي (٧٦٨هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٣٣٨هـ، ٤٤٢/٢-٤٤٣.

١- البداية والنهاية، ابن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: أحمد أبو ملحم وعلي بخيت عطوي وآخرون، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٧. ٣٥٠/١١ و ٣٥٨/١١.

٢- المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية ١٣٥/٢.

الديباج المذهب، ابن فرحون (ابراهيم بن علي) (٧٩٩هـ)، ط١ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ١٣٢٩هـ، ص٣٥.

البُلغة، الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب) (٨١٧هـ)، تحقيق: محمد المصري منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢م ص٢٨.

النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي (٨٧٤هـ)، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م، ٢١٣/٤.

١- طبقات المفسرين، السيوطي راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء باشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٩٨٣م، ص١٥-١٦.

٢- وبغيةُ الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار الفكر بيروت-لبنان، ١٩٧٩م، ٣٥٢/١-٣٥٣.

٣- طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ط١، مصر، ١٩٧٣م، ٣٧٧/١.

طبقات المفسرين، الداوودي، محمد بن علي (٩٤٥هـ) تحقيق لجنة من العلماء باشراف الناشر دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٦٠/١-٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفتاح السعادة، طاش كبري زادة (أحمد بن مصطفى ٩٦٨هـ)، تحقيق: كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، ١/١٠٩-١١٠.

شذرات الذهب، ابن العماد (١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط ط١، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ١٩٨٩م، ٤/٤٨٠-٤٨٢.

روضات الجنات، الخوانساري (محمد باقر ١٣١٣هـ)، تحق: أسد اللة اسماعيلين، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١/٢٣٢-٢٣٤.

دائرة المعارف، البستاني، بيروت، ١٩٦٠، ٣/٤١٩-٤٢٢.

١- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي صححه محمد شرف الدين بالتقايا، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، ١٩٤٥، ١/٤٢١.

٢- هدية العافين من أسماء المؤلفين، دار الفكر، بيروت-لبنان ١٩٨٢م، ١/٦٨-٦٩.

دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة، محمد ثابت الفندي، وأحمد الشنتناوي، وابراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، ١٩٣٣م، ١/٢٤٧-٢٤٨.

تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، دار الهلال، ٢/٣٥٧-٣٥٨.

أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ط٢، مطبعة الانصاف، بيروت-لبنان، ١٩٦٠، ٩/١٤٠-١٤٩.

مخطوطات الموصل، داوود الحلبي الموصلي، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٧م ص٦٧.

فقه اللغة العربية وخصائصها، اميل بديع يعقوب، ط١، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م، ٤٠-٤٣.

أ- تمام فصيح الكلام لابن فارس، تحق: ابراهيم السامرائي، مستل من المجلد الحادي والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي، مقدمة المحقق ٣-١٣.

ب- وحققها كذلك مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني في كتاب "رسائل في النحو واللغة"، وزارة الثقافة والاعلام، مديرية الثقافة العامة، دار الجمهورية - بغداد، ١٩٦٩م، مقدمة المحقق ٣-١١.

حلية الفقهاء لابن فارس، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط١، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م. مقدمة المحقق ٥-١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس، تحقيق: فيصل دبدوب مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلد ٤٢، ج٢، ١٩٦٧م. مقدمة المحقق ٢٣٦-٢٤٤.

المقاييس لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل بيروت، ١٩٩١م، مقدمة المحقق ١/٣-٤٤.

مجمل اللغة لابن فارس ١- تحقيق: الشيخ هادي حمودي ط١، منشورات المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. الصفاة - الكويت، ١٩٨٥م، ١/١١-١٣٢. مقدمة المحقق. ٢- تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٨٤م، مقدمة المحق ١/١١-٥٠ .

الإتباع والمزاوجة لابن فارس، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي مصر، ومكتبة المثنى - بغداد، ١٩٤٧مم، مقدمة المحقق ٦-٢٧.

كتاب الثلاثة لابن فارس، تحق: رمضان عبد التواب، ط١، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، مقدمة المحقق ٥-٢٦.

أوجز السير لخير البشر لابن فارس، تحق هلال ناجي، مستلة من مجلة المورد، مجلد٢، عدد ٤، دار الحرية للطباعة مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٣م مقدمة المحقق ١٤٣-١٤٤.

متخير الألفاظ لابن فارس تحقيق: هلال ناجي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط - المملكة المغربية، مقدمة المحقق ٥-٣٢.

الصاحبي لابن فارس تحق ١- المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد القاهرة ١٩١٠م، مقدمة الطبعة أ-ك.

٢- مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٦٣م مقدمة المحقق ص ٥-٢٠.

٣- عمر فاروق الطباع ط١، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، مقدمة المحقق ٥-٢٩.

٤- السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مقدمة المحقق د - ح.

الفلاكة والمفلوكون، شهاب الملة والدين أحمد بن علي الدلجي، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٣٨٥هـ، ١٤١-١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلامة اللغوي ابن فارس الرازي، محمد مصطفى رضوان، دار المعارف مصر، ١٩٧١م.

تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر - القاهرة، ١٩٦١م، ٢/٢٦٥.

البيان العربي، بدوي طبانة، ط٧، دار المنارة، ودار الرفاعي ص ٢٥٢-١٦٣.

النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت - لبنان ١٩٧٥م، ٢/٣٢-٥٧.

مقال نفائس المخطوطات العربية، اسعد طلس، مجلة المجمع العلمي العربي دمشق، مجلد ٢٢، ج١١ و١٢، ١٩٤٧م. ص ٥٠١-٥٠٢.

فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨، ٤١-٤٧.

معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة: ط١، مؤسسة الرسالة . بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، ١/٢٢٣-٢٢٥.

مقال: الدراسات اللغوية العربية وتطور استخدام مصطلحي فقه اللغة وعلم اللغة، د. محمود الجفال، اتصالات خاصة ندوة، اللغة العربية المنعقدة في ١٧-١٨ سنة ١٩٨٢م، ص ٧-١٠.

الأعلام، الزركلي، ط٩، دار العلم للملايين. بيروت - لبنان ١٩٩٠، ١/١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

٤٥٩٠٨٢

Linguistic Issues in "al - Sahibi fi Fiqh al-Lughah" by Ibn Faris

Basma' Auda al-Rawashda.

Supervisors: Dr. Jaser Abu Safieh and D. Mahmud al-Hadid (Co-Super viser).

Ibn Faris's book "al-Sahibi Fi Fiqh al-Lugha" contains a number of linguistic issues. Despite their importance these issues have not been seriously studied especially because they were presented in a brief and concise manner. Consequently, they need further illustration and discussion.

Despite the difficulty of the subject, I have chosen to deal with it on the grourd, that the issues tackled in Ibn Faris's book can be considered the basis of what emerged later of theories of philology such as the origin of language, The Arabized in the Qura'an, and the Factors leading to the expansion of the Arabic language.

The Research contains an introduction and five chapters :

a- Introduction : It deals with an explanation and a discussion of the meaning of the difference between philology and linguistics.

b- Chapter one : Ibn Faris, The linguist. the chapter discusses Ibn Faris as a linguist who has written competently on philology.

c- Chapter two : This chapter discusses a controversial issue, namely, the origin of Language. Is it God-made or a matter of convention?

d- Chapter three : treats the so-called Arabized Qur'an and Ibn Faris's stand on this issue.

e- Chapter four cosider's Ibn Fares's attitude to language expansion.

f- Chapter five : tackles Ibn Faris's view of semantic expansion.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

I have used the analytical-critical approach to tackle the linguistic issues in the book and compared and contrasted the views of Ibn Faris with those of his contemperory Ibn Jinni and others.

The conclusions of this study may summarized as follows :

a- Ibn Faris was an imatator of his predecessors in some respects and an original thinker in some others.

b- The book of Al-Sahibi can be considered as one of the main sources of Arabic philology.

c- The book of Al-Sahibi has had a great influence on the ancient works of Arab philologists particularly Al-Tha'alibi's book - Fiqh al-Lugha and Sirr al-Arabiyyah" and al-Muzhir of Al-Suyuti.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit